نور الإسلام

تأليف

الشيخ عبد الكريم محمد المدرس

أشرف على طبعه

محمد الملا احمد الكزني

بســـــم الله الرحمن الرحيم

وبـه المعونة والاعتصام

اللهم يا من كفت هدايته للدلالة على ذاته ، ووفت عنايته بالارشاد الى آثار صفاته حار الناس الا من هديته ، وغار في البأس الا من نجيته ٠

أين الدليل عليك ، وأنت لكل مدلول دليـــل ؟ وكيف الوصول اليك ، وأنت المنزه عن كل قال وقيل ؟ نتوجه اليك ونتوكل عليك ، ونطلب الهدى منك ، فوجهنا باحســـانك اليك ، وعرفنا وجوب وجودك بهدايتـك ، ووفقنـــا على طاعتك بعنايتك ، لنحمدك حمـداً يوافي نعمـك ، ويكافىء مزيد فضلك ، ونشكرك شكراً يماثل شكر خواص عبـادك وأهلك وصل وسلم من سماء جودك اللا محدود على حبيبك المحبوب المسعود ، سيدنا محمد الأحمد المحمود ، الذي هَدَى العبادَ الى المعبود ، هداية ارشاد الى ذلك الموصـوف بالكرم والجود ، وعلى جميع اخوانه العباد المصطفين الأخيار وآلـه وصحبه الكرام الأبرار ومَن تبعه باحسان الى يوم القرار ٠

وبعدُ فقد وجدتُ الناس في وَجْدٍ الى تذكرة لمقاصـد الدين والى تبصرة حول مهمات الاسلام للمسلمين ، فبادرت بتقديم هذا الكتاب الناطق بالصدق والصواب ، وسلكت فيه مسلك الاعتدال بين الاخلال والاملال ، بغية الاستفادة منـه في كل وضع وحال ، وجعلت عنوانه ((نور الاســلام)) لمن أراد الفوز بالمرام ، وعلى الله التوكل وبه العون والاعتصام ٠

فمن نور الاسلام ٠٠ الايمان بالله

الايمان بالله تعالى : أي الاعتراف والتصديق والاذعان بأن لهذه الكائنات من العلويات والسفليات ، وما احتوته من سائر الموجودات صانعاً واجبَ الوجود وخالقا لكل موجود ، وهو اللايق بأن يُطاع ، وهو المستحق للتعظيم ، وهو المعبود وكل ما سواه مسخر لقدرته ، وخاشع لهيبته ، ورافِع كفّ الرجاء الى باب رحمته ، لفيض احسانه وكرمه ونعمته ٠

لا حاجة لصاحب العقل السليم الى الفلسفة في هذا الباب ، بل يكفيه أن ينظر بعين العناية الى الوجوه الآتية :

أولاً ـ منذ وجد البشر وهو أرقى الموجودات على هذه البسيطة الغبراء ، وتحت أشعة شمس السماء ، كان أصحاب سلامة العقل والادراك منهم يعترفون بأن لهم خالقا أوجدهم، ورباً رباهم ، يستغيثون به في الملمات ، ويتضرعون اليه في المهمات ، ذلك انهم يشعرون بنقص في ذاتهم ، وعجز في ادراكهم ، وحيرة في عقولهم ، وفتوراً أمام مأمولهم ، ومن كان له شعور بالنقص في النفس ، حتماً يسعى حول الوصول الى كامل يستنجد به ، وعظيم يستعين به ، ولا شك ان الكامل المطلق فوق الكل هو الله الواجب الوجود ، فهو المطلوب والمقصود ٠ فاذا كان أولوا سلامة العقل هكذا ، فما علينا من أصحاب النقص في الادراك ، فقد اتفقت العقول السليمة على المطلوب ٠

ثانيا ـ لاشبهة ان الموجود المحسوس لدينا لايخلو : اما جماد ، أو نبات ، أو حيوان ، ونرى كل ذرة من ذرات الجمادات مسخرة تحت سيطرة التكوين والتحويل ، فمن ماء يتحول بخارا ، وبخار يتحول سحابا ، وسحاب يتقطر ماء ، ومن مواد أرضية تتكون بالتأثيرات ، والانفعالات معادن ·

ومن بذر يخرج من الارض فيؤزره المؤثر ، ويستغلظ فيستوي ويثمر ، وبعد زمان يسقط فيتحول الى مواد أرضية أخرى ، ومن نطفة تتربى وتتصور وتخرج الى عالم العيان ، فيستفيد ويفيد الى أجل مسمى ، فعلم ان كل ذلك واقع تحت سيطرة وقوة ، وان كل قوة مدركة فهي أيضا تحت تأثير قدرة فوقها الى أن يصل الى ما لا قوة تعلوه ، وان أشرفها وأقومها وهو الانسان ، هو دائما في الجهد للخلاص من جهل الى علم ، ومن ضعف الى قوة ، ومن محنة الى استراحة ، فيستمر في حاجة للتطور من طور الى آخر ، ويعود سلسلة حاجاته الى ميسر للامور ، ومسبب للاسباب ، وقوة فوق القوى ، ومعنى هذا كله أن كل موجود مشهود ضعيف ومسخر ومحدود ولا يمكن تصرف هذا المسخر الضعيف في نفسه وفي غيره ، فقد تبين حاجة الجميع الى متصرف مطلق له الابداع والتصرف الكامل ، يغيّر ولا يتغير ، ويسخر ولا يتسخر ، وذلك هو المقصود والمطلوب ·

ثالثاً ـ لا خفاء في ان الله ميّز الانسان بالعقل والعرفان، وبه يتدرّج من حال الى حال ، ومن نقص الى كمال ، وهو في كل حال من أحواله يدرك تمام الادراك أنه لم يحصل له ولا

يحصل ولن يحصل له أقل شيء مما يحتاج اليه ، بدون سبب من الاسباب وعلة من العلل ، ولا يمكن له دفع أية مضرة من المضار الا بدافع وعلاج ، ولم يحصل له بدون حركة وحول منه أو من غيره خبز يأكله ، وماء يشربه ، ولباس يلبسه ، ومحل يسكن فيه ، بدون سبب ومنشأ ، فكيف يعقل هذا العاقل المتطور ، والمدرك المتطور الذي يحسب لنفسه ألف حساب ؟ كيف يتصور ويصدق ؟ بأن شخصه نفسه وقواه وما احتواه حصل أو سيحصل بلا سبب ، وكيف يتصور ان العلويات بما فيها ، والسفليات بما عليها حصلت بدون تأثير مؤثر ، وسببية مسبب ، يؤثر في ابداعه ، واخراجه الى الوجود ؟ ولا شك انه بأدنى انصاف ومراجعة الى وجدانه يعلم ان نفسه وما عداها خلقها خالق وسواها واليه منتهاها وهو المطلوب .

رابعاً ــ لا اشتباه في ان كل من نظر الى وردة جميلة بديعة ، أو صنعة عجيبة ، أو أمر مخترع لم يره قبل ذلك ، أو نقوش مستحسنة ، أو أنسجة متلونة ، علم ان لذلك المنظور عامل وصناع مبدع ، مخترع قدير ، ولا يتوهم ان ذلك كان صدفة بلا أساس ، فكيف يتصور ان تلك القوى المودعة فيه من العين وأغشيتها وأنوارها ومن المشاعر وادراكها واسرارها ، ومن تركيب الجمجمة والدماغ ومحتوياتهما ، ومن المعدة وصنعتها ، ومن المفاصل وانسجامها ، ومن الكف والبنان وخطوطها ، نشأت من دون مؤثر ؟ بله سائر المعنويات التي تتوالى عليه من الاحزان

والأفراح والذوق والنشاط واضدادها ، ومن طموح وميول وما تؤول اليها كيف يقبل ان هذه الأنفس العظيمة الآثار نشأت بدون خالق ؟ بل بالعكس يضطر الى ارجاعها الى باريها وخالقها ومبدعها ، وذلك هو المقصود المطلوب .

خامساً ــ ارفع نظرك الى خيمة السماء ، والى الكواكب النيرة ، والنجوم الزاهرة ، والى الشمس المشتعلة الملتهبة التي تزيد على كرة الارض بنحو (مليون ونصف) مرة ، وتفكر من أين هذه الكرة الملتهبة ؟ ومن أي جهاز تشتعل ؟ وكيف تقف كمركز لمجموعتها ؟ وكيف تجري لمستقر لها ؟ وكيف تدور حولها السيارات على مدارات خاصة مائلة أو مستوية ؟ وكيف يحافظ على سير تلك الحركات ، ومراقبة موازينها ، بحيث لا يتعدى أي كوكب من مداره ، ولا من مقدار آثاره ؟ وكيف لا ينحرف عن المدار ولا يتخلف عن عمله في دقيقة ، أو آن من الليل والنهار ؟ وكيف تدوم على هذه الأحوال تلك المجموعة على الاستمرار ؟ وكيف يدور السيارات على محورها كما يدور حول امها ومركزها فما تلك الجواذب المركزية ؟ وما تلك الموازين الاجتماعية ؟ وفوق هذه المكتشفات ما وراءها مما لم يكتشف الى الآن لا يعلم علمها أحد غير مبدعها ، ألا يقف العقل السليم في مقام الاعتراف بمبدعها مترنماً بقوله : (وعنت الوجوه للحي القيوم)[١] ، لا شك ان الناظر البصير،

---

(١) سورة طه ، الآية ١١١

والناقد الخبير ، يرجع الى رشده ، ويعترف بأن الأجهزة المسخرة المطيعة للاوامر لها آمر مطاع ، له الملك والآثار يكوّر النهار في الليل ، ويكوّر الليل على النهار ، وهو المطلوب .

سادساً ــ ان شئت فانظر نظرة خاطفة في هذا المجموع ، وقل ان الكل اما ممكن مستوي الوجود والعدم ، واما واجب ثابت الوجود من القدم ، أو بعضه واجب أزلي وبعضه ممكن خرج الى الوجود من العدم ، اذا تأملت دقيقة علمت ان الاحتمال الثاني فاسد بلا شبهة ، لأنك تعلم ان الفناء طرأ على كثير من أجزاء المجموع ، والحدوث ثبت لكثير مما شاهدته ، كما ترى ان الجبال تزلزلت ببركان ، وان المياه تبخرت بحرارة في طغيان ، وهذا مما يخالف وجوب الوجود .

وكذا الاحتمال الثالث أي ان بعضه واجب قديم وبعضه ممكن ، اذ لا رجحان للحجر على المدر ، ولا للارض على الماء ، ولا للماء على الهواء ، فعروض الكون والفساد في البعض دليل صحة طروهما في الباقي ، فلم يبق الا الأمر الاول وهو ان الكل ممكن الوجود يستوي عدمه ووجوده ، وكل ما استوى طرفا وجوده وعدمه محتاج الى فاعل مؤثر واجب الوجود موصوف بكماله وقدمه وهو المرام والمطلوب .

سابعاً ــ ان علة هذه المجموعة من حيث العموم ، اما نفسها ، أو بعضها ، أو أمر خارج عنها ، لا يمكن بالعقل البديهي أن يؤثر المجموع في نفسه لانه المؤثر يجب ان يتقدم الاثر ، فلو كان المجموع علة لنفسه لزم ان يتقدم هذا على نفسه ، وذلك مستحيل بالبديهة .

وكذا لا يمكن أن يكون المؤثر في المجموعة بعضها ، لأنه يلزم تقدم هذا البعض على نفسه وعلى غيره ، فيعود الفساد السابق ، فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان علة المجموعة أمر خارج عنها ، ومعلوم ان الموجود الخـــارج عن مجموع الممكنات واجب الوجود ، فثبت المرام والمطلوب .

ومن هنا يظهر كمال الظهور ان القول بتأثير الطبيعـة شيء غلط يجري على اللسان ، ولا أساس له من الصحة ، لأن ما يسمى بالطبيعة اما صفة لمجموع الكائنات ، أو نفسها ، أو خارج عنها .

فان كانت الطبيعة صفة وخاصة عارضة على مادة الكون وأجزائها ، فمعلوم انها تتأخر عن موصوفها ، أي انه يجب أن تكون المادة موجودة ، ثم يعرض عليها الطبيعة ، فلا يكون تأثير هذا المتأخر في الأمر المتقـــدم معقولا ، وكذا ان كانت نفسها أو جزءها ، فانه لا معنى لتأثير الشـــيء في نفسه ، فحينئذ يجب أن يكون الأمر المسمى بالطبيعة خارجة عنها .

وهذا وان كان خلاف المعقول ، لأنه لا معنى لكون طبيعة الشيء خارجة عنه ، لكنّا نسامح ونرتضيه جدلا ، ونقـول هذا الآمر الخارج عن مجموع الكائنات المسمى بالطبيعـة : اما قوة بلا حياة وعلم وارادة وقدرة وباقي الصـــفات الكمالية ، فليس من المعقول أن يكون أمر هكذا منشأ ومؤثراً للكائنات ونظامها وحركاتها وبركاتها وآثارها واستمرارها، وعقلية أشرف نوع فيها وادراكاتها .

فلم يبق الا القول بأن الأمر الخارج من هذه المجموعة المشهودة ذو قوة وكمال وجمال وجلال واجب الوجود المتعال، موصوف بجميع صفات الكمال منزه عن سمات النقص والاختلال ، وله الوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، وأنه هو المؤثر المطلق ، وهو الذي يستند اليه جميع الممكنات الموجودة بالذات ، بلا واسطة في الخلق والايجاد ، وان كل سبب من الأسباب يعتبر من الأمور العادية التي جرت عادة الله لخلق الأشياء عندها ، لا بها ، وان ذلك المؤثر مختار في جميع أفعاله ، لا يجب عليه شيء ، ولا يضطر في حدوث أي أثر منه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وحاصل ذلك هو كما أن وجود الكائنات معلوم ومشهود، كذلك وجود المؤثر الخارج معلوم ومشهود غير أننا لا نعلم ان ذلك المؤثر ما هو وما كنهه وحقيقته ، فان العلم بوجود الشيء لا يوجب العلم بحقيقته ، ولا يقدح ذلك في الاعتراف بذلك والاعتماد اليه ، فان العلم بالصوت يوجب العلم بالمصوت ، لا بحقيقته ، وانفتاح الباب يوجب العلم بوجود الفاتح ، لا بحقيقته ، وآثار البرق والنور توجب العلم بوجودهما ، ولا يوجب العلم بماهيتهما ، وعلمك بحياتك وعلمك وارادتك وقدرتك يوجب علمك بوجود الروح ، أي النفس الناطقة لك ، ولكن لا يوجب العلم بماهية روحك ، وليس ذلك الجهل بقادح في علمك ذلك .

ولذلك ترى كتاب الله سبحانه وتعالى ينطق بوجود الباري وحياته وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ، ولا يتعرض لبيان حقيقته ، وذلك لأن التكليف

لا يتوجه الا بما في الوسع ، وليس في الامكان احاطة الممكن بالواجب ، والناقص بالكامل ، والمحدود باللا محدود •

لا تبدع الكون كعقد نظيم وتردع الذر نظام السديم
طبيعة عمياء في ذاتها وانما المبدع رب عظيم

وفي عين الوقت تشير الآيات الكريمة الى أدلة قاطعة تتحير أمامها العقول فيأتي بقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[٢] •

يعني بعد أن شعر الانسان بأنه مخلوق حي مدرك له صفاته وكمالاته ، هل يزعم أنه مخلوق بدون خالق ، وبدون الحاجة الى منشأ ؟ وهو مستحيل بداهة ، أو يزعم ان أفراد هذه السلسلة البشرية بعضها خالق لبعض ، مع ان ذلك من أوضح المستحيلات ؟ وذلك لأن الأب لو كان هو الخالق لولده ، لاختار ولداً يكون أكبر أفراد السلسلة تقويماً وصورة وسيرة وآثاراً ، مع أن كثيراً من الناس يموتون حاملين أسف العقم وعدم وجود النسل ، وكثير منهم يلدون أولاداً ضعاف النفوس سخاف الطبع مشوهي الصورة والسيرة يخجل الانسان من صحبته فضلا عن قبول علاقته ونسبته •

ويأتي بقوله تعالى : (أفي الله شك فاطر السموات والأرض)[٣] وهذا يشير الى أقوم البراهين ، وهو برهان السببية ، يعني ان الانسان لما نظر الى هذه الأجرام العلويات

---

(٢) سورة الطور ، الآية ٣٥

(٣) سورة ابراهيم ، الآية ١٠

بما فيها من الشمس والقمر والـكواكب المستضيئة المنورة للكون ، ونظر الى الارض ومعادنها ونباتها وحيوانها ، والى البحر وما فيها من الجواهر والحيوانات العجيبة ، فهل يعقل أن تكون هذه الأشباح والمواد وخيراتها ناشئة بدون سـبب وفاعل ؟ وهذه الآية برهان على وجود ذات كامل الصـفات مختار في التأثيرات ، وهو الله سبحانه وتعالى ٠

ويأتي بقوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)[٤] وهـذه مع كونها ناطقة بمنة خلق الزوجات ، لتكون قرينة صاحبها في تأسيس كيان العائلة وكسب الراحة والسعادة ، فهي أيضاً ردّ بأبلغ وجه الى أقوال الزاعمين للصدفة ، وان الكون أثر صدفة واتفاق ، لا فاعل مختار خـلاق ٠ فيقـول هب ان الاتفاقات المتكررة وصلت الى تكوين رجل عاقل ، فهل يعقل أن تصل الاتفاقات الصدفية الى ترتيب سلسلة من متطلبات هذا الرجل العاقل ؟ لتكـوّن في جانبه كائناً آخراً مماثلا لـه في الصورة والظاهر ، ومودعا فيه آثار الجمـال المؤنس ، ومباينا له في بعض التركيبات الداخلية من الرحم وغيرها ، حتى تكون عونا للمخلوق الاول في نيل السعادة الأبدية ٠

وعلى هذا المنوال قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا)[٥] ، فهل يعقل ان تصل الصـدفة الى خلق حشرات في أرقى درجـات الادراك لبنـاء الكورة

---

(٤) سورة الروم ، الآية ٢١
(٥) سورة النحل ، الآية ٦٨

ومنافذها على الشكل المسدس الذي قلما يبقى في خلاله فرجات خالية ، ثم يكون فيه عقلية الادارة والرياســـــة والتبعية والجوقة الموسيقية امام الرئيس وخروجها من الكورة مغنية مطربة حتى يخرج الرئيس فيطير ويطيرون وراءه ، حاشا ثم حاشا ولا مجال لتصور ذلك الا بايحاء خالق حكيم خبير يلهم مخلوقاته الحكمة ٠

ويرد القرآن الكريـم على مزاعـم الدهـريـين الذين ينسبون الحوادث الى الدهر وتصريفاته بنص (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهـم بذلك من علم ان هم الا يظنون)[٦] يعني انهم ينسبون خلق الانسان وحياته وبقائه الى أجل ، ومماته الى الدهر ، ويشتبه عليهم الظروف الزمانية بالفاعل القادر المختار ، مع ان هذا الاشتباه لا يليق الا بأبسط الناس عقلا وادراكاً ، وان تلك النسبة نسبة الى ما لا تأثير له الا بحسب الخرص والظن الغير المفيد ، وذلك لأن الدهر عبارة عن المدة والاستمرار الناشيء عن الدورات والحركات المتعاقبة ، وتلك الحركات حاصلة من قدرة القادر المحرك ، وتلك القدرة قدرة واجب الوجود العالم بما يخلقه المختار في تصرفاته ، فالحق هو نسبة الآثار اليه لا الى الحركات الحاصلة في أشياء جامدة خالية عن العقل والشعور والارادة ٠

---

(٦) سورة الجاثية ، الآية ٢٤

وهكذا يردّ القرآن الكريم على التعطيل والصدفة وتأثير القوى اللا شعورية ، والدهر والطبيعة ، بعبارة سهلة سليمة خالية عن التعمق والتكلف ، وفي عين الوقت تأتي بالأدلة الدامغة للأوهام الدافعة للاشتباهات السائقة لأولى العقل الى الحق واليقين .

ويدعو في كثير من الآيات الى التوحيد والاعتراف بأن خالق الكون واحد ، لأن الخالق انما يليق بالخلق والايجاد والابداع ، اذا كان قادرا مختارا له الخلق والأمر ، وحينئذ لا معنى لاعتبار الشريك معه ، لا سيما اذا كان الشريك مما لا حول له ولا طول ، فيقول (والهكم اله واحد لا آله الا هو الرحمن الرحيم)[٧] ويقول (الله لا اله الا هو الحي القيوم)[٨] ويقول (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض)[٩] وربما يتحدى المشركين بأنه يفعل أشياء عظيمة عجيبة فهل من الشركاء من يفعل مثل ذلك فيقول (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)[١٠] .

وربما يأتي بدليل واضح جلي اعتيادي على التوحيد ، مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)[١١] فان ظاهر الآية دليل اقناعي خطابي مبني على أن تعدد الشركاء

---

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٦٣
(٨) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥
(٩) سورة الزمر ، الآية ٦٢
(١٠) سورة يونس ، الآية ٣٤
(١١) سورة الانبياء ، الآية ٢٢

يوجب النزاع والاضطراب وعدم انتظام الامور ، وهو حق لا يكاد أن يقع خلافه الا نادرا ، كما ان حقيقتها دليل برهاني على التوحيد ، وتقريره أنه لو كان فيهما آلهة بالمعنى الصحيح للألوهية ، لأمكن بينهم التمانع ، ولو أمكن بينهم التمانع ، لزم امكان عجز كل منهم ، ولو أمكن عجز كل منهم ، لم يكن شيء منهم آلها ، ولو لم يكن شيء منهم آلها ، لم يوجد السماء والأرض وغيرهما ، فيكون المراد بفساد السموات والأرض انتفاؤهما وعدم خروجهما الى الوجود ، كما قررها علماء التوحيد .

والحاصل ان الآيات القرآنية ، وان دلت بسلامة العبارة على المقصود ، ولكنها محتوية على تحقيقات وتدقيقات لا يصل اليها ، الا عقول العلماء الاعلام ، وهذه أيضا في حد ذاتها دليل على أن القرآن كلام الله ، ويستدل به على وجوده سبحانه وتعالى من طريق خروجه عن طوق البشر .

.........................★.........................

ويأتي القرآن الكريم بذكر صفات الباري سبحانه بصورة جلية مفهومة لعامة أهل العقل ، مع انها فيها افادة لدقايق وحقايق تندهش أمامها عقول الفحول ، فيأتي في سورة موجزة بجميع صفاته تعالى فيقول (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[1] .

قل يا أيها الرسول الجليل في جواب من يسألك عن وصفي : الشأن ان الذات المعلم بلفظ (الله) : العلم على الذات الواجب الوجود الجامع لجميع الكمالات والمنزه عن كل نقص (أحد) فرد واحد في حقيقة ذاته ، ولا يماثله شيء ، وفرد لا نظير له في صفاته ، وهو الكامل المطلق ، فاندرج في تلك المفردات الموجزة ذاته وصفاته النفسية والسلبية والثبوتية ، وما ذكر بعدها ايضاح لها وجملة (الله الصمد) أي المصمود اليه في كل شيء فجميع ما سواه محتاج اليه ، أي أنه تعالى قائم بالذات ، وغيره قائم به لا يحتاج الى أي شيء ، وغيره محتاج اليه في كل شيء (لم يلد) أحدا لاستغنائه عمن ينوب عنه كالولد للوالد ، فهو آخر الآخرين والباقي أبد الآبدين (ولم يولد) من أحد ولم يستفد الوجود من أي مصدر ، فهو الواجب الوجود الأزلي (ولم يكن له كفواً أحد) لا يماثله أي شيء بحال من الأحوال ، فليس جسما ولا جوهرا ولا عرضا ، فاندرج في صمدانيته وجوده الواجب وحياته

---

(١) سورة الاخلاص ...

وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامـه ، لأن من لم يكن موصوفا بتلك الصفات لا يكون مصموداً اليه لكل شيء في كل شيء ، واندرج بقاؤه في قوله (لم يلد) كما اندرجت أزليته في قوله (ولم يولد) واندرج عدم مماثلته لما سـواه مطلقا في قوله (ولم يكن له كفواً أحد) ٠ كما أفاد وحدته ، وعدم وجود المماثلة له في وجوب الوجود ، وفي الخالقية وفي المعبودية ، هذه الوحدة التي بها كمال التوحيـد لكل مؤمن موحّـد ٠

ويفيد أزليته وأبديته ، أي قدمه وبقاءه وظهوره أمـام العقول بالأثار ، وخفاءه بالـكنه والحقيقـة على أسـاس الاستأثار ، أي ان العالم بذاته وصفاته هو ذاته فقط قولـه تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شـيء عليم)[٢]، وذلك لأن الاولية الحقيقية لا يتحقق ، الا بالأزلية كما ان البقاء بمعناه السـليم ، لا يتحقق الا بالأبـديـة والآخريـة ٠

ويأتي القرآن الكريم بذكر صفاته الباقية في صـياغة حسنة مفهومة ، فيأتي ببيان حياتـه تعالى بقـولـه (الحي القيوم)[٣] وفي عين الوقت أفادت علة حياته تعالى بأنه قيوم للجميع ومدبر لأمورها ، والتدبير والقيومة ، لا يمكن الا من

---

(٢) سورة الحديد ، الآية ٣

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥

الحي لبداهة أن الموت والجمود ينافيان الادارة والمراقبه وهو ظاهر .

ويذكر القرآن الكريم صفة علمه تعالى بأبلغ العبارات فيقول (ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون)[٤] . ويقول (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين)[٥] فينسب العلم بالكليات والجزئيات الى الله سبحانه ، ويرد على الجهلة المتفلسفة الذين أنكروا علمه تعالى بالجزئيات بما لا مزيد عليه ، ويقول (الا يعلم من خلق وهو اللطيف)[٦] يستنكر عدم علمه ويثبت علمه ، ويستدل عليه بأنه خالق ، والخالق لا بد أن يكون عالما بما يخلقه معنويا أو ماديا ، بسيطا أو مركبا من الاجزاء ، ويعلم بقدرها وحالها ومآلها ، والا فلا يميز شيئاً عن شيء ولا يصل الى ايجاد شيء .

ثم في القرآن الكريم صفة ارادته ، أي أنه تعالى حسب علمه الأزلي بالكائنات يخصص شيئاً بالجود وشيئاً بالعدم ، وينفذ ما أراده بقدرته، واختياره فيقول(انه هو يبديء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعّال لما يريد)[٧] . ويرشد الى أن كل ما يفعله سبحانه فهو بارادته ، ويرد على

---

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٦
(٥) سورة يونس ، الآية ٦١
(٦) سورة الملك ، الآية ١٢
(٧) سورة البروج ، الآية ١٣ _ ١٦

من يقول بعجزه تعالى واضطراره ، ووجوب شيء عليه تعالى عن ذلك ٠

وكذلك يصرح بقدرته وسيطرته على كل ممكن من الممكنات سواء كان جاريا على سننه الكونية الاعتيادية، أو على طريق خرق العادة ، فيقول (وهو على كل شيء قدير)[٨] ويقول (والسماء رفعها ووضع الميزان)[٩] ويقول (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى)[١٠] ٠

ويصرح بأنه سميع بصير فيقول (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا)[١١] ويقول في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمرأة المجادلة (والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)[١٢] ويعلن كلام الله سبحانه في آيات (وكلم الله موسى تكليما)[١٣] ٠ (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات)[١٤] ٠ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك)[١٥] ٠ (اني اصطفيتك على

---

(٨) سورة هود ، الآية ٤٠
(٩) سورة الرحمن ، الآية ٧
(١٠) سورة الاسراء ، الآية ١
(١١) سورة المجادلة ، الآية ٧
(١٢) سورة المجادلة ، الآية ١
(١٣) سورة النساء ، الآية ١٦٣
(١٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣
(١٥) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣

الناس برسالاتي وبكلامي)[١٦] . (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم)[١٧] . الى غير ذلك من الآيات البينات الناطقة بصفاته تعالى .

ونحن سمعناها وأخذناها وآمنا بها وفوضنا كنهها اليه تعالى ، ذلك انا اذا راجعنا أنفسنا وجدنا علمنا صوراً وانكشافات نفسية ناقصة عن الاحاطة بكثير ووافية ببعض الأشياء ، ووجدنا ارادة وتخصيصات لفعل أشياء أو تركها ، وربما نعجز عن تنفيذ ما أردناه ، ونجد قدرتنا قاصرة لا تتوجه الى أشياء بسيطة وان سمعنا : بوصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت الى الصماخ ، وان أبصارنا : بانكشاف صورة المرئي لنا سواء كان الانكشاف بالانطباع أو بخروج الخطوط الشعاعية من الحدقة الى المرئي ، وان كلامنا النفسي عبارة عن قوة تنبعث منها عبارات نفسية مخزونة تناسب العلم والارادة . وان كلامنا اللفظي عبارة عن أصوات مقطعة في مخارج متعددة يتركب منها المفردات والجمل ، وكل ذلك لا يكون فينا الا محدودا معدودا ، وأما تلك الصفات بالنسبة اليه فليست على ذلك المنهج فعلمه شامل أزلي أبدي ثابت ، وارادته أزلية وقدرته أزلية نافذة حسب تعلق العلم والارادة ، وان سمعه وبصره (كشقان) آخران لا مناسبة بينهما وبين ما عندنا ، فيقال في التعاليم ان سمع الله بالنسبة الى

---

(١٦) سورة الاعراف ، الآية ١٤٤

(١٧) سورة الشورى ، الآية ٥١

صوت دبيب نملة صغيرة على صخرة ملساء أعلى من صوت نعال جواد ركبه فارس عظيم الهيكل يركض به على حجارة خشنة ، وكذلك كلامه تعالى بعيد عن مناسبته لكلامنا ، فما يقول بعض علمائنا الاعلام ان سيدنا موسى كان يسمع كلامه[١٨] سبحانه من جميع الجهات . لا من جهة واحدة وبجميع ذرات جسده لا بالسمع فقط ، وليس من مقدورنا الاحاطة بكنه ذاته تعالى ، ولا بكنه صفاته ، بل ولا بكنه الأشياء المحسوسة عندنا ، وانما نعرف منها خواص وأوصافا نميز بها بعضها عن بعض ، ونستفيد من تلك الصفات والآثار بقدر(تيسر)الله تعالى لنا . فشأننا في هذه الصفات الأزلية لا يتعدى عن ذلك ، فالآثار تدل دلالة قاطعة على ذاته تعالى وصفاته حياته وعلمه وارادته وقدرته وكلامه وغير ذلك ، بحيث لا يبقى مجال شبهة للعاقل المنصف ، وما أتانا الرسول الاعظم بشيء فوق مقدورنا (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[١٩] ، فانا نؤمن بالله وصفاته لا نعطل ولا نشبه ونسلك سبيل الاعتدال على الصراط المستقيم فاسلك أيدك الله (وقل انني هداني ربي الى صراط مستقيم)[٢٠] .

---

(١٨) قال الامام الغزالي ـ رحمه الله ـ : ان سيدنا موسى سمع كلام الله بغير حرف ولا صوت ، كما يرى الابرار ذات الله في الآخرة من غير جوهر ولا عرض . الاحياء (١/٨٠) منه .

(١٩) سورة الحشر ، الآية ٧

(٢٠) سورة الانعام ، الآية ١٦١

زبدة وخلاصة

تكلمنا في هذه الصفحات عن ذات الباري سبحانه وتعالى وصفاته بما يناسب المقام ، ومما ينبغي ان تعلم ان الانسان ليس مخلوقا خلق سدى ، وانما خلق لتحمل مسؤوليات عظيمة شاء أو أبى ، فهو كشخص وقع في فلاة تركه أصحابه، فيجب عليه الجهد بقدر المستطاع للنجاة والخلاص ، فلا يمكن للعاقل أن لا ينظر الى نفسه الضعيفة الغير القادرة على تكوين شخصه وما يحتاج اليه ، ولذلك علمنا هنا ان الانسان من سابق الأزمان الى الآن اعتبر واستبصر وتفكر ونظر وجاهد واجتهد ، كي يعلم الحقيقة ويصل الى ما تطمئن له قلبه ، فمنهم من شرح الله صدره ووهبه ادراكا وحضورا واطمئناناً لا يحتاج بعده الى دليل وتعليل ، كما روى عن سيدنا علي رضى الله عنه انه قال (لو كشف الغطاء ما زدت يقينا) أي لو شاهدت ربي بعين باصرتي ما حصل لي يقين أعلى مما وهبه الله تعالى ونور به عين بصيرتي . وهذا هو مقام الحضور والشهود ، والمطيع في هذا المقام محسن أي انه يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يرى ربه فيوقن بأن الله يراه .

ومنهم من آتاه الله مقام الاستدلال ، فاستدل على ذات الباري وصفاته ، وكل ما استدل به حسب الاستقراء لم يخرج عن وجوه أفادها القرآن الكريم بسلامة المنطوق ووضوح الدلالة .

ذلك ان استدلالهم على وجوه :

الأول ـ الاستدلال على ذات الباري بامكان السموات والأرض وما فيهما ، أي انها موجودات ممكنة يستوي وجودها وعدمها ، أي لا يجب وجودها ولا يجب عدمها ، وذوات كذلك تفتقر الى ذات واجب الوجود يكون مبدءأ لها ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)[1] أي أنتم الممكنات المحتاجة الى مبدأ غير محتاج ، وذلك المبدأ الغني هو الله الحميد في كافة شؤونه فاذا كان أشرف الموجودات كذلك فالجوامد والمواد الغير الحساسة كذلك بالأولى ٠

الثاني ـ الاستدلال بامكان صفات الممكنات ، أي ان كل صفة من صفاتها يستوي وجودها وعدمها ، فعلوية الأجرام العلوية واستدارتها واستنارتها وحركاتها وعوارضها وعوارض الاجرام السفلية تتطور وتتحول وتتسخر فهي من المحتاجات الى باريء يأتي بها اذا شاء ويزيلها اذا شاء واليه الاشارة في قوله تعالى (جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً)[2] فانبساط الكرة ووهداتها وصحاريها وجبالها ، وجريان عيونها واخضرارها وجدبها،وعواصف الجو ونزول أمطارها وضياؤها وظلماتها كلها مما يتقلب ويتغير ومبدؤها هو الله الخالق الحكيم ٠٠

(١) سورة فاطر ، الآية ١٥

(٢) سورة غافر ، الآية ٦٤

ثالثها ـ الاستدلال بحدوث الأجسام وزوالها ، واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه السلام (فلما أفل قال لا أحب الآفلين)[3] أي فلما زال القمر وانتقل من الأفق قال لا أحب الزائلين ۰

رابعها ـ الاستدلال بحدوث الأعراض والصفات في الأنفس والآفاق ، أما دلالة حدوث الصفات في الانفس ، فلأن كل أحد يعلم أنه لم يكن موجودا قبل ولادته ، وهو الآن موجود بهذا الهيكل والعوارض والصفات يولد صغيرا فينمو، يصح فيتمرض ، يحزن ويفرح ، يقوى ويضعف ، وكل ما يوجد بعد العدم لا بد له من موجد ، وذلك الموجد ليس نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس ، لان عجزهم عن ابداع مثل هذا الموجود معلوم بالبديهة ، فلا بد من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه ايجاد هذه الموجودات بحكمة واتقان ۰ ولما توهم متوهم لم لا يجوز أن يكون لطبائع الأرض والسماء والفصول والأفلاك والنجوم دخل وتأثير ، ألفت الله أنظار العقلاء الى رد ذلك بقوله (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بنيها رفع سمكها فسويها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحيها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرسيها)[4] أي ان كل ما يتوهم أنه مؤثر فهو ضعيف ومخلوق ومتأثر بسيطرة القادر العزيز ۰

ومن هنا يتبين أيضا دلالة الآفاق على العليم الخلاق ،

---

(٣) سورة الانعام ، الآية ٧٦

(٤) سورة النازعات ، الآية ٢٧ ـ ٣٢

فالارض والجبال جبال يتصرف الباري سبحانه وتعالى في هذه الاجزاء السفلية والعلوية . فيكون في بعض الاراضي الجبال العيون والمعادن والاشجار ، وفي بعضها لا يوجد أثر من ذلك ، وجعل أضواء النجوم على أوجه مختلفة بالزيادة والنقص وسخرها لمشيئته وارادته فسبحان الله عما يصفون .

ومما يجب أن يعلم أنه ليس الغرض من الآيات القرآنية ودلائلها المجادلة ، بل الغاية تحصيل العقايد الحقة وتوجيه العباد الى الله واطمئنان قلوبهم ، فالدين وعظ وارشاد ومجاملة ، لا مراء ونزاع ومجادلة ، فالمنصف يجب أن ينظر بنفسه لنفسه حتى يستوي ويعتدل ويراعي جانب نفسه وجانب قدسه ، فأشرف الأوصاف هو الانصاف ، وأكمل الاحوال هو الاعتدال ، ولذلك نرى ونسمع ان العارفين لم يأتوا في هذا الموضوع الا بما يجذب القلوب الى المطلوب ، بالتعبير اللطيف وحسن الاسلوب .

ومن ذلك ما يحكى ان جمعا من الدهرية دخلوا المسجد الذي فيه الامام أبو حنيفة يريدون قتله ، فقال لهم : أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا له هات ، فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم اني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال ، قد احتوشها في البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا لا ، هذا شيء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر

مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبكوا جميعا وقالوا : صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا .

وسئل مرة أخرى عن الخالق المختار فتمسك بأن الوالد يريد أن يولد له ذكر فيولد انثى ، وبالعكس ، فدل هذا على الصانع .

وسأل هارون مالكا عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات .

وسئل الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على وجود الصانع ، فقال : ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم ، وتأكلها النحل فتخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، ويأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك ، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع ان الطبع واحد ، فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وهم سبعة عشر .

وسئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقال : قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الأبريز ، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل ، يريد بالقلعة : البيضة ، وبالحيوان الفرخ .

رؤيته سبحانه وتعالى

ومن أحواله جل شأنه انه يراه المؤمنون يوم القيامة عياناً بعيون رؤوسهم مطمئنة بها نفوسهم مستغرقة في أنوار تجلياته الحسنى التي لا حسنى فوقها قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(*) وفسرت الزيادة بالرؤية لوجهه الكريم وقد ثبت في أحاديث كثيرة وروايات مختلفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم رؤية المؤمنين ذات الباري سبحانه .

في تفسير القرطبي وروى جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فنظر الى القمر ليلة البدر ، فقال « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . ثم قرء وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » (متفق عليه) وخرجه أيضا أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . وقال السعد في شرحه للنسفية ان حديث الرؤية رواه واحد وعشرون من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم(١) .

(*) سورة يونس الآية ١٠

(١) قال السيوطي قلت اما بهذا اللفظ فأخرجه الشيخان من حديث جرير البجلي ، وابي هريرة ، وابي سعيد الخدري . وأخرجه اللالكائي من حديث حذيفة بن اليمان . وأخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابي رزين العقيلي ولا سادس لهم .

وأما مطلق الرؤية من غير تقييد بهذا اللفظ فورد من حديث أبي بكر الصديق ، وعلي بن ابي طالب ، وأنس ، وجابر بن عبدالله ،

ويدل على امتياز المؤمنين بهذه الزيـادة العظمى قولـه سبحانه وتعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة »[٢] والتفسير : وجوه يوم القيامة حسنة متنعمة ذات نضارة وبهجة ناظرة الى وجه ربها الكريم • ووجوه يوم القيامة كالحة عابسة توقن وتعلم انه يفعل بها ما لا يستوفيه الا الداهيـة الكبرى والبليـة العظمى • ويدل على حرمان الكفار أيضـاً عن هذه النعمة قوله تعـالى (كـلا انهـم عن ربهم يومئـذ لمحجوبون)[٣] ، وهذا الذي ذكرناه من تمتع المؤمنين برؤية الله يوم القيامة ، ومنع الكفار عنها مذهب جمهور أهل السنة والجماعة •

ومخالفة أهل البدعة ساقطة عن الاعتبار ، واستدلالهم بآية (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصـار)[٤] مردود بحمل ذلك على الدنيا ، أو على الادراك بحيث يوصـل الى كشف شخصيته الكريمة ، ويدل على ذلك آخر الآية الشريفة أي (وهو اللطيف الخبير) فان اللطيـف لا يـدرك تمـام الادراك • ثم يستفاد من قوله : وهو يدرك الابصار انه تعالى

وزيد بن ثابت ، وصهيب ، وعبادة بن الصامت ، وابن عباس ، وابن عمر، وعدي بن حاتم ، وعمار بن ياسر ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ، وابي موسى •

أنظر تخريج الاحاديث والآثار في شرح العقائد النسفية للسيوطي مخطوط •

(٢) سورة القيامة ، الآية ٢٢

(٣) سورة المطففين ، الآية ١٥

(٤) سورة الانعام ، الآية ١٠٣

يرينا ويرى أبصارنا فكما تحقق رؤيته لنا يتحقق رؤيتنا له بلا شبهة والحمد لله ·

وأما استنادهم الى اعتبار شروط في الرؤية يستحيل تحققها في رؤية الباري سبحانه فساقط ، لأنه قياس الغائب على الشاهد وهو قياس فاسد كاسد ، ومن مشى على ذلك مشى على أشواك ، فان الجنة ونعيمها وأهلها خالدة مؤبدة ، وان ثمارها دائمة وظلها دائم ، وان أهل الجنة يتنعمون بلا أذى مادي أو معنوي وان نتايج مأكولاتهم ومشروباتهم رشحات عرق تخرج وتفوح ، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، ويستفاد من ذلك أن قوى عالم الآخرة غير قوى عالم الدنيا ، وان الله قادر على كل شيء ، فلا مانع عقلا ونقلا على تنعيم المؤمنين برؤية ذاته (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[8] ·

---

(٨) سورة آل عمران ، الآية ٧٤

(الملائكة)

الايمان بوجود الملائكة ، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة باذن الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة طيبة نظيفة ٠

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أوصافهم وأصنافهم ، وأوصافهم كثيرة : أحدها الرسالة لبعض منهم بين الله تعالى وأنبيائه ورسله ، أي انهم يوصلون وحيه تعالى اليهم قال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا)[1] والثاني اجتنابهم عن النواهي وامتثالهم للأوامر قال تعالى : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[2] ٠

وأما ما دار على الألسنة من قصة هاروت وماروت ، من أنهما ابتليا بالمعصية فكذب صريح لا أصل له ولا أساس ، لانه على قراءة الملكين (بكسر اللام) وهي قراءة متواترة ، فالأمر واضح ، لأنه يتبين أنهما لم يكونا من الملائكة بل من الملوك ، وكانا عالمين بالسحر ويعلمانه الناس مع التوصية على أن لا يكفروا بمزاولته ، بل يتعلمونه ليقوا أنفسهم من شر السحر ٠ وأما على قراءة الملكين (بالفتح) فتعليمهما الناس السحر كان حكمة من الله حتى يميز الناس المعجزات

---

(١) سورة الحج ، الآية ٧٥

(٢) سورة التحريم ، الآية ٦

والكرامات من السحر ، وحتى يحفظوا أنفسهم من الوقوع في شبكة السحرة ، وظاهر الآية دال على هذا المعنى • فان قيل كيف يعقل ثبوت القراءتين مع منافاتهما • قلنا : لا منافاة ، لأنه على قراءة الكسر يستفاد أنهما كانا ملكين من ملوك بابل وكانا صاحبي ايمان وأخلاق ولذلك يوصون الناس بالخير • وأما على قراءة الملكين (بالفتح) فمعناها أنهما مع كونهما من الملائكة كانا من كبار الملائكة وفي درجة الملوك بينهم(٣) •

والوصف الثالث دوام طاعتهم قال تعالى (يسبّحون الليل والنهار لا يفترون)(٤) •

والرابع خوفهم من الله تعالى ، قال تعالى (وهم من خشية ربهم مشفقون)(٥) •

الخامس قرب منزلتهم ورفعة درجتهم لقوله تعالى (بل عباد مكرمون)(٦) •

السادس انهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم)(٧) استنكر الله تعالى اعتقاد الكفار أنوثة الملائكة ،

---

(٣) للتأكد من صحة كلام الاستاذ ومتانته بامكانك أن تراجع تفسير الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) سورة البقرة ، آية ١٠٢

(٤) سورة الانبياء ، الآية ٢٠

(٥) سورة الانبياء ، الآية ٢٨

(٦) سورة الانبياء ، الآية ٢٦

(٧) سورة الزخرف ، الآية ١٩

واذا لم يكن فيهم أناث لا يكون فيهم الذكور أيضا ، لأن إباء الماهية النوعية عن أحد الزوجين يقتضي إباءها عن الآخـر كما حقق في محله .

وأما الأصناف فكثيرة أيضاً : أحدها ـ حملة العرش قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[٨] .

الثاني ـ الحافّون حول العرش لقوله تعالى (حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)[٩] .

الثالث ـ أكـابـر الملائـكة ، ومنهم جبريل وميكائيل صلوات الله عليهما لقوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)[١٠] ومنهم عزرائيل واسرافيل كما ورد في الآثار الكثيرة .

الرابع ـ المتهئون لنصر أولياء الله وقهر أعدائه كما في قوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيـكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)[١١] .

الخامس ـ ملائكة الجنة لقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب)[١٢] .

---

(٨) سورة الحاقة ، الآية ١٧

(٩) سورة الزمر ، الآية ٧٥

(١٠) سورة البقرة ، الآية ٩٨

(١١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٤

(١٢) سورة الرعد ، الآية ٢٣

السادس ـ ملائكة النار لقوله تعالى (عليها تسعة عشر)[١٣] .

السابع ـ الموكلون ببني آدم لقوله تعالى (ما يلفظ من قوله الا لديه رقيب عتيد)[١٤] .

الثامن ـ من كتبة الاعمال لقوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين)[١٥] .

التاسع ـ مأمور سؤال الموتى كما ورد في الحديث الشريف « انه يأتي الميت ملكان يسألانه عن ربه وعن دينه » الى آخره[١٦] .

العاشر ـ الموكلون بأحوال العالم وهم المرادون بقوله تعالى (والصافات صفا)[١٧] وقوله (والذاريات ذرواً)[١٨] الى قوله (فالمقسمات أمرا) وبقوله تعالى (والنازعات غرقا والناشطات نشطا)[١٩] الى قوله (فالمدبرات) وغيرهم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو)[٢٠] .

---

(١٣) سورة المدثر ، ٣٠

(١٤) سورة ق ، الآية ١٨

(١٥) سورة الانفطار ، الآية ١٠

(١٦) عند مسلم جاء في حديث طويل بلفظ « يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل » الحديث ٠ أنظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢١/١٠) ٠

(١٧) سورة الصافات ، الآية ١

(١٨) سورة الذاريات ، الآية ١ ـ ٤

(١٩) سورة النازعات ، الآية ١ ـ ٥

(٢٠) سورة المدثر ، الآية ٣١

(الجـن)

الايمان بالجن ، وهم أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مطلقا ، ويوصفون بالذكورة والأنوثة ، وأبوهم الأول الجان ، وقد قال تعالى (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم)[1] ، وفيهم المطيع والعاصي وقد أرسل اليهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، والكافرون منهم شأنهم الاستكبار والطغيان والكفر واغواء الناس ولا تأثير لهم في أي شيء الا باذن الله تعالى ، قال تعالى (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين)[2] ، وقال (قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الرشد فآمنا به)[3] الآية . والشياطين من ذرية ابليس ، وابليس من الجن لقوله تعالى (كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[4] .

ولا يمتنع ظهور الملائكة والجن والشياطين على بعض الابصار في بعض الاحوال ، والحاصل انوجود الملائكة والجن والشياطين مما ورد به نصوص الدين من الكتاب والسنة وان انكار وجودهم خروج عن الدين وكفر صريح .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٧
(٢) سورة الاحقاف ، الآية ٢٩
(٣) سورة الجن ، الآية ١ ـ ٢
(٤) سورة الكهف ، الآية ٥٠

ولا يمتنع ظهور الملائكة والجن والشــياطين على بعض الأبصار في بعض لأحوال دون بعض ٠

وليس كل مالا يدرك بالبصر معـــدوما فان في الكون أشياء لم تنكشف للناس الى يومنا هذا ولم يبصره أحد مـع ان الاختراعات المتتالية تفيد وجودها ووجود أمثالها ٠

★ ★ ★

الكتب

ومن نور الاسلام الايمان بالكتب المنزلة على الرسل من الله سبحانه وتعالى اجمالا وتفصيلا • أما الاجمال ففي ما لم يصل الينا تفصيله ، فنؤمن بأنه سبحانه وتعالى أنزل الصحف على سادتنا : آدم ، وشيث ، وادريس ، وابراهيم ، وغيرهم من المرسلين ، والمشهور ان المنزل على سيدنا آدم عشرة صحائف ، وعلى شيث خمسون ، وعلى ادريس ثلاثون ، وعلى ابراهيم عشرة ، والمجموع مع الكتب الأربعة مائة وأربعة كتب ، والرسول الذي لم ينزل عليه مستقلا كان يعمل بالكتاب السابق •

وأما التفصيل فبأن نؤمن بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والانجيل على عيسى ، والقرآن الكريم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر اخوانه أجمعين •

ولا بد في الايمان بالكتب من أمور :

الأول ـ الايمان بأن هذه الكتب وحي من الله تعالى الى رسله ، وأنه ليست من الأمور الاكتسابية ، ولا من قبيل الكهانة والسحر ، ولا من باب القاء الشياطين والأرواح الخبيثة •

والثاني ـ الايمان بأن هذه الكتب المنزلة نزلت مع جبريل الأمين ، ولم يكن في امكان أي جن أو انس التعرض لها والقاء شيء من ضلالاتهم فيها كما قال تعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل)[1] .

والثالث ـ الايمان بأن الكتاب المنزل على سيدنا محمد لم يتطرق اليه خلل وعيب منذ نزل بالحق الى يومنا وسيبقى هكذا لقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[2] .

والرابع ـ الايمان بأن القرآن مشتمل على آيات محكمات هن أم الكتاب وآيات متشابهة . وان المحكمات حاكمة على المتشابهات فلا يجوز في المتشابهات اعتقاد معنى يخالف النصوص المحكمة .

ولنا في المتشابهات رأيان :

الأول ـ الايمان بها وتفويض المعنى المراد منها الى الله سبحانه وتعالى ، فلا نتكلم في تفسيرها وتأويلها ونقف عندها وقفة الاحترام والاجلال ، ونفوض المراد منها الى الله المتعال ، وهذا رأي السلف .

والثاني ـ تأويلها تأويلا صحيحا سليما ماشيا مع مقتضيات الآيات المحكمات حيث ان الآيات جاءت للارشاد

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ١٠٥

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩

والأصلاح وانما يتيسر الارشاد بما يفهم معناه ومغــزاه ، وهذا رأي الخلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين ٠

وبحثنا نحن المسلمين مع القرآن الكريم ، فانــه أصل ديننا ودستور الهي أنزله الباري سبحانه وتعالى الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ٠

فالقرآن هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاث وعشرين سنة ، للعمل بمقتضاه عقيدة وعملا ، والتعبد بتلاوته ، والاعجاز بمقدار أقصر سورة منه وكان مبدأ نزول هذا القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في السابع عشر من رمضان المبارك الواقع في العام الأربعين من عمره الشريف ، وكان صلى الله عليه وسلم في غار (حراء) من بعض جبال نواحي مكة المكرمة ، وأول ما نزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقــرأ وربــك الاكــرم الــذي علم بالقــلم)[٣] ٠

وبعد ذلك نزل بالتدريج حسب ما اقتضــته الحكمة الالهية في مدة ثلاث وعشرين سنة وآخر ما نــزل منــه آيــة (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)[٤] ٠

---

(٣) انظر صحيح البخاري باب كيف كان بدأ الوحي قبل كتاب الايمــان ٠

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨١ ٠ فمن أراد المزيد بامكانه ان يراجع كتاب البرهان في علوم القرآن ١/٢٠٩ ٠

وكان نزول أمين الوحي جبريل عليه السلام على أوجه منها انه يتمثل له بصورة ملكية مهيبة ، ومنهـا انه يتمثل بصورة انسان معتدل يسمى (بدحية) وهو من أصهاره صلى الله عليه وسلم ، ومنها انه يأتيه بلا انكشاف الصورة مع صلصلة كصلصلة الجرس يسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم ويغيب عن حالته الاعتيادية ، وذلك أشد أحوال نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم .

ولما كان أوقات مبادىء دعوى الرسالة منه وايمان الناس به أوقاتا حرجة دقيقة ، وكان من يدخل في الاسلام يدخل في آفاق واسعة من انشراح الصدر ، وفي عين الوقت يدخل في موجة رهيبة من الأضطهاد والاذى بتعدي المشركين ، وكانت الدعوة في اختفاء ، ما أمكنهم الكتابة بصورة واسعة وانما يحفظون ما قرأه عليهم الرسول عن ظهر القلب وتلاوته وتكراره ، مع العلم ان أمة العرب كانت أمة أمية ، وكان اعتمادهم في قصصهم وأدبهم على الحفظ في الصدور ، فأخذ القرآن موقع الصدارة من صدورهم ، لا سيما وكان ينبعث القرآن من عالم الغيب المتلاطم بموجات الأنوار ، ويحدث بكل ما نزل من الآيات تطور لقلوب المسلمين ، وتدرج من درجة الى درجة أعلى كلما (تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) [٥] .

---

(٥) سورة الانفال الآية ٢ .

الى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة واستقر بها المسلمون ، فأمر رجالا كراما من الصحابة بكتابة الوحي من أول ما نزل الى ذلك اليوم ومن ذلك التأريخ الى وفاته عليه الصلاة والسلام ٠

وبلغ عدد كتاب الوحي نيفا وأربعين شخصا منهم الخلفاء الراشدون ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت ، وأُبي ابن كعب وغيرهم كما هو مذكور في كتب السير ٠ وبما انه لم يكن اذ ذاك أوراق قرطاسية وما كان الناس يتمكنون من صحايفه جلود مصفاة كانت كتابتهم على عظام الاكتاف وسعاف النخل والحجارة الملساء ، وكان أخص الناس بكتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، وكان كل ما نزل من الوحي يبلغه الرسول عليه الصلاة والسلام اليهم والى غيرهم فيكتبونه ويحفظونه يكررونه آناء الليل وأطراف النهار ، ويعلم الحفاظ أهلهم وذويهم ، فعندما يمر الانسان بأطراف دور الأصحاب يسمع دويا كدوي النحل من قراءة القرآن ، فتنور العالم الاسلامي بأنوار القرآن ، ولم يكن عندهم كلام ووعظ وارشاد وحكمة يصل درجة آية من آيات القرآن فالاعتناء بها كان في أعلى درجات الاعتناء ٠

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كتاب الوحي بضم الآيات بعضها الى بعض ويعلمهم انتهاء سورة من السور بنزول « بسم الله الرحمن الرحيم » فلم تكمل سورة الا بتوقيف جبريل للرسول واعلام الرسول أصحابه الكرام ولم تأخذ آية

من أي سورة محلها الا باعلام الرسول وتوقيفه (٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن المحفوظ عنده في رمضان كل سنة مرة على جبريل عليه السلام ، ولكنه قرأه عليه في الرمضان الاخير من حياته مرتين كما قرأ زيد بن ثابت ماعنده من القرآن مرتين فيها ، ولعل هذا الامر نعي بوفاته صلى الله عليه وسلم ، واعلان أن زيد بن ثابت أمين على الوحي المنزل .

وهذا لجمع الموجود عند زيد بن ثابت هو الجمع الاول الموجود في آخر حياته صلى الله عليه وسلم وعند وفاته في ربيع الأول في العام الحادي عشر الهجري .

ولما ألقت الخلافة قيادها الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ووقعت وقايع حربية مدهشة في جزيرة العرب ، ولا سيما ما وقع بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب وأعوانه في اليمامة ، واستشهد في هذه الواقعة نحو سبعين صحابيا من قراء القرآن الكريم خاف عمر بن الخطاب من ضياع القرآن بموت القراء وأشار الى سيدنا أبي بكر بجمع القرآن في صحايف مضبوطة ووافق أبو بكر على ذلك واسمعوا زيد بن ثابت ما عندهم وترجياه الوفاء بهذا الأمر ووافقهما وشرعوا في انجاز المهمة العظيمة .

---

(٦) حيث روى عن ابن عباس رضى الله عنه كان النبى لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وفي رواية : لا يعرف انقضاء السورة ، رواه ابو داود . والحاكم وقال : انه صحيح على شرط الشيخين . انظر نصب الراية ١/٣٢٧ .

فجمعوا كل من كان عنده قرآن مسطور أو محفوظ في الصدور فكتبوا جميع ما عندهم بعد الاطمئنان والاستيثاق في صحائف من الجلد ، وحفظت عند سيدنا أبي بكر الصديق في حياته واستلمها عمر بعد استخلافه ، وبقيت عنـــده الى استشهاده ، وبعد وفاته بقيت عند أم المؤمنين حفصة بنتــه رضي الله عنها الى أيام خلافة عثمان رضي الله عنه ·

وفي أيام عثمان رضي الله عنه زادت الفتوحات واتسعت رقعة الخلافة شرقا وغربا جنوبا وشمالا ، فصادف ان وقــع بين المجاهدين من الاصحاب الكرام عندما وصلوا الى (بــاب الأبواب شمال اذربيجان) اختلاف في بعض القرآت كادت أن تؤدي الى فتنة كبيرة أطفأها الله تعالى برحمته · وكان حذيفة ابن اليمان صاحب أسرار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدا لما جرى ، فرجع الى المدينة المنورة ولم ينزل الا على الخليفــة عثمان ، ووصاه بجمع القرآن وجمع الناس على وضع لا يكون مثاراً للاختلاف وحذره من مغبة اهمال ذلك الأمر العظيم ·

فاستشار عثمان رضي الله عنه الأصحاب الموجودين من المهاجرين والانصار بما فيهم ســيدنا علي بن أبي طالب وبقية العشرة المبشرة حول القضية فاتفقت آراؤهم على جمع القرآن الكريم مرة أخرى ، فأرســـل عثمان الى أم المؤمنين حفصة ، لأخذ القرآن المجمع عليه في عهد أبي بكر ، فارسلته اليه ، وعهد عثمان في نسخ المصــاحف الى أربعــة من خـيرة الصحابة وثقات الحفاظ ، وهم زيد بن ثابت ، وعبدالله بــن

الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وهؤلاء الثلاثة الأخيرة من قريش .

وقرر أن لا يكتبوا في هذه المصاحف الا ما تحققوا أنه قرآن ، وعلموا أنه استقر في العرضة الأخيرة ، وما أيقنوا صحة نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتركوا ماسوى ذلك نحو (فامضوا الى ذكر الله) بدل (فاسعوا الى ذكر الله)(٧) ، وأمرهم عثمان أن يكتبوا القرآن على الوجه التالي :

اللفظ الذي لا تختلف فيه القراءة يرسم بصورة واحدة لا محالة .

والذي تختلف فيه القراءة ويمكن رسمه في المصحف محتملا لتلك الوجوه رسموه كذلك كلفظ (فتبينوا) (٨) في الحجرات حيث يحتمل لقراءة (فتثبتوا) مجردة عن النقط فكتبوه برسم واحد محتمل لهما .

وما لم يمكن فيه رسمه محتملا لها كتبوه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف ، وكتبوه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر وذلك نحو (وصّى) ماضيا من باب التفعيل و (أوصى) ماضيا من باب الأفعال .

وقد نسخ بأمر عثمان ستة نسخ أرسل منها الى مكة المكرمة ، ومصر ، والشام ، والبحرين ، والكوفة ، وبقيت نسخة بالمدينة المنورة ، وهي المسماة بالمصحف الامام ، ثم أمر

---

(٧) سورة الجمعة االآية ٩ .
(٨) سورة الحجرات الآية ٦ .

بما سواها من المصاحف أن تحرق وتدفن ، وكان بعض من الصحابة يمنع احراق المصحف الموجود عنده ، فوافق أخيراً عندما تبين له أنه خير للاسلام ، وكان يقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا معشر الناس اتقوا الله واياكم والغلو في عثمان ، وقولكم : حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها الا على ملأ مِنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : رحم الله عثمان حيث جمع الناس على الخير ، فلو كنت أنا الخليفة بدله ففعلت هذا باديء بدء أو كما قال .

ومما ينبغي معرفته أن المصاحف العثمانية لم تنقط ، ولم تشكل ، وبقي الأمر على ذلك الى عهد عبدالملك بن مروان ، ولما اتسعت رقعة الاسلام ، واختلط الاعراب والاعجام ، وكانوا يشتبهون في قراءة بعض الكلمات ، أمر الحجاج بن يوسف بتدارك هذا ، وهو عهد ذلك الخطب المهم الى عالمين جليلين هما نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وكلاهما كفء قدير لجمعهما العلم والعمل والصلاح والورع والخبرة باصول اللغة ووجوه قراءة القرآن فكملا مهمتهما واعجما القرآن الكريم على أتقن وجه وأجوده .

وأما تشكيله فكان هو أيضاً من المهمات بعد أن حصل اختلاط الناس بعضهم ببعض ، وازداد اللحن في اعراب اللغة . حتى صادف أبو الاسود الدؤلي قارئا يقرأ (ان الله بريىء من المشركين ورسوله)[٩] بجر لام الرسول ، فأفزعه

---

(٩) سورة التوبة الآية ٣ .

ذلك وقال عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم ذهب الى (زياد) والي البصرة ، وقال له : قد أجبتك الى ما سألت وكان يطلب منه سابقا اعراب القرآن وهو يأبى ، فشكل القرآن بصور نقاط فوقية وتحتية ، وجعل علامة السكون نقطتين ، واستمر الناس على ذلك ، وزادوا ما يحتاجون اليه ، حتى وصل القرآن الكريم الى هذا الحد المعلوم من الشدّ والمد والحركة والسكون ، فجزاهم الله تعالى عن المسلمين خيرا .

★ ★ ★

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف »[1] . وفسر بسبعة أوجـــه من القراآت المختلفة ظاهرا والمتحدة معنى ومغزى ومآلا ، وذلك لتيســير قراءته على كافة قبائل العرب . وهذه القراآت السبع متواترة أي ثبت كل منها بنقل جمع يؤمن من اتفاقهم على الكذب عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طبقة بعد طبقة .

ولما بعث عثمان بالمصاحف الى الممالك الاسلامية أرســل مع كل مصحف من يوافق قراءته لذلك المصحف .

والمشتهرون باقراء القرآن من الصحابة رضي الله تعالى عنهم : عثمان ، وعلي ، وأُبي بن كعب ، وزيـــد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهم . ومن التابعين في المدينة المنورة : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبدالعزيز ، وسليمان بن يسار ، وأخوه عطاء ، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن جنـــدب ، وابن شهاب الزهري ، وعبدالرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القاريء . وفي مكة المكرمة : عطاء ، ومجاهد ، وطــاوس ، وعكرمة ، وأبن أبي مليكة ، وعبيد بن عمــير ، وغيرهم .

وفي البصرة : عامر بن عبدالقيس ، وأبو العالية ، وأبو

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن . انظر القسطلاني (٧/٤٥١) .

رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وغيرهم .

وفي الشام : المغيرة بن شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان ، وخليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء ، وغيرهما .

وفي الكوفة : عتبة ، والاسود ، ومسروق ، وعبيدة ، والربيع بن خيثم ، والحارث بن قيس ، وعمر بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبدالرحمن السلمي ، وزرّ بن حُبَيش ، وعبيد بن فضلة ، وأبو زرعة بن عمر ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، والشعبي رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

★ ★ ★

القراء السبعة ورواتهم

ثم تفرغ قوم للقراآت يضبطونها ويعنون بها ، فكـــان بالمدينة المنورة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شـيبة بـن نصاح ، ثم نافع ابن ابي نعيم[٢] .

وكان بمكة المكرمة عبدالله ابن كثير ، وحميد بن قيـس الاعرج ، ومحمد بن محيص . وكان بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان بن الاعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائي .

وكان بالبصرة عبدالله بن ابي اسحاق ، وعيـسى بـن عمرو ، وأبو عمرو بن العلا ، وعاصم الجحدري ، ثم يعـقوب الحضرمي .

وكان بالشام عبدالله بن عامر ، وعطية بن القيـس الكلابي ، واسماعيل بن عبدالله ابن المهاجر ، ثم يحيى بـن حارث الزماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي رضى الله تعالى عنهـم .

ثم اشتهرت عبارات تحمل اعداد القراآت ، فقيل القراآت السبع ، والقراآت العشرة ، والقراآت الاربع عشرة ، وأحظى الجميع القراآت السبع ، وهذه هي القراآت المنسـوبة الى

---

(٢) من اراد التفصيل في معرفة القـراء والقراآت فليراجـع الشاطبي ص ٩ .

الائمة السبعة المعروفين ، وهم نافع ، وعاصم ، وحمزة ، وعبدالله بن عامر ، وعبدالله بن كثير ، وابو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي ، التي اشتهرت على رأس المأتين في الامصار الاسلامية ٠

فكان الناس في البصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب ، وفي الكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وفي الشام على قراءة ابن عامر ، وفي مكة المكرمة على قراءة ابن كثير ، وفي المدينة المنورة على قراءة نافع ٠

وبقيت القراآت السبع على هذه الحال ، دون ان تأخذ مكانها من التدوين حتى خاتمة القرن الثالث ، اذ نهض ببغداد الامام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس ، فجمع قراآت هؤلاء الائمة السبعة ، وأخذ على نفسه أن لا يروي الا عمن اشتهر بالضبط ، والامانة وطول العمر في ملازمة القراءة ٠

★ ★ ★

رواة القراء السبعة

وكان لكل من القراء السبعة رواة كثيرون واشهر رواة (نافع) اثنان : الاول عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ (ورش) انتهت اليه رئاسة القراء بالديار المصرية في زمانه ولد سنة مائة وعشر بمصر . وتوفي بمصر سنة مائة وسبعة وتسعين عن سبع وثمانين سنة ،

الثاني عيسى بن ميناء مولى بني زهرة الملقب بقالون لجودة قراءته ، فان قالون باللغة الرومية بمعنى الجيد ، ولد سنة مائة وعشرين ، وتوفي سنة مائتين وعشرين عن عمر يناهز المائة .

واشهر رواة عبدالله بن كثير المكي اثنان :

(الاول) محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي الملقب بـ (قنبل) لاستعماله دواء يقال له قنبل ، ولد سنة مائة وخمسة وتسعين ، وتوفي سنة مائتين وواحد وتسعين .

(الثاني) احمد بن محمد البزي المكي مقريء مكة ومؤذن المسجد الحرام ، ولد سنة مائة وسبعين وتوفي سنة مائتين وخمسين عن عمر يقارب الثمانين .

وأشهر رواة أبي عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري اثنان :

الاول آبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الازدي البغدادي الضرير نزيل سامراء امام القراء وشيخ

الناس في زمانه ، وهو أول من جمع القراآت توفى سنة مائتين وستة واربعين ٠

والثاني أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي ، وتوفى سنة مائتين وواحد وستين عن عمر يقارب السبعين ٠

وأشهر رواة أبي عمران عبدالله بن عامر امام أهل الشام اثنان :

الاول ابو الوليد هشام بن عمار السلمي الدمشقي امام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، ولد سنة مائة وثلاثة وخمسين وتوفى سنة مائتين وخمسة واربعين ٠

الثاني ابو عمر عبدالله بن احمد بن بشر بن ذكوان القرشي ، ولد سنة مائة وثلاثة وسبعين ، وتوفي سنة مائتين واثنتين واربعين ٠

واشهر رواة حمزة بن حبيب الكوفي اثنان :

الاول خلاد بن خالد الشيباني الكوفي الصيرفي وكان اماما في القراءة ثقة عارفا محققا ، توفى سنة مائتين وعشرين ٠

الثاني أبو محمد خلف بن هشام البزاز البغدادي الاسدي، ولد سنة مائة وخمسين ، وتوفى سنة مائتين وتسعة وعشرين ببغداد ، في وقت اختفائه من الجهمية ٠

وأشهر رواة أبي بكر عاصم اثنان :

الاول حفص بن سليمان الاسدي الكوفي ربيب عاصم

وابن زوجته وأعلم الناس بقراءته ، وقد اقرأ الناس دهرا ولد سنة تسعين ، وتوفى سنة مائة وثمانين .

الثاني ابو بكر ابن شعبة الاسدي الكوفي . وكان اماما كبيرا عالما عاملا وكان من أئمة السنة وعمر دهرا وتوفى سنة مائة وثلاثة وتسعين وقد ناهز المائة .

والمصاحف التي بأيدينا الآن هي بحسب رواية حفص لقراءة عاصم عن عبد الله بن حبيب السلمي عن علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وعلى قراءته ورسم مصحفه طبع المصاحف الموجودة بأيدينا في بلادنا ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ثابتين على خدمة هذا القرآن الكريم بمنه وكرمه .

هذا الذي ذكرناه في القرآن الكريم كان من حيث روايته، وأما من حيث معناه ومغزاه فهو كلام (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[١] .

لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد مثله من جهة فصاحته وبلاغته ، واستيعابه لسعادة الدارين اعتقادا وعملا وأخلاقا .

فأنه يوجه المكلف اولا الى الشعور بمسؤوليته والاعتراف بربه رب العالمين (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)[٢] .

خلق هذا العالم البديع بعلوياته وسفلياته أبدع الكائنات بعلمه وحكمته وواراته وقدرته (الله خالق كل شيء وهو على

كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والارض)[٣] وهو المستحق لان يعبد ويسجد له ويستمان به ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن (انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٤) وخلق وراء هذا العالم عالما آخر يجزى فيه المكلف حسب أعماله ان خيرا فخير وان شراً فشر ٠

وانه ارسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بلغوا احكامه تعالى ، وهم الواسطة بين العباد وربهم ، وانه قرر ان يكون للناس أولوا أمر مطاعين في ما وافق حكم الله ٠ وقرر ان يتشاوروا في كل أمر مهم ، واذا عزموا فليتوكلوا على الله ، وان يحكموا بالعدل ويزنوا بالقسطاس المستقيم ، وان يعدوا ما في طاقتهم من القوة لصيانة العباد والبلاد من الاعداء ، وان يسعوا في اسباب المعاش والاقتصاد ، ورغب في ان يستفيد الناس مما في الارض منابعها ومعادنها وأشجارها وثمارها ٠

وفرض حسن السلوك وتطبيق النظام ، وصلة الارحام ، والترحم والانصاف ، ورعاية الضعاف ، وان يجعلوا العلم امامهم ، والصدق شعارهم ، والجهاد دثارهم ، والصبر درعهم، والتوكل اعتمادهم الى لقاء رب العالمين ٠

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ ٠

←

(٢) سورة الاعلى الآية ٢ ٠
(٣) سورة الزمر الآية ٦٢ـ٦٣ ٠
(٤) سورة يس الآية ٨٢ ٠

ومع افادة هذه الجواهر الثمينة تراه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة أو ما والاها ، يحير العقول ويعجز الالباب، وتحدى الجن والانس على ان ياتوا بمثله فلم يقدروا واستسلموا امام عظمته ، وهذا أمر مفروغ منه ، اي ان هذا الكلام المجيد معجز ولم يصل اليه طاقة المتكلمين البلغاء ٠

وتفكر العلماء لمعرفة سر هذا الاعجاز فمنهم من قال ان هذا الكلام كلام الحق سبحانه وتعالى ، ونزل من عالم الغيب ، فحفظه علام الغيوب عن ان يعارضه أحد ٠

ومنهم من أعترف بذلك ولكنه أبدى وجوها عديدة بنى عليها اعجازه للناس وعزه : الاول ان بلاغة العرب كانت غالبا في المشاهدات من المظاهر والمناظر المحسوسة التي يتمكن الانسان من احالة القلم واحالة اللسان فيها ، وهذا القرآن يتكلم غالبا في الامور الغيبية والروحية البعيدة عن الاحساس مع انه أبدع فيها واجاد وبرع فيها وأفاد وزهد الانسان في ما لا يفيده الخير في المعاش والمعاد ٠

الثاني ان طراوة الكلام وحلاوته غالبا تأتي من ناحية المبالغة والغلو والاغراق ، وفي ما لم ير مثله في الآفاق وتلك مملوءة بالاكاذيب ٠

وأما القرآن الكريم فانه أخذ طريق الصدق واحقاق الحق للانام ، مع انه أتى بما بهر العقول والافهام ، وظهر على المصاقع من اصحاب الخطب والتفنن في الكلام ٠

الثالث ان البلاغة وعلو الدرجات فيها لا تأتي في كلام الناس الا في مواضع معدودة ، وجمل محددة منه · وأما هذا القرآن المجيد فالفصاحة سارية ، في أجزائها ، والبلاغة جلية في جملها ، وحسن الاسلوب ممزوج بسردها بحيث لا يقدر الحاذق ان يتجاوز عن سماع جملة الا وتأتيه جملة أخرى ألصق وأنسب وأوفق بالمقصد والمطلب ·

الرابع ان كل كلام فيه تكرار يتنفر منه الذوق ويمل ، ولكن القرآن مع ما فيه من التكرار في مواضع كثيرة لما كان بتغير أسلوب وتفنن في التعبير بالمطلوب ، لا يمل منه الانسان ، ولا يسأم ، بل يقبله الطبع ويتنعم ·

الخامس ان كل بليغ من اصحاب البلاغة تقتصر بلاغته على ضرب من المقاصد ، وأسلوب من الاساليب من حماس ، وشجاعة ، واقدام ، وتشبيب ، وغزل ، وغرام ، أو حكمة ، ووعظ ، وارشاد ، أو في وصف المظاهر ، والمناظر ، أو في الانهار ، والحدائق ، والاوراد ، والاشجار ، أو في التخويف ، والترهيب ، والترغيب ، فلا يتعدى ذلك الموضوع المعين ·

واما القرآن الكريم فهو بليغ في كل فن من الفنون ، فيقول في الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)(٥) ويقول (فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) (٦) ويقول في الترهيب (أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر) (٧) وقال

---

(٥) سورة السجدة الآية ١٧ ·

(٦) سورة الزخرف الآية ٧١ ·

(٧) سورة الاسراء الآية ٦٨ ·

(وخاب كل جبار عنيد) (٨) الى قوله (ويأتيه الموت من كل مكان) وقال في الزجر (فكلا أخذنا بذنبه) الى قوله (ومنهم من اغرقنا) (٩) وقال في الالهيات (الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد) (١٠) ٠

السادس ان هذا القرآن أصل العلوم كلها ، فالدين وأصوله والفقه وأصوله ، والعربية ، وعلم الزهد ، والقناعة، وبعبارة أشمل الحكمة العملية والنظرية ، أي تهذيب الاخلاق، وتدبير المنزل ، وسياسة المدن ، وعلم ما وراء الطبيعة ، أعني الالهيات المجردة عن المادة ، والغيب المطلق ، والفلكيات ، وسباحة السيارات في افلاكها ، وموازين الحركات ، كل ذلك مذكور في القرآن ، ويذكر الارض والجبال والبر والبحر وجريان السفن فيها ، ويثبت ان كل ذلك نعمة خلقت لاشرف خليقة ، وهو الانسان المخلوق في احسن تقويم من الفطرة السليمة والعقل والادراك ، وشجع الانسان على النظر في الانفس والافاق بغية الوصول الى حقيقة الايمان والاطمئنان والاستقامة على الانقياد لله سبحانه وتعالى ٠

السابع مغايرة أسلوبه لاسلوب كلام الناس في العالم العربي، فلم يدرك أحد أسلوبا يشبه أسلوب القرآن الكريم (بله) ما يجد المسلم في وجدانه بل كل انسان خالي الذهن عن العناد والاستكبار من جماله الروحي المعنوي الذي يستولي على

---

(٨) سورة ابراهيم الآية ١٥-١٧ ٠
(٩) سورة العنكبوت الآية ٤٠ ٠
(١٠) سورة الرعد الآية ٨ ٠

المشاعر والقلوب ، ويحول الانسان من عالم الى عالم ، ومن نفسية شخصية الى روحية قدسية ، ومن الغفلة الى اليقظة والشعور ، ومن الظلمات الى النور ، ومن الافق المادي الضيق الى الآفاق المعنوية الروحية الواسعة التي فيها نجاح الانسان وقوة القلب وحقيقة التوجه الى الله والتوكل على رب العالمين .

★ ★ ★

ومن نور الاسلام الايمان بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم

أما النبي : فهو انسان أوحى الله اليه بشرع سواء أمره بتبليغه الى الخلق أو لم يأمره به ، وأما الرسول فهو انسان كذلك أوحى الله اليه بشرع وأمره بتبليغه سواء نزل عليه كتاب مستقل ، أو كان مأموراً بتبليغ الكتاب السابق عليه .

وطريق ثبوت الرسالة المعجزة . فانه اذا أظهر الرسول رسالته وأدعى انه ارسله الله الى الخلق لتبليغ الاحكام ، فمنهم من يؤمن به بلا توقف وتردد ، وذلك لصفاء عقله ، وقوة ادراكه ، ومثله كمثل زيت مسته النار واشتعل فورا ، اؤلئك الناس هم الصديقون ، ومنهم من يبقى برهة من الزمان فيتفكر في آثار ذلك الانسان واحواله واخلاقه ، وما يدعوا اليه ، ويستمع كتابه ودستوره بقلب سليم الى ان يشرح الله صدره للاسلام .

ومنهم من لا يهتم بذلك ويتعلل بعلل ويأتي بعوائق أمام الدعوة الى ان يتحداهم الرسول بمعجزة من المعجزات ، فتستولي على قلوبهم ومشاعرهم ، فينقادون له ويؤمنون به . ومنهم من يبقى تائها في ضلاله مغمورا في عناده واستكباره ، وقلبه يقسو من سماع المواعظ والارشادات وينبو عن النظر الى المعجزات . بل كلما رأى أو سمع شيئا من ذلك تنبعث به نفسه الى المهالك والعياذ بالله تعالى .

والمعجزة : أمر خارق للعادة قصد الله به اظهار صدق من ادعى انه رسول من الله فالعاقل المنصف الموفق عندما نظر الى المعجزة استدل بأنه لو لم يكن هذا الشخص رسولا من الله سبحانه وتعالى ما كان يؤيده بهذه المعجزة ، لكنه ايده بها فهو رسوله ، وذلك لان من ادعى بمحضر جمع من الناس أنه أرسله هذا الملك الجالس على كرسيه اليهم لتبليغ أوامره ، وان ما يقوله لهم فهو قوله ، وادعى بأن الشاهد على صدقه هو ان الملك يستجيب أمري ، حتى اذا اشرت اليه بان يقوم من مكانه يقوم ، فاشار اليه وقام من محله مرات ، حصل علم قطعي عادي للناس بأنه وكيل ذلك الملك ، ولم تبق عندهم شبهة في صدقه ·

ومما يجب أن يعلم ان المعجزة التي فسرناها بالخارق للعادة ليست على السنن الكونية والنواميس الاعتيادية ، ولا مجال فيها للاكتساب والصناعات ، وانما هي تظهر بمحض خلق الله تعالى وابداعه تصديقا لرسوله ·

ثم هي ان ظهرت من الشخص قبل بعثه ورسالته سميت ارهاصا ، اي تأسيسا وتوطئة لرسالته · وان ظهرت منه بعد اظهار الرسالة ، فان كانت مع التحدي سميت معجزة ، والا فكرامة · وقد تطلق المعجزة على جميع الخوارقة الواقعة بعد دعوى الرسالة سواء اقترنت بالتحدي ، او لا · وان ظهرت من غير من ادعي الرسالة ، فان كانت ممن كان تابعا لرسوله عاملا باحكام شرعه سميت كرامة ، والا سميت استدراجا ·

فظهر ان السحر والشعوذة وخفة اليد وأمثالها ليست معجزة ولا كرامة ، لانها أمور ناتجة عن الكسب والصنعة ، ومبنية على أسباب وشرائط مادية عادية ٠

ويجب الايمان بجميع الانبياء والرسل بلا تفرقة بينهم في أصل النبوة والرسالة اجمالا في ما علم اجمالا ، وتفصيلا في ما علم تفصيلا ، كالرسل المذكورين في القرآن الكريم ، وهم ستة وعشرون : آدم ، وادريس ، وهود ، وصالح ، ونوح ، وابراهيم ، ولوط ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، ويوسف، وايوب ، وشعيب ، وموسى ، وهرون ، والياس ، واليسع ، وذو الكفل ، ويونس ، وداود ، وسليمان ، وعزير ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام ٠

وأما سيدنا الخضر فهو ولي من اولياء الله تعالى ، ولقمان كان حكيما بارعا دينا وارعا آتاه الله حكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)(١) ٠ واما ذو القرنين فكان ملكا صالحا موفقا للاستيلاء على بقاع المعمورة ، وروي في الحديث الشريف اسماء بعضهم كيوشع ، وشعيا ، وارمياء ، من رسل بني اسرائيل عليهم السلام ٠

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عددهم مائتان واربعة وعشرون الفا ، وفي رواية أخرى مائة وأربعة وعشرون ألفا(*) ،والحق التوقف في التنصيص على عدد معين لقوله تعالى

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩ ٠

(*) راجع تفسير ابن كثير حيث ذكر روايات الاحاديث التي تذكر عدد الانبياء ، سورة النساء عند قوله تعالى (ورسلا لم نقصصهم عليك) (١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٧)

(ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)(٢) ٠

ويجب الايمان اجمالا بانبياء آخرين لم يذكروا في الكتاب والسنة باسمائهم لقوله تعالى (ومنهم من لم نقصص)٠ ولقوله (وان من امة الا خلا فيها نذير)(٣) وانما ذكر الله سبحانه وتعالى أفراداً معينين لكونهم في الديار العربية وسمع الناس بعض اخبارهم وأحوالهم ، والا فالانبياء كثيرون ولا يعلم عددهم الا الله الكريم ٠

ويجب الايمان بأن الرسل أفضل من الانبياء الغير المرسلين ، وأن أولى العزم من الرسل أفضل من غيرهم ، والمراد من أولى العزم الرسل الكرام الذين تحملوا مكابد ومكايد من أهل الشرك والطغيان ، واصابهم الاذى منهم ، فصبروا وجاهدوا ، حتى قضى الله بما أراد على العباد ، وهم خمسة : سادتنا نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وسيدنا محمد ، صلى الله تعالى عليهم وسلم أجمعين ٠

ويجب الايمان بأن سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم خاتم الانبياء والمرسلين ، وان شريعته ناسخة لما خالفها من شرائع الرسل السابقين ، واذا وجدنا شيئا موافقا لما في الشرائع السابقة ، فانا نعمل به من حيث انه أتانا به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لا من حيث التبعية ،

---

(٢) سورة غافر الآية ٧٨ ٠

(٣) سورة فاطر الآية ٢٤ ٠

فان رسالة رسولنا الكريم رسالة عامة مؤبدة شاملة . كما يجب الايمان بأن الانبياء والمرسلين كانوا كلهم متفقين في أصول الدين من الايمان بالله ، ورسله ، وملائكته ، وكتبه ، وباليوم الاخر ، وبالقدر ، وعلى ذلك نزل قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)(٤) .

ويجب في حقهم صفات ثلاث : وهي الصدق ، والامانة ، والفطانة ، أي الذكاء ، فيجب الايمان بثبوتها لهم وبرآءتهم عن اضدادها ، اي أنهم صادقون في ما بلغوه من الشرائع والاحكام ، وأمناء على الوحي المنزل لم يتركوا تبليغ شيء منها ، ولم يزيدوا فيها ، وأنهم أصحاب فطنة وذكاء . وأما باقي الصفات الاعتيادية فهم فيها مثل سائر البشر يأكلون ويشربون وينامون ويتعبون ويستريحون ويصحون ويمرضون ويحيون ويموتون . ولكن عالم البرزخ وما بعد البعث بالنسبة اليهم أعلى العوالم برحمة رب العالمين .

ويجب الايمان بعصمتهم من بدأ النبوة الى وفاتهم من الذنوب الكبائر مطلقا ومن الصغائر عمدا ، وقال بعض : وسهوأ أيضا ، كما أنهم معصومون قبل النبوة أيضا من الكبائر وصغائر تدل على الخسة وحاشاهم منها . وما يوهم خلاف ذلك فمحمول على معنى يناسب مقامهم من خلاف الاولى ، أو

---

(٤) سورة الشورى الآية ١٣ .

أنها لم تكن في وقت التكليف جمعا بين الادلة والاصول النقلية والعقلية السليمة ٠

ودليل ذلك على العموم قوله تعالى (ان الله أصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)(٥) وآل ابراهيم يشمل سيدنا اسماعيل وسيدنا محمد ، كما يشمل سيدنا اسحق وأولاده المرسلين من بني اسرائيل ، وكذلك يشمل آل عمران سيدنا موسى ومن وراءه منهم ٠ وقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)(٦) وقوله (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)(٧) وقوله تعالى بعد ذكر المرسلين (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٨) وقوله تعالى (واذ ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)(٩) وذلك لان الاصطفاء والاختيار لا يقع على أهل الفسوق والسيآت والمجرمين من الناس ، والسلام والاكرام والاحترام لا يقدم من الله تعالى اليهم ، ولا يؤمر بالاقتداء والاهتداء بأصحاب السيئات ، وحاشا ان يكون النور مظلما ، والامام العدل ظالما ، والمرشد الاعظم مجرما ذلك أوهام الجاهلين ٠

---

(٥) سورة آل عمران الآية ٣٣ ٠

(٦) سورة الصافات الآية ١٨٠ ٠

(٧) سورة النمل الآية ٥٩ ٠

(٨) سورة الانعام الآية ٩٠ ٠

(٩) سورة البقرة الآية ١٢٤ ٠

والمراد بالعهد في قوله (لاينال عهدي الظالمين) ان كان عهد النبوة والرسالة ، فالامر واضح من حيث التنصيص على أن الظالمين وأصحاب الفسوق لا ينالون عهد النبوة والرسالة ، وان كان عهد الامانة والقدوة في الدين ، فلأنه اذا كـــان الظالمون محرومين من الرياسة والقدوة الشرعية ، فحرمانهم من النبوة والرسالة بالطريق الاولى ٠

* * *

(الحكمة من ارسال الرسل)

الايمان بأن بعث الرسل الى العباد لطف من الله ورحمة، لجمع شتات الافكار ، وتنورها بالانوار ، وسوقها الى العقايد والاعمال والاخلاق العالية ، وان للانسان حاجة أكيـدة الى الرسالة والى الاقتباس من أنوارها : وذلك من وجوه :

(دليل النظام)

أولا ــ ان الانسان اذا تفكر قليلا عرف انه خلق اجتماعيا لا يعيش معيشة الانسان وحده ، ومدني لا يعيش بدون نظام عام جامع مانع ، وان النظام يحتاج الى الرعاية ، والرعاية في حاجة الى محبة الانسان الراعي لبني نوعه المرعى ، وكـل انسان راع وكل انسان رعية ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، وان هذه المحبة لا تتكامل بحيث تسوق الانسان الى رعايـة النظام ، الا بأمل نتيجة واقعية حميدة في عالم الحياة ، ونتيجة مؤبدة في عالم ما بعد الحياة الدنيا ، وهـذا الامـل الجامـع لرغبات الدنيا المحدودة ، ولرغبات الاخرة اللامحدودة ، أمل يحصل من تعاليم الرسل الكرام ، فثبت حاجة البشر الى رسالة الرسل الكرام ٠

لقائل ان يقول ما وجه ان هذه المحبة لا تتكامل الا بذلك ؟

وجوابه أن محبة الانسان للانسان لعلاقة القرابـة او الدراسة او المصالح الحيوية كالتجارة والزراعة والادارة ، لا تتجاوز عدة اشخاص متشاركين في ذلك ، الى غيرهـم ،

كغريب مسافر منقطع ، ويتيم ليس له معين ، ولارملة ليس لها معيل ، ولشياب لا مجال لهم في الناس من أي جهة ، ولمرضى ، ولمعوزين ، ولأهل غير الوطن من المسلمين ، ولأهل غير دينك من الذميين والمستأمنين ، وأما المحبة المتولدة من قواعد الاسلام فهي محبة جامعة لصلة كل انسان بكل انسان في ما أمكن تطبيقه حسب القواعد والاصول ٠

ولقائل ان يعود ويقول لنفرض ان تلك المحبة ناتجة عن نظام حيوي دنيوي شامل كما في انظمة الدول العالمية بدون حاجة الى الدين والرسالة ٠

وجوابه أنك علمت من مطالعاتك وملاحظاتك ان تلك العلاقة علاقة قصيرة يسيرة لا تتجاوز عن ملاحظة أبناء الوطن المربوط بذلك النظام ، ونحن نريد علاقة ودية بعيدة المدى لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا قوم دون آخر تربطهم بمبدأ واحد وآله واحد ونظام واحد ، وذلك لا يمكن ان يتحقق في غير نظام الرسالة ٠ ثم المحبة الموجبة لفوائد محدودة في عالم الحياة ، لا تأثير له غالبا ذلك التأثير البالغ الموجب لنكران الذات والتضحية بالنفس الا في أفراد معدودين ٠ وأما امل السعادة الابدية والرحمة الخالدة ، فهو اذا استقر في اي نفس هان عليها كل شيء ٠

(دليل الرغبة والرهبة)

ثانيا ـ ثبت بالدليل القطعي بلا نزاع ، أنه لا يقدم العاقل المختار على عمل الا لرهبة أو رغبة ، أي لخوف أو طمع، وهما الاساسان في تكوين الحضارة البشرية بمعناها الواسع • ومعنى ذلك ان الانسان في الاساءة والاحسان مسخر للقوتين المذكورتين ، فقد يترك التعرض لاموال الناس أو أعراضهم ، أو نفوسهم خوفا من سلطة تنتقم منه ، وقد يقوم على عمل جبار بغية الوصول الى تحسين عام أو نيل مال وجاه أو ما شاكله ، ولما دققنا النظر وجدناهما غير كافيين في الاقدمات البشرية المتسلسلة ، بدون الخوف من قوة فوق المادة ، وبدون الرغبة في نعمة دائمة وهي السعادة •

فان الضعاف اذا تركوا السفاسف خوفا من السلطة ، فالاشراف من السلطة لا يخافون أحدا ، بل والضعاف في المحلات المنعزلة عن الناس لا هيمنة عليهم ، فليس لهم رادع قاطع هناك الا الله ، والرغبة في تحسين الناس أو في نيل مرام لا يوصل الانسان الى درجة خدمة كل يتيم ويتيمة وأرمل وأرملة، والى اسعاف المرضى المنقطعين غير المعروفين ، واعانة المحتاجين والمعوزين ، وادارة شؤون الكفار عندنا من الذميين ، فالرغبة والرهبة لا تنتجان الا بالرغبة في ما عند الله والرهبة عما يوجد عنده ، وذلك لا يصل نظامه الينا الا بالرسالة من الله سبحانه وتعالى •

ثالثا ـ ان الانسان ليس جمادا بلا احساس ، ولا حيوانا مهملا يعيش فقط مع الحواس ، وانما هو خليقة أكبر من كل عوالم الكون ، بل الكون خلق له ، ولاجل انتفاعه به ، وهذا النوع المحترم المزود بالعقل الذي هو اساس كل خير ، وبالوجدان الذي يبنى عليه العطف والترحم والسماح ، وبالعلم الذي يطيره في أجواء السموات ، ويستفيد به الكنوز من خبايا المعادن والمنابع والنباتات ، يبعد كل البعد عند الفكرة السليمة ان يعيش هذا الانسان الكامل كالحيوان ، ولا تكون له نتيجة أدبية دائمة ونعيم مقيم غير زائل ووسعة في عالم الوجود يتنعم فيها ، اذا كان نجيبا خادما مصلحا نافعا للبشر ، أو لا يكون له جزاء ومعاقبة في مقابلة اسائته مع غيره يبطش بهم ويقتل ويسفك وينهب الاموال والاعراض ويؤذي الانسانية كحشرة فتاكة في جسد ، هذا ما لا يقبله العقل فاحتاج البشر الى رسالة خالدة ، وهي الرسالة الاسلامية التي توضح للعاقل طريق الخير والشر ويحدد له جزاء اعماله الصالحة والسيئة ، ويبين انه لا يغيب عن خالقه مثقال ذرة في السموات والارض،وان الانسان بعد قضاء أجله في دنياه يلتحق بآخرته وينال ما قدمت له يده ، فيكون على بصيرة من أمره وعلى نظام في سيره (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم)(١) ٠

---

(١) سورة الملك الآية ٢٢ ٠

رابعا ـ قد ثبت أخيرا عند كثير من العقلاء والعلمـاء البارزين المتجردين عن التقليد والارتباط بالبيئات ان وراء هذا العالم المادي الواسع عالما روحانيا غيبيا اوسع ، ولولا ذلك ما كان يجيب زارع بدوي بعد ان نوموه [٢] عن اسئلة مشكلة هندسية أو جبرية اندهشت لها عقول الحاضرين ·

وثبت أيضا ان النواميس الكونية الطبيعية يمكــن تخلفها عن افادة اثارها بقوة نواميس أخرى أرقى منهـا ، ويبنى على هذا امكان وجود الخوارق للعادات التي أتــى بها الرسل الكرام ·

وثبت أيضا ان الانسان مرتبط بعالم الروحانيـات صلاحا أو فسادا ، أي أن كل فرد معرض لتأثره وانفعالاته بالكائنات الروحية العالية ، أو بالكائنات الروحية السافلة، ومن تأثر بالاولى انتفع ونفع ، استفاد وأفاد ، واسترشـد وأرشد ، خدم العقائد الصحيحة ، والاعمال الصالحـة ، والاخلاق الفاضلة ، والعكس بالعكس ·

ومن هنا اعترف جمهرة من الماديين المنكريـن لما وراء الطبيعية عن أفكارهم ورجعوا الى حظيرة الاعتراف بالقدسيات

---

(٢) هذا اشارة الى التنويم المغناطيسي ، حيث ينومون انسـانا بواسطة عملية مغناطيسية ، ثم يسألونه انواع الاسئلة فيجيب الجـواب الوافى عن كل سؤال وهو نائم ، ومن غرائبه ان النائم قد يكون طفلا أو جاهلا ، ولو كان يقظانا لا يعرف جواب أى سؤال من تلك الاسئلة التي أجاب عنها عندما كان نائما ·

والمثل العالية ، فآمن بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده ٠

ونقول على ضوء هذه الحقائق التي اعترف العلماء الافذاذ في العالم بها : وصول عقولهم الى تلك الامور الهامة وصول الى تعاليم الرسل الكرام أي أن وراء هذا العالم عالما آخر غيبيا يندرج فيه عالم الارواح ، وعالم الملائكة ، وعالم ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو الذي تسخر له القواعد والنواميس المادية وغيرها ، وهو الذي يسيطر عليها ويسيرها وقد يمشيها وقد يبطلها ، كما آتى القوة القدسية لبعض رسله في عدم التأثر بالنار ، وموجة الاثير ، وخرق طبقات الافلاك في أقل وقت من الاوقات ، والنفخ في الجوامد لتأخذ روحا سارية وحياة جلية ، والتوجه الى الدماء الفاسدة وتخليصها من الجراثيم ليبرء الابرص ، والتوجه الى الروح الغيبى لتتعلق بالجسد بعد فراقها وهجرها ولتصير حيا ، كما كان ، وهو الذي بيده مفاتيح الغيب ، وبيده مقاليد السموات والارض ، وان عباده المصطفين هم الرسل الكرام ٠

وان الارواح العالية أرواح الملائكة التي من تعارف معها تمتع بالعقائد والاعمال الصالحة ٠ وان الارواح الخبيثة هي أرواح الشياطين المردة التي من تناسب معها سقط في رذائل المادة ومشتهيات النفس الامارة ، ومن هنا يتبين قوله تعالى (قد افلح من زكيها ٠ وقد خاب من دسيها)(٣)

---

(٣) سورة الشمس الآية ٩ـ١٠ ٠

ويتعين مغزى قوله سبحانه وتعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)(٤) ولكن فوائد ادراك اولئك العلماء لا تتجاوز عن أنفسهم ، وعن ناس ممدودين يوافقونهم في الاعتراف بتلك المعلومات . وأما الرسل الكرام فبما عندهم من الصفاء والنور الوهبي وبما ألقي في روعهم من الوحي الآلهي والفيض القدسي جذبوا أرواح الناس الى الانقياد والتوجه الى رب العباد ، الا من غطا قلبه غاشية العناد وتولى عن الحق والرشاد .

(دليل المعرفة)

خامسا ـ مما يلفت أنظار أهل المعرفة ان الانسان لم يخلق ليترك سدى ، لانه يبعد عن العقل والادراك ان يبني شخص دارا قوية الاركان ، واسعة الجوانب ، رفيعة العمران ، مزخرفة بأنواع الزخارف ، ومضيئة بألوان اللمع والشمعات والمصابيح ، ولم يكن في قلب بانيها عمرانها بالرجال الاكابر والاصدقاء الاعزة والعلماء الفضلاء ذوي المفاخر . بل أراد ان يجمع فيها المجانين والسفهاء ، فالله سبحانه وتعالى خلق هذا العالم الواسع وزينها بمصابيح وورد ازهارها وأجرى أنهارها وزيد ثمارها ، ولم يترك للحيوانات البهم ، بل جعل فيها أشرف أنواع الموجودات ، وهم البشر ، فمن سوانح الادراك ان طلب من هذا النوع الشريف أشرف الاحوال ، وهو الاطاعة لله والسجود

---

(٤) سورة النازعات الآية ٤٠ .

والتسبيح له ، وهذه الاحوال لا يمكن تحققها بدون المعرفة الوافية بالمطلوب ، وهذه المعرفة لا تتحقق الا بتعاليم الرسول الكريم وعليه قال تعالى (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)(٥)

★ ★ ★

(٥) سورة الاحزاب الآية ٤٥ـ٤٦ .

(محبة الرسول)

محبـة الرســول سـيدنـا محمـد صلى الله عليه وسلم مـن هـدى الاسـلام ، قـال تعـالى (قـل ان كـان آبـاؤكـم وأبنـاؤكـم واخـوانكـم وأزواجكـم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادهـا ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فـي سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القـوم الفاسقين)(١) ٠

هدد الله سبحانه وتعالى كل من يرجح محبـة ذويـه وعلاقته على محبة الله ورسوله ومعناه وجوب ترجيح محبتهما على محبتها ٠

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والنـاس اجمعـين »(٢) وقال للسائل عن الساعة بعد قوله اني أحب الله ورسوله « انت مع من احببت »(٣) ٠

والمحبة ميل القلب وشغفه بالنسبة الى محبوبه ، وتتنوع بالاضافة الى ما تتعلق به انواعا ٠

ومن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره وكثرة ذكره والصلوات عليه ، لاسيما عند ذكره ، وزيارته

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤ ٠

(٢) رواه البخارى في كتاب الايمان ٠ انظر القسطلانى (٩٦/١) ٠

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٠ القسطلاني (١٠٣/٦)

(٤) سورة الفتح الآية ٨ـ٩ ٠

بعد وفاته ، والاقتداء به بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتخلق بأخلاقه • ومحبة الكتاب والسنة اللذين هما أساس سعادة الدارين • ومحبة آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان • ومحبة القراء والحفاظ والمحدثين والائمة المجتهدين في الدين ، والعلماء العاملين ، والصديقين والشهداء ، والصالحات والصالحين •

وكل ذلك عليه دليل من الكتاب أو السنة أو اتفاق الاكثرية الساحقة من أهل الدين اما تعظيمه وتعزيزه وتوقيره ، فالدليل عليه قوله تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه)[٤] وقال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)[٥] وأخذ المجتهدون من ذلك وجوب الادب مع الرسول ، وحرمة ندائه بـ (يا محمد) ، كيف لا وتشريفه في النداء منهج القرآن الكريم ، حيث خاطبه الله سبحانه بقوله (يا ايها الرسول)[٦] (يا ايها النبي)[٧] (يا ايها المزمل)[٨] (يا ايها المدثر)[٩] الى غير ذلك وقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)[١٠] •وانه صلى الله عليه وسلم

---

(٥) سورة النور الآية ٦٣ •
(٦) سورة المائدة الآية ٦٧ •
(٧) سورة التحريم الآية ١ •
(٨) سورة المزمل الآية ١ •
(٩) سورة المدثر الآية ١ •
(١٠) سورة الاحزاب الآية ٦ •

كان المبلغ الاول لاحكام الله ومفتاح باب السعادة على البشرية .

وأما الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، فالدليل عليه قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)(١١) وقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (١٢) وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)(١٣) .

وأما الاستقامة على آدابه فالدليل عليه قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)(١٤) وقوله تعالى خطابا لرسوله (واستقم كما أمرت)(١٥) مع وجوب اتباعه بدليل قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

وأما كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم ، فالدليل عليه ، هو أن الله قرن الشهادة برسالته مع الشهادة بألوهيته في انه لا يتم الايمان بأحديهما بدون الأخرى ، فجعل من أركان الاسلام كلمتي الشهادة (أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله) وقرن اسمه باسمه في التشهد حيث يقول « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك

---

(١١) سورة الاحزاب الآية ٢١ .
(١٢) سورة آل عمران الآية ٣١ .
(١٣) سورة الحشر الآية ٧ .
(١٤) سورة فصلت الآية ٣٠ .
(١٥) سورة الشورى الآية ١٥ .

أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[١٦] وفي كلمات الاذان وكلمات الاقامة ، وفي آيات الامر باطاعة الله كقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول)[١٧] وفي قوله (ومن يطع الله والرسول)[١٨] الى غير ذلك من المواضع المعلومة لمقارنة اسمه باسمه ، وكل ذلك حجة بليغة لتقدير حقه صلى الله عليه وسلم وتكرار ذكره في الخلوة والجلوة الى ما شاء الله ، وشخصية بهذه المنزلة يجب ذكره وذكراه ٠ واما الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم فالدليل عليها قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[١٩] والآية الكريمة نص في ان الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مطلوبة ، فمن العلماء من قال انها مندوبة وحمل الآية الكريمة فيها على الندب وادعى فيه الاجماع ، ومنهم من حملها على الوجوب في الجملة وقرر انها فرض على المسلم ان يأتي بها مرة، ومنهم من حملها على الوجوب عقب التشهد الاخير وهو الامام الشافعي وأحمد رضى الله تعالى عنهما وقالا : انها واجبة عقب التشهد الاخير ولو تركت بطلت الصلاة وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضى الله عنهما وهو قول

(١٦) هذه الصيغة من التشهد مروى عن ابن عباس أخرجه مسلم (١/١٧٤) ، والترمذي (١/٣٨) ، وابو داود ، والنسائي وابن ماجة ٠ انظر نصب الراية (١/٤٢٠) ٠

(١٧) سورة النساء الآية ٥٩ ٠

(١٨) سورة الاحزاب الآية ٧١ ٠

(١٩) سورة الاحزاب الآية ٥٦ ٠

الشعبي وقد رواه عنه البيهقي كما في شرح الامام النووي على صحيح مسلم[*] وقال : هنا وأصحابنا يحتجـون بحديث ابي مسعود البدري رضى الله عنه المذكور انهم قالوا « كيف نصلي عليك يارسول الله ؟ فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره » قالوا والامر للوجوب ، وهـذا القـدر لا يظهـر الاستدلال به الا اذا ضم اليه الرواية الاخرى «كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلواتنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الى آخـــره »[٢٠] وهذه الزيادة صحيحة رواها الامامان الحافظان ابو حاتـم بن حبان (بكسر الحاء) البستي والحاكم ابو عبد الله فـــي صحيحيهما ٠ قال الحاكم هي زيادة صحيحة ٠ واحتج لهـا أبو حاتم وابو عبد الله ايضا في صحيحيهما بمــا رواه عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم رأى رجلا يصلي لم يحمد الله ولم يمجده ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عجل هذا ثم دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد ربه والثناء عليه وليصل على النبـي صلى الله عليه وليدع ما شاء »[٢١] قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ٠

(٢٠) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما عن محمد بـــن اسحاق ، ورواه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم (٢٦٨/١) ورواه الدار قطني في سننه ٠ انظر نصب الراية (٤٢٦/١) ٠

(٢١) رواه ابن خزيمة والترمذى وصححاه ، ورواه ابو داود انظر دليل الفالحين (٢١٩/٧-٢٢٠) ٠

(*) راجع شرح النووي في هامش القسطلاني باب الصلاة على النبي بعد التشهد (٣ / ٤٠ ـ ٤١)

وعلى كل حال فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلوبة ومرغوب فيها ومؤكدة بالاحاديث التي تنص على مزيد أجر المصلى عليه صلى الله عليه وسلم ، وصوغ الآية الكريمة المصدرة بأداة التأكيد على الجملة الاسمية الصدر الفعلية العجز لا سيما وان الجملة الفعلية المضارعة جملة فعلية استمرارية ، ثم تعقيبها بنداء جمع المؤمنين ، والامر بالصلاة وزيادة السلام وتأكيد الجملة بمقارنة المصدر مع العامل ، فلو قلنا على ضوء هذا ان الامر في الآية الكريمة للوجوب بقرينة الآيات الكثيرة الدالة على وجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وهذا الذي أعتقده انا بحمد الله تعالى • ولكن الامر غير محدود وغير مؤقت ، فالمطلوب الاتيان بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، بحيث يظهر شعار التعظيم ، بأن نقول : بوجوبها في أعظم العبادات وهي الصلاة ، وفي الخطب المشروعة للصلاة ، وللامور المهمة ومع الدعاء ، وفي ديباجات التآليف الدينية ، وفي مجلس سماع اسمه الشريف ولو مرة واحدة ، وذلك يطابق وجوب الاتيان بالمأمورات حسب المستطاع عادة ، ويختلف بالازمنة والامكنة والمناسبات •

وأما صيغة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فهي كثيرة على ما رواه المحدثون فعن ابي حميد الساعدي رضى الله تعالى عنه انهم قالوا « يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما

صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »[٢٢] .

وفي رواية مالك عن ابي مسعود البدري قال « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم »[٢٣] . أي انه جملة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته (في التحيات) أو ما شابهها من صيغ السلام فيها .

وفي رواية كعب بن عجرة « اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد »[٢٤] .

وعن عقبة بن عمرو في حديثه « اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد » وفي رواية ابي سعيد الخدري « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك » .

وعن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن ابي طالب قال : عدهن في يدي رسول

---

(٢٢) حديث ابى حميد الساعدى أخرجه البخارى في الدعوات ، ومسلم في الصلاة ، والنسائي في التفسير من سننه ، وابن ماجة في الصلاة من سننه . انظر دليل الفالحين (٧/٢٢٤) ومشكاة المصابيح (١/٢٩٠) .

(٢٣) اخرجه مسلم في الصلاة ، والترمذي في التفسير من سننه ، وابو داود في كتاب الصلاة من سننه . انظر دليل الفالحين (٧/٢٢١-٢٢٣).

(٢٤) متفق عليه انظر المشكاة بتحقيق الالبانى (١/٢٩٠) ، ودليل الفالحين (٧/٢٢١) .

الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : عدهن في يدي جبريل ، وقال : هكذا نزلت اي كلمات الصلوات من عند رب العزة « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد »(*) .

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد»(٢٥) . ومعنى عدهن أي كلمات الصلوات في يدي كعد الفلوس في يد شخص هذا كناية عن ضبط الكلمات وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال « صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد »(*) .

---

(٢٥) رواه ابو داود (١/٢٢٥) ومشكاة المصابيح (١/٢٩٤) .
(*) حديث زيد بن خارجة رواه النسائي في كتاب الصلاة من سننه (٣/٤٩)

وعن سلامة الكندي كان علي رضى الله تعالى عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارىء المسموكات ، اجعل شرائف صلواتك ، ونواحي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل ، فأضطلع بأمرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك ، حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله اسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم ، وابهج موضحات الاعلام ، ونائرات الاحكام ، ومنيرات الاسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل عطائك المعلول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه ، واكرم مثواه لديك ونزله ، وأتمم له نوره وأجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، ومرضى المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطة فصل وبرهان عظيم .

وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله وملائكته يصلون على النبي ، لبيك اللهم وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وما سبح لك من شيء يارب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، وسيد

المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام .

وعن عبدالله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك ، وبركاتك ، ورحمتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

وكان الحسن البصري يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاولى من حوض المصطفى فليقل : اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين .

وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وأرفع درجته العليا ، وآته سؤله في الآخرة الاولى كما آتيت ابراهيم وموسى . وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه : اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه ، واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك ، واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له الى يوم القيامة .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول : اذا

صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه ، وقولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسـلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخـير وقائـد الخـير ، ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهـم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ..(*)

ويظهر من رواية هذه الصيغ العديدة للصلوات الشريفة ان صيغة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست محدودة ومقيدة بجملة دون أخرى ، وبأسلوب دون آخـر ، وان المقصود جملة تدل على طلب التشريف والتعزيز من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وان كانت المحافظة على احدى تلك الصيغ أحب .

ويدل على ذلك وجود الصيغ المختلفة المروية من بعض الاصحاب الكرام كسيدنا علي ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهما رضى الله تعالى عنهم اجمعين .

فبأي صيغة يصلي المسلم على الرسول صلى الله عليـه وسلم ينال الاحسان ويتقرب بها الى الله تعالى ، ولا وجـه لانكار صيغة من صيغ الصلوات ما دامت مفيدة لتشريفـه وتعزيزه المطلوب مطلقا .

(*) رواه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي رقم (٦١) .

كما ان الامر من الله تعالى بالصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم مطلق غير مقيد بزمان أو مكان ، ففي أي زمان ومكان يصلي المسلم عليه صلى الله عليه وسلم فهو جائز ومستحب ما لم يعارضه مانع شرعي ومعارض قطعي ٠

فلا وجه لانكار بعض الناس للتصويت بالصلوات الشريفة بعد الاذان على المنابر ،(٢٦) أو بعد الخلاص من اداء صلوات الجماعة بين المسلمين الذاكرين بالاوراد المأثورة ، لان كلا منها مأمور به في الجملة واداؤه خير ، ولم يقل احد بأنها اذ ذاك فيه مانع شرعي ولا معارض ظني فضلا عن القطعي ٠

وما يقال من أنها بدعة لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل بدعة كذلك ضلالة ، غير وارد ، وذلك لان البدعة في اللغة عبارة عن الامر الحادث الذي لم يكن قبل ، وهذا بصورته الظاهرة شامل لكثير من الواجبات والمستحبات التي لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

(٢٦) صرح ابن حجر في فتاواه بأنه قد احدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الاذان للفرائض الخمس الا صلاة الصبح والجمعة فانهم يقدمون ذلك فيهما على الاذان ، ولا المغرب فانهم لا يفعلون غالبا لضيق وقتها ، وكان ابتداء حدوث ذلك في ايام السلطان صلاح الدين بن أيوب الكردى وبأمره في مصر واعمالها ، وسبب ذلك ان الحاكم الفاطمي لما قتل امرت اخته المؤذنين ان يقولوا في حق ولده السلام على الامام الطاهر ، ثم استمر السلام على الخلفاء بعده الى ان ابطله صلاح الدين وجعل بدله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، فنعم ما فعل فجزاه الله خيرا ، ولقد استفتى مشايخنا وغيرهم في الصلاة والسلام على النبي (ص) بعد الاذان على الكيفية التي يفعلها المؤذنون ، فأفتوا بان الاصل سنة والكيفية بدعة ٠ انظر فتاوى الشيخ ابن حجر ١/١٣١) ٠

وحدثت بعد ، وارتضتها الامة الاسلامية والائمة نظرا الى أنها تدخل في عموم قواعد الاسلام والدين التي لا تبقى الاسلام الا بها .

ومن ذلك جمع القرآن الكريم وكتابته على صحائف من الجلد في عهد خلافة ابي بكر ، وجمعه ثانيا واستنساخ ست أو سبع نسخ منه في عهد عثمان ، وتدوين ديوان المرتزقة المسلمين المجاهدين وغير المجاهدين من المستحقين في عهد عمر ، وتأسيسه لدار القضاء ، وكتنقيط القرآن في عهد عبد الملك بن مروان ثم تشكيله ، وتدوين الاحاديث الشريفة وتبويبها ، وتدوين الفقه وتبويبه ، وتدوين القراآت السبع ، وتدوين قواعد اللغة العربية المعروفة بعلم النحو والصرف ، ثم تدوين سائر العلوم الاسلامية كأصول الفقه والبلاغة وغيرها ، فكل ذلك لم يكن ولم يذكر ، ولكنه داخل في عموم الاصول أي ان كل ما ينفع الاسلام والدين يجب اتباعه ، فهذه الامور بعضها فرض عين ، وبعضها فرض كفاية على ما هو جلي للمتتبع .

ولما نظر المسلمون الى أهمية اعزاز الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعلاء مقامه ، وتعريفه للعالم احدثوا ذكرى مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول من كل سنة[١] وذكرى معراجه الرفيع في رجب الاصم الفرد من

---

١ ـ كان مظهر الفرح بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وجد قديما ، غير ان الذي طوره وجعله احتفالا رسميا هو السلطان مظفر سلطان أربيل المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية وقد ذكر ابن خلكان نتفا من مظاهر

الاشهر الحرم ، واستحبوا ان يضيف المؤذنون عددا قليلا من الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الاذان على المنابر في البلدان ، وعلى السطوح في القرى المأهولة بالمصلين ، كل ذلك خدمة لقوله سبحانه وتعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا)[٣] ولقوله سبحانه وتعالى (ورفعنا لك ذكرك)[٤] وتشهيرا

احتفاله بالمولد ٠ انظر وفيات الاعيان لابن خلكان (٣/٢٧٣) ٠ وبهذا يظهر ان أهل اربيل اول من ابتدعوا الاحتفال بمولد الرسول ، وهذا الاحتفال مر بأطوار ، كان في البداية مقتصرا على السلطان مظفر ، ثم شمل كل أهالي المنطقة ، ويذكر الشياب بأنه لم يكن أهل بيت في اربيل الا كان يحتفل بذكرى المولد سواء كان فقيرا او غنيا كل حسب امكانيته ، لكن المظهر قد خفت في الستينات ، ثم انتعش فجأة في بداية السبعينات ، ثم خفت مرة أخرى ، واعتقد بانه ينتعش مرة أخرى بعون الله ٠ وعلى كل فان الاحتفال بالمولد مظهر من مظاهر الكرد ينتعش عندهم أكثر من غيرهم ، كما كان مذهب الشافعي مظهرا من مظاهرهم في قرني الخامس والسادس الهجري ٠

٢ ـ الاحتفال بمناسبة الاسراء والمعراج لم يكن موجودا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، وكذا لم يكن موجودا في زمن الخلفاء العباسيين وكذا في عصر المماليك ٠ ولم نجد له ذكرا في المصادر المتوفرة بين أيدينا ، لذا لا نعرف متى أستحدث ، وربما استحدث في زمن متأخر جدا ٠

٣ ـ سورة الفتح الآية ٩

٤ ـ سورة الانشراح الآية ٤

لمآثر الرسول ومفاخره المندرجة في قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم)[٥] واظهارا لبركاته وأنواره الساطعة وفيوضاته الروحية القدسية المستفادة من قوله سبحانه وتعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[٦].

ومن اعتبر هذه الامور ضلالة فقد تاه ، وضل عن سواء السبيل ، ولم يتفكر في اخلاق الرسول وتأريخه ، وأمره لحسان بن ثابت رضى الله عنه ان يهجوا المشركين ويجاوب شعرائهم الهاجين للاسلام والمسلمين[٧] ، وتمايله من الوجد عند سماع قول كعب بن زهير :

ان النبي لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول[٨]

حيث اعطاه رداءه المبارك جائزة له على القائه تلك الابيات الآتيات بجواهر المدائح ودرر الفوائد .

والحق ما أطبق عليه الائمة الاعلام من سالف الايام الى يومنا هذا ان كل ما ظهر في عالم الاسلام والمسلمين ان كان مما اجمع عليه من أعيان المسلمين ، أو استنبطه الامام

---

٥ ـ سورة القلم الآية ٤

٦ ـ سورة الانبياء الآية ١٠٧

٧ ـ حيث ورد في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لحسان : « أهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك » . انظر القسطلاني كتاب بدأ الخلق (٥/٢٦٩) وكرره في كتاب المغازي ، وكتاب الادب

٨ ـ قال ابن عبد البر فلما بلغ الى قوله : ان الرسول ، البيت اشار النبي الى من معه ان اسمعوا ، انظر الاستيعاب القسم ١٣١٤/٣

العالم المجتهد في الدين ، أو اندرج في ظواهر الكتاب والسنة الشريفتين فأمره ظاهر جلي وان كان مما سوى ذلك ، فان كان ذلك الامر مما يخدم هذا الدين خدمة لا بد منها فهو واجب وفريضة ، أو خدمة نافعة غير محتمة فهو مستحب ومندوب ، أو لم يكن من هذين ، وكان مما نهى عنه نهيا صريحا ، أو مستفادا من الادلة العامة فهو حرام أو مكروه . وعلى هذا يحمل « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد »[٩] وقوله صلى الله عليه « اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة »[١٠] . وان كان متساوي الجانبين فهو مباح .

ومن الواجبات من ذلك كل ما يتوقف عليه اعزاز الاسلام وصيانة بلاده وعمرانها وتثقيف أبنائه من العلوم، والصناعات ، والتدريبات الحربية ، والامور الرياضية ، وتعلم الفنون بأنواعها واصنافها ، وتعلم اللغات الاجنبية ، ومعرفة تواريخ الامم ، وأساس رقيها وانحطاطها ، وكذلك خدمة كل ما يتوقف عليه نشر الاسلام ، واعزاز رسوله ، وبث روح الاسلام ، وتركيزها في قلوب الجيل الناشيء ،

---

٩ ـ أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح رد . انظر القسطلاني (٤/٤٢١) ، ومسلم في كتاب الاقضية بهذا اللفظ وبلفظ « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٧/٢٧٢) .

١٠ـ يأتي الحديث بطوله وتخريجه ـ في ص ١٨٠ ـ .

واحياء ما اندرس من معالم الخير في المسلمين • ومن المستحبات كل ما كان أدنى من ذلك ، فان الاسلام دين ودولة ، عقل وعلم ، اعتقاد وعمل ، خلق شريف وعدل ، وبطولة ، وصبر ، واستقامة ، ووحدة ، وتماسك ، واعتصام ، ومرونة قابلة للاستفادة منها في كل وقت ، وليس الاسلام جمودا وخمولا واكتفاءا بالقشور ، وانقباضا في الصدور فان تلك الاحوال لا تناسب تحمل أعباء الدين وادارة شؤون المسلمين فنسأل المولى جل شأنه أن يشرح صدورنا لفهم الدين ، ويسهل أمورنا في سبيل نشره في ارشاد العباد الى السعادة بالتزام أخلاق سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين •

(زيارة الرسول)

وأما زيارته صلى الله عليه وسلم في حياته فالدليل عليها قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[١] وقوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)[٢] فان الرسول أفضل الصادقين وصحبته جسدا وروحا مهمة وأما زيارة قبره الشريف بعد وفاته فالدليل عليها ما روي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « من زار قبري وحببت له شفاعتي »[٣] وما روي عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارني محتسبا كان في جواري ، كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة »[٤] وفي

١ ـ سورة التوبة الآية ١١٩

٢ ـ سورة النساء الآية ٦٤

٣ ـ رواه الدارقطني وفي اسناده موسى بن هلال العبدي قال أبو حاتم : مجهول. انظر نيل الاوطار ١٠٨/٥

٤ ـ رواه ابن ابي الدنيا وفي اسناده سليمان بن زيد الكعبي ضعفه ابن حبان والدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات ، وعن عمر عند ابي داود الطيالسي بنحوه . انظر نيل الاوطار (١٠٩/٥) .

حديث آخر « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي »[٥] • وهذا الحديث أجودها اسنادا •

والاجماع على ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من المهمات فمنهم من قال بوجوبها ، ومنهم من قال بندبها •

ولو راعينا القياس في أدلتنا لقلنا ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مقيس على زيارة الرسول نفسه لقبور المسلمين في شهداء أحد والبقيع ، فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد فزيارتنا لقبر الرسول مقيس على تلك الزيارات بالقياس الجلي الاولى •

ومقيس على استحباب زيارتنا لقبور موتانا وزيارتنا لقبور موتانا ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم

---

٥ ـ أخرجه الدارقطني عن رجل من آل حاطب ، وأخرجه ابن عمر أيضا • ورواه ابو يعلي في سنده • وابن عدي في كامله وفي اسناده حفص بن داود قال أحمد فيه : انه صالح • وأخرجه الطبراني في الاوسط عن عائشة • انظر نيل الاوطار (١٠٨/٥)
وكذا اخرجه الحافظ العراقي في حديث احياء علوم الدين • انظر الاحياء (٢٥٩/١) •

عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الاخـــرة »(٦) .
ولا شك ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم عــلاوة على أنها تذكر الاخرة ، تذكر أيضا أحوال شخصية الرســول الكريم الامين وبعثه ورحمته للعالمين ، ونزول الوحي عليه ، وجهاده في سبيل اعلاء كلمة الحق ، وبذلك تتجلى انوار الحق سبحانه وتعالى على قلوب الزائرين ، وتستعد للاقتداء بــه بقدر الامكان في طريق الاسلام والاحسان .

وأما حمل تلك الزيارات على ما اذا كان الزائر والمزور في بلد واحد ، وانه لا تجوز عند بعد المسافة بدليل قولــه صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمســجد الاقصى » (٦) أخرجه الشيخان واحمد وابو داود وغيرهم فهو حمل غــير صحيح واستدلال غير مستقيم عند من يعرف قواعد اللغــة

---

٦ ـ أخرجه سلم في الجنائز عن ابن بريده عن ابيه . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ٤/٣١٥
والنسائي عن ابن بريده أيضا في كتاب الجنائز . انظر شرح السنن (٤/٨٩) والترمذي . واخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود في كتــاب الجنائز رقم ١٥٧١ (١/٥٠١) واخرجه أبو داود في كتاب الجنائز عن ابن بريده . انظر السنن (٢/١٩٥) .

٧ ـ رواه البخاري في أبواب التطوع عن ابي سعيد الخدري . انظــر القسطلاني في (٢/٣٤٨) . واخرجه مسلم في كتاب الحج عن ابــي هريرة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٦/١٠٥) .

العربية فضلا عن سائر الادلة ، لان قوله صلى الله عليه وسلم ذلك جملة استثنائية مفرغة حذف منها المستثنى منه كما هو معلوم ، فيجب تقدير المستثنى منه بحيث يكون الاستثناء متصلا لا منقطعا ، لعدم وروده في الكلام الفصيح الا ما شذ ، فوجب تقدير المستثنى منه بالمحل او بالمسجد ، وتقدير المحل غير صحيح ، لانه يستلزم ان لا يشد الرحال الى محل الجيوش المجاهدين لسد الثغور والحروب مع الاعداء ، ولا الى الجامعات البعيدة والمدارس النائية لطلب العلوم المهمة النافعة ، ولا الى البلدان لجلب أموال التجارة ، ولا الى اماكن الاقارب لصلة الارحام ، ولا الى القرى المتباعدة لزيارة الاحباب المتحابين في الله الى غير ذلك ، وذلك باطل قطعا فوجب حمل المستثنى منه على المسجد ، أي لا تشد الرحال الى أي مسجد الا الى ثلاثة مساجد كما في الحديث الشريف ، ومعناه لا تشد الرحال لاداء الصلاة في أي مسجد الا الى ثلاثة مساجد ، وهذا أمر لا نزاع فيه لعدم الفرق من حيث المكان في اداء الصلوات بين المساجد في المعمورة الاسلامية الا المساجد الثلاثة ، ومعلوم ان من يشد الرحال للزيارة خارج عن موضوع القضية وانتهت المشكلة .

كيفية زيارته صلى الله عليه وسلم

يستحب للزائر ان ينوي مع زيارته صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بالمسافرة الى مسجده صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه . ويستحب ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ، فاذا وقع بصره على أشجار المدينة المنورة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والسلام عليه، ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ويتقبلها منه . ويستحب ان يغتسل قبل دخوله ويلبس انظف ثيابه ، ويستحضر في قلبه شرف المدينة المنورة ، وانها أفضل الدنيا بعد مكة عند العلماء ، وعند بعضهم أفضلها على الاطلاق وان الذي شرفت به خير الخلائق أجمعين . وليكن من أول قدومه الى ان يرجع مستشعرا لتعظيمه ممتليء القلب من هيبته صلى الله عليه وسلم كأنه يراه .

وهناك آداب للزائرين مذكورة في محلها . ومن المهم أن يدخل المسجد الشريف فيقصد الروضة الكريمة وهي ما بين المنبر والقبر المبارك ، فيصلي تحية المسجد بجنب المنبر ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ، ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله عليه وسلم الذي كان يصلي فيه حتى توفى اربع عشر ذراعا وشبر وان ذرع ما بين المنبر والقبر المنور ثلاث وخمسون ذراعا وشبر .

واذا صلى التحية في الروضة أو غيرها من المسجد شكر الله تعالى على هذه النعمة ، ويسأله اتمام ما قصده وقبول زيارته • ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ، ويستقبل جدار القبر ، ويبعد من رأس القبر الشريف نحو أربعة أذرع ، ويقف خاشعا متأدبا ، ثم يسلم ولا يرفع صوته ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، ثم يقرأ الاوراد والادعية المأثورة ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله ، وثانيه في الغار جزاك الله عن أمة نبيه صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضى الله عنه فيقول : السلام عليك يا عمر أعز الله بك الاسلام جزاك الله عن أمة محمد خيرا ، ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في حق نفسه ، ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى في حق نفسه ومن شاء من آبائه وأمهاته وأولاده وحواشيه وغيرهم من المسلمين •

(التوسل والوسيلة)

وأعلم ان التوسل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم المهمات ، لاجابة الدعوات ، وقضاء الحاجات ، وغفران الذنوب ، وكشف الكروب ، وحصول الآمال الخيرية، وكل ما يدخل في مطالب الانسان المسلم ، من أوثق ما يعتبر مفتاحا لابواب الخيرات ولا تسمع قول من أنكر التوسل به صلى الله عليه وسلم ، واعتباره خروجا من أدب الدين ، بل اعتقد ان انكاره ذلك انكار لما يستفاد من ظاهر القرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم ، واجماع المسلمين قبل ظهور البدع والاهواء ، وليس قول المبتدعة الاشبهة تافهة تنطفي نارها بأدنى نفحة قدسية ، واليك ما يلي :

نحن معشر أهل السنة والجماعة نستدل على جواز التوسل بكل وسيلة مشروعة ، بالكتاب ، والسنة ، واجماع الامة قبل ظهور البدع والاهواء ، أما الكتاب فمنه قوله سبحانه وتعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جائهم ما عرفوا كفروا به)[1] • نزلت في بني قريظة وبني النضير ، كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ، والمعنى يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم على المشركين ، كما روى السدي أنهم

---

١ ـ سورة البقرة الآية ٨٩

كانوا اذا اشتدت الحرب بينهم وبين المشركين اخرجـوا التوراة ، ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : اللهم انا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا ان تبعثه في آخر الزمان ان تنصرنا اليـوم على عـدونـا فينصرون . وبنو قريظة والنضير أهل كتـاب ، والاوس والخزرج من المشركين ، وشرع من قلبنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ .

ومنه قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة)[٢] . والوسيلة بظاهرها تشمل التوسل بالاشخاص احياءا وامواتـا ، والتوسل بالاعمال الصالحة للمتوسل ولغيره ، كما يشمل التوسل بغيرهما من الوسائل المشروعة ، وذلك لانه ان كان الوسيلة بمعنى الواسطة فيشمل التوسط بكـل واسـطة مشروعة ، وان كانت بمعنى المنزلة والقربة مـن الله ، فحذف المفعول غير الصريح لقوله (وابتغوا) يشمل كل مـا يبتغى به القرب من الله سبحانه وتعالى ، ومن بلاغة القرآن الكريم حذف المتعلقات ، لافادة العموم كما في قولـه تعـالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[٣] أي أي معلوم كان (والله يدعوا الى دار السلام)[٤] أي جميـع عباده ، وكذلك (وابتغوا اليه الوسيلة) ، أي بأي وجـه مشروع غير منهى عنه ..

---

٢ ـ سورة المائدة الآية ٣٥

٣ ـ سورة الزمر الآية ٩

٤ ـ سورة يونس الآية ٢٥

ولذلك قال سيدنا عمر رضى الله عنه بعدما استسقى أي توسل بالعباس رضى الله عنه (هذا والله الوسـيلة الى الله) كما في الاستيعاب لابن عبد البر [٥] .

وأما السنة فمنها حديث عثمان بن حنيف (بالتصغير) وفيه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أدع الله تعالى أن يعافيني فقال صلى الله عليه وسلم: ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادع ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا رسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في »[٦] . قال ابن حنيف فوالله ما تفارقنا وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط . رواه الترمذي ، وقال حديـث حسن صحيح ، ورواه ايضا ابن ماجه ، والحاكم عن عثمان

---

٥ ـ حديث توسل عمر بالعباس رواه البخاري في رقم ١٠١٠ وكـرره ٣٧١٠ ، ورواه الاسماعيلي ، وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير رقم ٨٤ وذكر الحافظ ابن جحر تفصيل ذلك في الفتـح (٤٩٧/٢) .

٦ ـ حديث الضرير أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٢٦/١) وقال : صحيح على شرط البخاري . والترمذي رقم الحديث ٣٥٩٥ طبعة القاهرة ، وابن ماجه رقم الحديث ١٣٨٥ .

بن حنيف وصححه الحاكم . فان الظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع للرجل كما طلب ، وانما اقتصر على ما أمره به وعلمه ، وحيئذ يكون متوسلا في دعائه بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون أمره بهذا الدعاء دليلا واضحا على جواز التوسل بالذات ، وانما علمه صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يدع له لعموم فائدة هذا الدعاء ، ولذلك استعمله السلف وتبعهم الخلف لقضاء حوائجهم بعد وفاته ، ولانه أراد ان يحصل منه التوجه الى الله تعالى ، واظهار الاضطرار اليه عز وجل مستعينا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده ، وليتميز في نفسه نوع التوجه الى الفاعل المختار عن نوع التوجه الى الاسباب ، فان الاسباب انما يتوجه بها ولا يتوجه اليها مع التوجه الى الله عز وجل وحده ، وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم .

والحاصل ان في هذا الحديث الشريف التوسل بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصرفه عن ظاهره تحريف الكلم عن مواضعها بالهوى ، وأما كون استجابة دعاء الضرير بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو غير مذكور في الرواية ، أو بدعاء الضرير نفسه ، فلا شأن لنا بذلك ، بل الحجة هي نص الدعاء المأثور عن الرسول عليه السلام ، وقد نص على صحة هذا الحديث جماعة من الحفاظ .

وقد ورد أيضا في حديث فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها قوله صلى الله عليه وسلم (بحق نبيك والانبياء

الذين من قبلي)[٧]. ورجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح ، وعنه يقول الحاكم (ثقة مأمون) وذكره ابن حبان في الثقات ، وهو نص على أنه لا فرق بين الاحياء والاموات في باب التوسل ، وهذا توسل بجاه الانبياء صريح . وفي حديث ابي سعيد الخدري رضى الله عنه « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك »[٨] وهذا توسل بالمسلمين عامة أحياء وامواتا ، وابن الموفق في سنده لم ينفرد عن ابن مرزوق ، وابن مرزوق من رجال مسلم ، وعطية حسن له الترمذي عدة أحاديث .

وعلى التوسل بالانبياء والصالحين احياء وامواتا جرت الامة طبقة فطبقة بحيث يظهر منه انعقاد الاجماع الصحيح ، بمعنى انا لم نجد في القضية خلافا ممن يعتد به ومضت عليه الازمنة قبل ظهور البدع والاهواء .

ثم نقول ان التوسل وقع ويقع بأوجه كثيرة ، ويرجع كلها الى حقيقة واحدة هي الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى من المتوسل ، والتشفع بما يؤيد اجابة دعائه وطلبه في قضاء حاجته ، وباب التشفع باب واسع على ما هو واضح للمسلمين .

---

٧ ـ الحديث يأتي بطوله وتخريجه في ص ١٢٠ .

٨ ـ الحديث يأتي في ص ١١٨ .

الوجه الاول من التوسل هو التوسل باسماء الله تعالى وكلماته وأنبيائه

وهذا الوجه وجيه وواقع ، وليس فيه من المنصفين منازع ، فقد أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اني أسألك بأسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي اذا دعيت به احببت واذا سئلت به اعطيت واذا استرحمت به رحمت واذا استفرجت به أفرجت »(١) .

وفي حديث الصديق رضى الله تعالى عنه، الذي أخرجه عبدالملك « وأسألك بأسمك الذي بثثت به ارزاق العباد ، وأسألك بأسمك الذي وضعته على الارض فأستقرت ، وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فأستقلت ، وأسألك بأسمك الذي وضعته على الجبال فرست ، وأسألك بأسمك الذي استقل به عرشك ، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين ، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار ، وعلى الليل فأظلم ، وبعظمتك وكبريائك ، وبنور وجهك الكريم ، ان ترزقني القرآن والعلم به ، وتخلطه بلحمي ودمي ، وسمعي وبصري ، ، وتستعمل به جسدي بحولك

---

١ ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء عن عائشة رقم الحديث ٣٨٥٩ السنن ٠

وقوتك ، فانه لا حــول ولا قــوة الا بك ، يا أرحــم الراحمين »[٢] ٠

وفي مشكاة المصابيح عن المهلب ان رسول صلى الله عليه وسلم قــال : « ان بيتكم العـدو فليكن شـعاركم حم لا ينصرون »[٣] أي اذا ذكرتم هذا الاسم المفتتح به سبع سور من القرآن الكريم لا ينصرون اي لا يظفرون بكم ، وذلـك لما وضعه الله تعالى في الاسماء والحروف من الاسرار الخفية والآثار العجيبة ، ومن هنا تعبدنا الشارع بالذكر وتـلاوة القرآن بفهم وبغير فهم ٠

ولاسماء النبي صلى الله عليه وسلم من اسماء الحسنى النصيب اللائق بذاته الشريفة ، فقد أخرج ابن السني فـي كتاب عمل اليوم والليلة في باب ما يقول الرجل اذا خدرت رجله ، عن ابن عباس انه علم رجلا خدرت رجله ان يتبرك باسم محمد صلى الله عليه وسلم ففعل الرجل فذهب خدره ٠

وأخرج ايضا باسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه خدرت رجله فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، قــال : فقام فكأنما نشط من عقاله الى غير ذلك من الاحاديـث

---

٢ ـ قال الحافظ العراقي : من رواية عبدالملك بن هارون وهما ضعيفان انظر تخريج احاديث الاحياء (٣١٧/١)

٣ ـ رواه الترمذي في كتاب الجهاد ٠ وابو داود في كتاب الجهاد باب في الرجل ينادي بالشعار ٠ أنظر السنن ٣١/٢ ٠ وانظر مشــكاة المصابيح رقم الحديث ٣٩٤٨ (٣٨٦/٢٦٠) ٠

الواردة في هذا الباب • واذا صح التوسل الى الله تعالى باسمه صلى الله عليه وسلم وكانت له عند الله هذه المنزلة ، فالتوسل بذاته وجاهه وحقه وحرمته من باب أولى •

وظاهر ان ما خص به اسمه الشريف من المزايا انما جاء له من ذاته الشريفة ، وحقيقته الممتازة عن سائر الحقائق البشرية بما لا يعرف قدر كما لها الا واهب المنن •

وكما وهب عز وجل ذاته الشريفة مواهب لا تحصى ، كذلك وهب أسماءه منها ، وجعله تعالى أول مظهر من مظاهر أسمائه وصفاته العلى ، فكان لا سمه الشريف من أسماء الله الحسنى ما يتناسب مع ما لذاته الشريفة من تلك المواهب ، وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

وشق لـه من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

كما قرن اسمه باسمه في الاذان وغيره • وروي عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول سبحانه وتعالى انا الرحمن وهي الرحم اشتققت اسمها

من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »(٤) فهــذا ونحوه يدل على ان للاسماء حظا وافرا من مسمياتها التــي وضع الله بها من الاسرار ما شاء ان يضع • واسرار الاسماء والحروف والكلمات القرآنية وأوراد الصالحين لا تنكر •
من الصواعق الالهية ص١٥٦

---

٤ ـ تمامه ومن ثبتها ثبته ان رحمتي سبقت غضبي رواه البخاري في الادب المفرد واحمد في المسند وابو داود والترمذي • انظر شــرح الاتحاف السنية بالاحاديث القدسية ص ٦٠ •

الوجه الثاني التوسل بطلب الدعاء من المتوسل به

تستفاد مشروعية دعاء المسلمين بعضهم لبعض مواجهة أو غيابا في الحياة أو بعد الممات سواء طلب الدعاء منه أو لا، من الكتاب والسنة ، والاجماع : أما الكتاب فهو دعاء الرسل الكرام لامتهم كدعاء سيدنا نوح عليه السلام لامته ، ودعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام لامته ، واستغفار المسلمين لاخوانهم السابقين عليهم بالايمان قال تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)[1] وقوله سبحانه وتعالى (وتعانوا على البر والتقوى)[2] الشامل بظاهره لكل تعاون مادي او معنوي ، ومنه الدعاء للمكروب والمريض والمذنب والمحتاج، برفع الكرب والمرض وعفو الذنب ودفع الفقر والحاجة ، وكذلك الدعاء بالتوفيق وتكثير المال والولد والجاه ، وقد تحقق هذا النوع من العون ، وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من الناس كما هو واضح على علماء السيرة النبوية ، وكذلك المسلمون من الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا ٠

واما السنة فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا

---

١ ـ سورة الحشر الآية ١٠

٢ ـ سورة المائدة الآية ٢

يا أخي من دعائك »[3] فقال عمر : كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا . وفي مشاة المصابيح للخطيب التبريزني عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له . قد كان به بياض (برص) فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار او الدرهم . فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ، وفي رواية فمروه فليستغفر لكم »[4] انتهى ، فأمر صلى الله عليه اصحابه باستغفار أويس لهم ، وفيه حث على طلب الدعاء من الصالحين ، وان الفاضل يستحب له ان يطلب الدعاء ولو من المفضول ، فان الصحابة أفضل من التابعين . وأويس رضى الله تعالى عنه كان من خيار التابعين . كما روى الحاكم عن علي مرفوعا (خير التابعين اويس)[5] وروي عن ابن عباس « سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبدالله القرني وان شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر »[6] .

---

٣ ـ أخرجه الترمذي في الدعوات . وابو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء السنن (١/٣٤٤) . وانظر دليل الفالحين (٣/٣١٨) .

٤ ـ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل عن عمر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٤٢٩) .

٥ ـ وأخرجه ايضا عن عمر في حديث طويل بلفظ « ان خير التابعين رجل يقال له أويس » النووي في هامش القسطلاني (٩/٤٢٩) .

٦ ـ أخرجه ابن عدي في الكامل . انظر الجامع الصغير (٢/٥٩) .

وصح انه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بطلب الصلاة عليه ، وطلب الوسيلة له ، فقال « قولوا اللهم صل على محمد »[٧] ٠ وقال « فاسألوا لي الوسيلة »[٨] ٠ كما صح انه صلى الله عليه وسلم عندما كان قد طلب منه أحد اصحابه ان يستسقي للناس فدعا صلى الله عليه وسلم وسقاهم الله تعالى ٠

وروي عن انس رضى الله تعالى عنه انه قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا ٠[*] وقد بين زبير بن بكار ما دعا به العباس في هذه الواقعة فقال : اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس ٠

وهذا ظاهر في الوسيلة في قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) شاملة للنبي صلى الله عليه وسلم وللعباس ولكل من يستسقى به بعدهما ٠

---

٧ ـ سبق تخريجه في محبة الرسول ص ٨١ ٠

(*) سبق تخريجه ص ١٠٠ ٠

٨ ـ اخرجه الترمذي بلفظ (سلوا الله لي الوسيلة) رقم الحديث ٣٦١٦ طبعة حمص ٠

ولا يتوهمن احد ان استسقاء عمر بالعباس يدل على انه لا يستسقي بجاه الاموات ، فانه وهم فاسد ، ووجه استسقائه به دون ان يذهب بهم الى روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ان يستسقي بجاهه صلى الله عليه في خارجها أمور : الاول ارشاد المسلمين الى انه كما كان يستسقي بالرسول صلى الله عليه وسلم لمكانته عند الله كذلك يستسقى ويتوسل في المهمات بالصالحين من آمته لا سيما من كانت له علاقة قرابة منه صلى الله عليه وسلم . الثاني ان استسقاءه به كالاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال عمر : وانا نتوسل اليك بعم نبيك ولم يقل بالعباس بن عبد المطلب فقوة التشريف من اضافته الى النبي صلى الله عليه وسلم فهذه الاضافة المعنوية قد اكسبت المضاف التشريف كالتعريف ، ولا يخفى هذا على علماء البلاغة .

الثالث انه خاف عمر رضى الله عنه على ضعفاء المسلمين حيث ان الله تعالى غني عن العالمين ، ويحتمل انهم اذا ذهبوا الى الروضة وتوسلوا به صلى الله عليه وسلم ان لا يسقوا ، فيقع الضعيف في قلق نفسي .

الرابع انه اراد ان يفهم الناس معنى الوسيلة في قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وانها لا تنحصر في الاعمال الصالحة بل يشملها وباقي وجوه التوسل ، فان عمر كان ملهما كما ورد في بعض الاحاديث وقد وافق رأيه الكتاب العزيز في مواضع عديدة مذكورة في محلها .

الخامس اعلان شرف ذوي العلاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم من آله الكرام لا سيما وان العباس كان بمنزلة الوالد منه صلى الله عليه وسلم ٠

والسادس أراد عمر أن يدعو العباس فيؤمن على دعائه الحاضرون من المسلمين ، فانه لا تخفى مظافرة الدعوات بالتامينات ٠ وكل ما ذكرنا مؤيد بما يأتي من دعائه صلى الله عليه وسلم واستشفاعه بالانبياء الكرام الذين لحقوا بربهم كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى ٠

السابع ان في الاستسقاء بالعباس ورعاية احترامه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء في رواية فخطب الناس عمر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ٠

وسر طلب الدعاء من الغير مع ان الله سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب يسمع دعاء كل داع ومجيب دعاءه اذا شاء كما قال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)(٩) هو أمور نذكرها ان شاء الله تعالى :

الاول تواضع من العبد الداعي وتناس لنفسه فكأنه ابتعد عن ساحة الدعاء لكثرة ذنوبه وخجله امام ربه ، وهذه

---

٩ ـ سورة البقرة الآية ١٨٦

شيمة المخلصين ٠

الثاني امتثال للآيات والاحاديث الدالة على استحباب دعاء الجماعة وتعاونهم بينهم في اللجوء الى الله سبحانه وتعالى فان الله مع الجماعة والجماعة رحمة ٠

الثالث اعتراف من الداعي بما يستفاد من الكتاب والسنة من اختصاص بعض الناس بمزيد فضيلة لا توجد في غيره ٠ فقال سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)[١٠] وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)[١١] فانها تدل بظاهرها على ان الصالحين مختصون بفضائل ودرجات عالية عند الله٠ فالمسلم المضطر يتحرى ان يكون طلبه مقرونا بالاجابة ببركة اضافة دعاء الوسيلة الى دعائه ، الا ترى قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)[١٢] ٠ أضاف استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم الى استغفارهم للتأكد من القبول ببركة استغفار الرسول لهم مع ان الله سبحانه وتعالى قال (واني لغفار لمن تاب)[١٣] وقال (قل

١٠ـ سورة البقرة الآية ٢٥٣

١١ـ سورة الجاثية الآية ٢١

١٢ـ سورة النساء الآية ٦٤

١٣ـ سورة طه الآية ٥٣

يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)[١٤] .

وقال سبحانه وتعالى في ما روى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديثه القدسية « لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألني اعطيته ، وان استعاذني لاعيذنه »[١٥] رواه البخاري ، فاذا ظن واعتقد الداعي برجل صالح انه من أولئك الناس المحبوبين التجأ اليه وطلب منه الدعاء ، لعله يدعو له فيجيب الله تعالى دعاءه .

وقال عليه الصلاة والسلام « رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره »[١٦] فالتجاء الناس الى اولئك الصالحين تأكيد لرجاء القبول من الله سبحانه وتعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « ارجى الدعوات دعاء الاخ لاخيه بظهر الغيب »[١٧] فيطلب الملتجيء من أخيه الدعاء ، فيدعو

١٥ـ أخرجه البخاري في الرقاق باب التواضع . انظر القسطلاني (٣٨٩/٩)

١٦ـ أخرجه مسلم عن ابي هريرة في كتاب البر باب فضل الضعفاء . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٥٤/١٠) . وكرره في كتاب الجنة شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٠٥/١٠) .

١٧ـ أخرجه مسلم بلفظ « دعوة المرء المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة» انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٦٠/١٠) . وعند ابي داود بلفظ « ان اسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب » السنن الصلاة باب الدعاء (٣٥٢/١) .

له غيابا باخلاص ويفوز بالقبول من الله وهو الجواد الكريم .

ولم يزل المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء ويدعو بعضهم لبعض بالخصوص كما يدعون للمسلمين عامة .

الوجه الثالث التوسل بنفس الذوات

وهذا الوجه من التوسل هو أصل في باب التوسل ، لان كل فضل وكرامة وعمل صالح وشرف ينبع من الذات وجوهر شخصيته المختارة ، وهو المستفاد من قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)[١] ومن قوله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار)[٢] وقوله (وكان عند الله وجيها)[٣] ومن قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)[٤] . والعاقل ينظر الى اصطفاء الذوات قبل النظر الى محاسن الصفات ، والبسيط ينظر الى الصفات ويستدل بها على رفعة الذات ، فالذات أصل والوصف فرع . وصورة هذا التوسل ان يقول الداعي : اللهم اني اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بعبدك الفلاني ان تقضي لي حاجتي ، وهذا أيضا واقع في قضية الشخص

---

(١) سورة النحل ، الآية ٥٩
(٢) سورة ص ، الآية ٤٧
(٣) سورة الاحزاب ، الآية ٦٩
(٤) سورة الانفال ، الآية ٣٣

المكفوف فان ظاهرها انه قال : اللهم اني أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم[٥] . وفي استسقاء عمر بالعباس في قوله : انا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا[٦] ولم يطلب منه دعاء ، ولكنه عبر عن بيان المقصود بقوله وبدعائه الذي سبق ذكره ، وكذلك في قضية توسل سيدنا معاوية بزيد بن الاسود رضى الله عنهما حيث قال : اللهم انا نستسقي بخيرنا وافضلنا اللهم انا نستسقي بزيد بن الاسود ، واما دعاؤه فكدعاء سيدنا العباس في طلب مراد الناس .

ولا مانع من التوسل بالذات اذا كان من الاموات كالاحياء ، لانه يتوسل بيمنه وقدسيته ، والكرام اذا ماتوا باتوا في حلية النعيم والكرم المقيم وصفاء ارواحهم ازيد وأنوار قلوبهم أوسع ، ولا يتوسل باللحم والدم والعصب والعظم بل يتوسل بذوات لا ينقص مقدارهم دينا وشرعا عن مقادير الشهداء الذين قال سبحانه وتعالى في شأنهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٧] فاذا كان الشهداء على تلك المنزلة من الحياة لخدمتهم وجهادهم في الدين فكيف بصاحب الدين وسيد المرسلين وصحابته الاكرمين .

---

(٥) سبق تخريج الحديث ص ١٠٠

(٦) سبق تخريجه ص ١٠٠

(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٦٩ ـ ١٧٠

الوجه الرابع التوسل بالاعمال الصالحة وذكرها

وصح التوسل بذكر الاعمال الصالحة كما روى في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة اصحاب الغار الثلاثة الذين آووا الى غار فاطبقت عليهم صخرة ، فتوسل كل واحد منهم بصالح عمله بعد ذكره قائلا « اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه »[1] فأزال الله عنهم بسؤال كل واحد ثلثا من الصخرة وخرجوا يمشون ، فكل هذا يدل على جواز التوسل بالخير وبأهل الخير ، لان مغزى ذلك التوسل ان اطاعة الله بالاعمال الصالحة محبوبة مرغوبة عند الله ، والعاملون لها مظاهر تلك الطاعات والخيرات فيكون لهم قدم صدق عند مليك مقتدر ووجاهة عند الله الرؤوف الرحيم · والتوسل بهم يكون عرضا لتلك الرغبة والوجاهة عند الله ، الا ترى أن الله سبحانه أمر العبد الذي أتاه من لدنه علما باقامة جدار اليتيمين اللذين كان أبو هما صالحا ، أليس ذلك لطفا معه ومع ذريته المساكين؟ أليس ذلك مندرجا في لطائف قوله الكريم (وهو يتولى الصالحين)[2] ؟

ثم اذا ثبت ان للاعمال الصالحة الناشئة من المسلم بركة وقيمة ، ظهر ان المتوسل اذا قال : اللهم اقض حاجتي ببركة اخلاص النبي الكريم ، أو ببركة تضحية هذا الشهيد

---

(١) الحديث يأتي بطوله وتخريجه في كرامات اولياء الله

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٩٦

المستشهد في سبيل الله ، أو ببركة مساعي القراء والحفاظ لكتاب الله أو بيمن حملة أحاديث رسول الله ، أو باجتهاد المجتهدين لاستنباط أحكام الله ، أو بصداقة الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كان لتوسله ذلك قيمة واحتراما ويعز عليه سبحانه وتعالى ان يرد المتوسل خائبا ٠ بل بالعكس يتجلى عليه بالرحمة وقضاء حاجته ، وهذا هو الواقع المعلوم من سنته في عباده وأهل ذمته ، حشرنا الله تعالى معهم وعفا عنا ببركات أعمالهم وقوة نياتهم ٠

الوجه الخامس

التوسل الى الله تعالى بحق عباده المكرمين من الانبياء والمرسلين ومن الأئمة العارفين

وهذا النوع من التوسل يشمل التوسل بحقهم أحياء وأمواتا ، وهو استشفاع بحقهم ، وليس معنى حقهم الحق المرعي الواجب على الله تعالى ، فانه لا يجب عنه ، ولا يجب عليه شيء ، وهو الفاعل المختار ، بل المراد حق الاحترام والاكرام المرعى منه تعالى فضلا ورحمة واحسانا، كما في قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة)[1] وكما في قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)[2] ٠ والحق بهذا المعنى يرجع الى معنى الجاه والشأن والقدر عند الله تعالى ٠

(١) سورة الانعام ، الآية ٥٤

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٧

وهذا التوسل وقع منه صلى الله عليه وأمر أصحابه به ، فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك » وروى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا اليك ، فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت أتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، فأسألك ان تعيذني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، أقبل الله بوجهه عليه واستغفر له سبعون ألف ملك »(٣) . وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير .

وروى الحديث المذكور ايضا ابن السنى باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه ولفظه كان رسول الله اذا خرج الى الصلاة قال « بسم الله ، آمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك ، واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة »(٤) .

---

(٣) أخرجه الامام احمد في المسند (٣/١٢١) . وابن ماجه في باب المشي الى الصلاة (١/٢٥٦) ورقم ٧٧٨ قال في الزوائد هذا اسناده مسلسل بالضعفاء .. لكن رواه خزيمة في صحيحه من طريق بن مرزوق فهو صحيح عنده .

(٤) اخرجه النووي في الاذكار وضعفه ص٣٢ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم الحديث (٨٤)

ورواه الحافظ ابو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث ابي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال « اللهم » الى اخر الحديث .

ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث ابي سعيد ايضـــا .

ومحل الاستدلال قوله صلى الله عليه وسلم « بحـــق السائلين عليك » النص في التوسل بحق العباد الداعـــين السائلين ، ومنهم الاحياء والاموات ، كما ان في الحديـــث الشريف دلالة على جواز التوسل بحق نفس المتوسل واعماله الصالحة كما يظهر من قوله « واسألك بحق ممشاي هـــذا اليك » . ولما كان الحق بمعنى القدر والجـاه كان فيـــه الاستشهاد للتوسل بالجاه أيضا . فالحديث المذكور برواياته وطرقه الكثيرة يكون دليلا على جواز التوسل بالحق والجـاه للاحياء والاموات من العباد المكرمين ، وبعمل النفس ايضا، كما هو منصوص بقوله صلى الله عليه وسلم «ممشاي» ولم يزل السلف من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم يستعمـلون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة بأمره صلى الله عليـه وسـلم .

ويدل على هذا النوع من التوسل أيضا ما رواه الطبراني في الكبير والاوسط ، وابن حبان والحاكم وصححــوه عـن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما ماتت فاطمة بنـت أسد رضى الله عنها ، وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم

وتمهدته وخدمته وهي أم علي بن ابي طالب رضى الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال « الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين »(٥) .

وروى ابن ابي شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك ، وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه ابو نعيم في الحلية عن أنس رضى الله عنه ذكر ذلك الحافظ السيوطي في الجامع الكبير .

وروى البيهقي باسناد صحيح في كتابه (دلائل النبوه) الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال يارب أسألك بحق محمد ألا ما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه ، قال يارب انك لما خلقتني رفعت

---

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في حديث طويل ، وفي رواته روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم ، قال الحافظ الهيثمي : روح فيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد (٩/٢٥٦-٢٥٧) وأخرجه ابو نعيم في الحلية (٣/١٢١)

رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا آله الا الله محمد رسول الله . فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، انه لاحب الخلق اليّ ، واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك »(٦) . ورواه ايضا الحاكم وصححه الطبراني وزاد فيه « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

والى هذا التوسل اشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس ، وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين ، وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي ، وقال له : يا ابا عبدالله استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال تعالى (ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)(٧) .

ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح ، وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام ،

---

(٦) واخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٥) واخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريقه وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله : قلت بل موضوع وعبد الرحمن واه .

(٧) سورة النساء ، الآية ٦٤

والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء ، والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية ، والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المُنظّم بالمنتظم ، وذكره كثير من ارباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه ، وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ، ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ، ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة .

الوجه السادس

التوسل الى الله بالتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم

وهذا أمر ثابت في عهده صلى الله عليه وسلم بمرآى منه، وقد قرره صلى الله عليه وسلم وجرى الامر عليه بعد وفاته أيضا ، لان الله سبحانه وتعالى خص آثاره وما لمسه أو باشره بمزايا وخصائص يتبرك بها وينتفع بأثرها .

ففي الصحيح عن أسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنها انها أخرجت جبة طيالسة وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفون بها ، وكانوا يفعلون ذلك فيشفون ·

وكان لعبد القاسم بن المأمون قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم يجعلون الماء فيها للمرضى فيشفون به ·

وكان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ ابتدروا وضوءه وكانوا يقتتلون عليه ، وكان لا تسقط منه شعرة الا ابتدروها وتبركوا بها · وقد أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بل كان يأمر أبا طلحة ان يفرق شعره عند حلق رأسه بين أصحابه ليتبركوا به كما في صحيح البخاري[*] · وفيه عن ابي جحيفة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة الى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت يده فوضعتها على وجهي فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك »[1] رواه احمد والبخاري وقوله (يمسحون بها وجوههم) فيه مشروعية التبرك بملامسة أهل الفضل والصلاح ·

(*) لمزيد تفصيل ذلك راجع فتح الباري كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل فيه شعر الانسان (١/٢٣٨ - ٢٣٩) ·

(١) البخاري باب المناقب · انظر القسطلاني (٦/٢٩)

وفي صحيح مسلم عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يداوي من به قرحة أو جرح بأن يضع أصبعه السبابة بالارض ثم يرفعها قائلا « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا »[٢] . أي هذه تربة أرضنا معجونة بريقة بعضنا ، قال النووي . ومعنى الحديث ان يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب ليعلق بها شيء منه فيمسح به على الموضع العليل والجرح ويقول هذا الكلام في حال المسح متبركا باسمه تعالى . أنظر شرح المشكاة .

والسنة مملوءة بذكر التبرك والرقية بآثاره صلى الله عليه وسلم عرقه ودمعه ولعابه وثيابه ومشاهده التي شرفها صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا اخذ التبرك بآثار الصالحين .

وقد حوفظ على عدد من شعرات لحية الرسول صلى الله عليه وسلم عند ملوك المسلمين ، ووقع منها عدد في خزانة السلاطين العثمانيين رحمهم الله تعالى ، ووصلت منها عدد الى ديار كردستان العراق كما هي موجودة الآن في تكية (بيارة) المباركة احدى نواحي قضاء (حلبجة) التابعة لمحافظة السليمانية وقد توسل ببركتها على مرآى منا في مناسبات

---

(٢) اخرجه سلم في كتاب الطب . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٢٦) ، وابو داود في سننه كتاب الطب (٢/٣٣٩)

خاصة في زمن الجدب وقلة الامطار ، فأخرجت من صندوقها الخاص واجتمعنا واقفين وصلينا على الرسول صلى الله عليه وسلم مرات وتوسلنا بها فنزلت الامطار الغزيـــرة ، وفي أوقات الخوف من هجوم الاعداء على بعض اقطار المسلمين من مجاورين فحصلت صيانة لها عنهم ، وذلك معلوم ومعروف عند المسلمين الموجودين في تلك الربوع بحيث لم يبق مجال للشك فيه ، واقرأوا قوله تعالى (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابي يأت بصيرا)(٣) .

---

(٣) سورة يوسف ، الآية ٩٣

الوجه السابع التوسل بالرقى والتمائم

وثبت ان التوسل بقراءتها وكتابتها نافع وسبب من الاسباب العادية التي يخلق الله المسبب عندها ، قال ابن رسلان كما في نيل الاوطار ان هذا جائز لا أعرف الآن من يمنعه في الشرع(*) .

واحاديث البخاري وغيره من الرقية بالفاتحة والمعوذتين تدل على جواز الرقية بغيرهما من سائر آيات الله ، وكذلك الرقية بكل ما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من الأدعية والتعوذات ، ويلحق به ما ورد عن الصالحين من الاقوال والاعمال التي لا تشتمل على باطل . فان الرقية منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع كما يشير اليه حديث خارجة بن الصلت عن عمه انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله انا قد حدثنا ان صاحبكم (يعنون النبي صلى الله عليه وسلم) قد جاء بخير فهل عندك شيء تداوى به قال فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كل يوم مرتين فبرىء فأعطوني مائتي شاة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال « خذها فلعمري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق »(١) رواه احمد وابو داود ولفظ

(*) انظر نيل الاوطار (٢٣٩/٨) .

(١) أخرجه ابو داود في كتاب الطب، انظر السنن (٢ص٣٣٩و٣٤١)

ابي داود « ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بريقه ثم نقل » قال ابن أبي جمرة ومحل التفل يكون بعد القراءة لتحصل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق ٠ وفي قوله صلى الله عليه وسلم « برقية باطل » أي برقية كلام باطل اشارة الى ان الرقية منها حق ومنها باطل وهي التي اشتمل كلامها على محرم أو مكروه ٠

ويدل على المقصود أيضا خبر ابي سعيد الخدري رضى الله عنه وذلك انه كان مع جماعة من الصحابة في السفر فمروا بحي من احياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فباتوا بالوادي فلدغ رئيس ذلك الحي فأتوا له بكل دواء فلم ينجع ، أي لم ينفع بشيء ، فقال بعضهم لبعض : سلوا ذلك الحي الذي نزل عندكم فسألوهم فقالوا هل فيكم من راق فان سيد الحي لدغ فقالوا : نعم ، ولكن لا يكون ذلك الا بجعل لكونهم لم يضيفوهم فجعلوا لهم قطيعا من الغنم وكان ثلاثين رأسا وكانت الصحابة كذلك ، فقرأ عليه ابو سعيد الفاتحة ثلاث مرات فكأنما نشط من عقال ، وانما رقاه بالفاتحة دون غيرها لانه صلى الله عليه وسلم قال « فاتحة الكتاب شفاء من كل داء »(٢) ثم توقفوا في ذلك فقالوا كيف نأخذ أجرا على كتاب الله تعالى ؟ فلما قدموا المدينة أتوا النبي صلى الله عليه

---

(٢) رواه بهذا اللفظ البيهقي في شعب الايمان عن عبدالملك مرسلا انظر الجامع الصغير (٢/١٢٢)

وسلم وسألوه عن ذلك فقال « ان أحق وفي رواية ان احسن، ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى »[٣] .

وقد رقى صلى الله عليه وسلم سهل بن حنيف من نظرة عامر بن ربيع حيث أمره بغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وما تحت ازاره ، ثم بصب الماء على رأسه فبرىء لوقته . وكان صلى الله عليه وسلم يأمر العائن بذلك وكم وكم له صلى الله عليه وسلم ولغيره ممن ورث حاله في هذا الباب ، وان كان بين رقاه صلى الله عليه وسلم ورقي غيره من التفاوت ما بين مقامه ومقامهم ، ولا شك ان هذه الرقى منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره من العمل الصالح الذي يتوسل به الى حصول المطلوب ويتقرب به الى الله تعالى لنيل ثوابه المعروف .

واحاديث النهي عن الرقى والتمائم محمولة على قوم كانوا يعتقدون نفعها وتأثيرها بطبعها ، كما كانت الجاهلية يزعمون في أشياء كثيرة انها تؤثر بطبعها ، أو على رقى أشتمل كلامها على محرم أو مكروه ، والا فرقيه صلى الله عليه وسلم متواترة لا شك ولا شبهة فيها .

---

(٣) اخرجه ابو داود في كتاب الطب انظر السنن (٢/ ٣٤٠)

الوجه الثامن

التوسل بطلب الفعل من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الأنبياء أو الأوليـــاء

كان يقول يا رسول الله او يا سيدي فلان خلصني من هذه المشكلة المادية ، كابتلائه بالاعداء ، أو المعنوية كابتلائه بوساوس نفسية وغيرها ، فهذا الوجه من التوسل ان كان على رعاية المعنى المجازي كأن يريد المتوسل : يا رسول الله ادع لي أو اشفع لي كي اخلص من هذه المشكلة فانه جائـــز ، وحصول المتوسل اليه واقع ، فكم شفي مريض بتوجهاتهم ، وكم قضيت حاجات بارشاداتهم ، ومن انكر ذلك فقد انكر محسوسا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم رد عين قتـادة بعد ان سالت على وجنته ،(*) وشفى أبن(ملاعب الاسنة) من مرض استسقائه بتفاله على حثوة من التراب بعد اعيـــاء حيلته ، الا انه لا يجوز دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ولا طلبه منه بمثل هذه الصيغة التي من شأنها ان تستند الى الله تعالى لا الى غيره ، لان الداعي وان اراد المعنى المجـازي الصحيح لكن صيغته موهمة للفســـاد فيجب تركهـــا . ونحن ما سمعنا الدعاء من مسلم فاهم للدين بتلك الصيغة،

(*) قصة رد الرسول صلى الله عليه وسلم عين قتادة الى مكانهـا جاءت في روايات كثيرة ، ذكر البغوي وابو يعلي ان القصة كانت في بدر ، وفي رواية ان الرسول وضع راحته على حدقة قتادة ثم غمزها فكان لا يدري اين ذهبت عينه ، وفي رواية انه ردها الى مكانها ، وعند الدار قطني وابن شاهين ان القصة كانت في غزوة أحد وقد فصل الكلام فيها ابن حجر في الاصابة (٢١٧/٣) .

واما المسلم الجاهل أو البدوي البعيد عن معرفة الاحكام فان صدرت منه تلك الصيغ وجب تنبيهه واعلامه ان تلك الصيغة غير سليمة ، وان الصحيح هو ان تقول صيغة تدل على جعله صلى الله عليه وسلم داعيا ووسيلة لوصول المتوسل الى مراده .

ويجب ان يعلم انه ليس من قبيل تلك الصيغة الركيكة قول المسلم المتوسل : اشفع لي يا رسول الله ، أو أسألك الشفاعة لي يوم القيامة على معنى سل الله تعالى ان يغفر لي ويدخلني الجنة ، او ان يقول : يا رسول الله كن وسيلة النجاة لي من تلك المحنة ، أو ادع الله تعالى ان يشفيني أو يعينني على حصول مقصودي ، فان كل تلك العبارات في المآل دعاء الى الله ، وطلب من الله ، والتجاء اليه في الواقع ، وجعل الرسول وسيلة وشفيعا وذلك امر صحيح سليم وشفاعته صلى الله عليه وسلم ثابتة لا تنكر .

فان قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه)[١] مما يقرر ثبوت الشفاعة للانبياء وغيرهم باذنه سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)[٢] وقوله تعالى (لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا)[٣] من الادلة الجلية على ثبوت الشفاعة . وانكارها

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥
(٢) سورة الانبياء ، الآية ٢٨
(٣) سورة طه ، الآية ١٠٩

انكار البديهيات ، وحديث شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كاد ان يكون متواترا ٠

وكذلك ليس من المحظور الاستعانة برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المعروف حسب اللغة العربية المستعملة وحسب العرف العام ، وهو امداده واسعافه للمستغيث بالوسائل الاعتيادية والاسباب المتداولة المعروفة ٠ وكذا ليس من المحظور الاستعانة برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المعروف ، وهو عونه للمستعين بما في وسعه وطاقته الاكتسابية بمباشرة اسباب الخلاص والفرج عن المستعين المكروب ، فان الله سبحانه وتعالى بحكمته العالية جعل لكل شيء سببا الا ترى قوله تعالى في قصة ذي القرنين (وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا)[٤] فالاسباب الاكتسابية كثيرة لا يحصيها الا الله ، فمن الاسباب توجه المستغيث والمستعين الى من يغيثه ويعينه ، ومن الاسباب أيضا امداد المستغاث والمستعاذ بما في وسعه لازالة الكرب عن السائل ٠

ومما هو نص في الاستغاثة بالمعنى الاكتسابي المعروف قوله سبحانه وتعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه)[٥] ومما هو نص في الاستعانة بالمعنى الاكتسابي المعلوم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)[٦] ، وقوله

---

(٤) سورة الكهف ، الآية ٨٤ ــ ٨٥

(٥) سورة القصص ، الآية ١٥

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٥٣

صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »[٧] وينادى على صحة ذلك قوله سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان)[٨] فان التعاون مصدر باب التفاعل ، والباب للمشاركة على ما هو معلوم عند علماء العربية ، وعونك لشخص كثيرا ما يكون بعد استعانته بك ، وكذلك عونه لك يكون بعد استعانتك به ٠

وأما حصر الاستعانة في الاستعانة بالله العظيم في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)[٩] ، وكذا حصر السؤال والاستعانة به تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله تعالى عنهما « واذا سألت فأسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله »[١٠] ، فهو حصر لها على معنى خلق المسؤول والمستعان فيه وايجاده في ذات الله سبحانه ، كيف وقد قال (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)[١١] ٠

فالاستعانة بمعنى خلق المعونة حصر في الله سبحانه وتعالى ، وبمعنى الاستعانة وطلب المعونة الممكنة المتيسرة

---

(٧) تمامه « فان كل ذي نعمة محسود » أخرجه البيهقي في شعب الايمان ، وابو نعيم في الحلية ، والطبراني ، كما ذكره الزركشي في اللآلى المنتثرة في الاحاديث المشتهرة ، وأورده السيوطي ورمز لضعفه في الجامع الصغير (١/٦٤) ٠

(٨) سورة المائدة ، الآية ٢

(٩) سورة الفاتحة ، الآية ٥

(١٠) هذه قطعة من حديث طويل أخرجه الترمذي عن ابن عباس في كتاب صفحة القيامة من سننه ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه احمد انظر المسند (٤/٢٣٣-٢٦٩) ، وذكره النووي في الابعين ٠

(١١) سورة الزمر ، الآية ٦٢

من الناس تستعمل مع كل من يمكن منه ذلك . وذلك نظير الهداية ، فانها بمعنى خلق الاهتداء ونور البصيرة حصر في الله سبحانه وتعالى ، ومسلوب عن كل ما سواه كما قال تعالى (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[١٢] وبمعنى اراءة الطريق وارشاد الناس يستعمل في القرآن كما في قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[١٣] ويستعمل للانبياء والمرشدين الهداة الى الحق وحماته كما في قوله تعالى (وانك لتهدي الى صراط مستقيم [١٤] . فيجب رعاية هذه الامور والتنبه لمعرفة معاني ألفاظ القرآن الكريم واحاديث الرسول العظيم ، حتى نستمين بهما على السلوك في الصراط المستقيم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)[١٥] ألا ترون قوله تعالى خطابا لحبيبه الامين (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)[١٦] فان كفاية الله له بخلقه النجاح وترتيبه المسببات على الاسباب ، وكفاية المؤمنين له بخدمتهم للدين والجهاد لاعلاء كلمة الحق واليقين ، ومباشرة أسباب النجاح الاعتيادي الواجب رعايته على سنة الله في الكون (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)[١٧] .

---

(١٢) سورة القصص ، الآية ٥٦

(١٣) سورة الاسراء ، الآية ٩

(١٤) سورة الشورى ، الآية ٥٢

(١٥) سورة آل عمران ، الآية ٨

(١٦) سورة الانفال ، الآية ٦٤

(١٧) سورة الفتح ، الآية ٢٣

والناجح هو الموفق الذي يوفق بين الاعتماد على الله والتوكل عليه في خلق النجاح والسعادة ، وبين مباشرة الاسباب المشروعة التي خلقها الله تعالى للعباد في دنياهم لرقيهم وظفرهم باعدائهم ، فان الحكمة هي الجمع بين هذين الامرين (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)(١٨) ، ويا أسفا على المسلمين الذين تناسوا جهاده صلى الله عليه وسلم مادة ومعنى حيث كان يحارب الاعداء ، ويعدّ العدة ، ويستنجد ، ويجاهد ، ويأمر بالهجرة الى البلاد ، وفي كل أحواله يرجع الى ربه ويتوكل عليه ويقول (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١٩) .

والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ، كما دلت الاحاديث السابقة ، لأنا لا نعتقد تأثيرا ، ولا خلقا ، ولا ايجادا ، ولا اعداما ، ولا نفعا ، ولا ضرا ، الا لله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ، ولا لغيره من الاحياء والاموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالاولياء والصالحين ، لا فرق بين كونهم أحياءا أو أمواتا ، لانهم لا يخلقون شيئا ، وليس لهم

(١٨) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩

(١٩) سورة يونس ، الآية ٦٢

تأثير في شيء ، وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ٠

وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات حيث جوزوا بعض التوسلات بالاحياء لا للاموات ، فهم القريبون من الزلل، لأنهم اعتبروا ان الاحياء لهم التأثير دون الاموات ، مع انه لا تأثير ايجاديا لغير الله سبحانه وتعالى على الاطلاق ٠ وأما الافادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة اعتيادية ، وتوجه أرواحهم الى الله سبحانه وتعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل ، فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل ، بدون الفرق بين الاحياء والاموات ٠

فشبهة المانعين ان كانت من جهة ان الاموات أجساد هامدة جامدة ، ولا روح ولا ادراك ولا مجال للخطاب معهم ، فتلك ساقطة من الاعتبار ، بأن أجساد الانبياء والرسل لا تبلى ، وان الله حرم على الارض أن تأكل لحومهم ، وأن أرواحهم باقية ثابتة ، ولها ادراك باذن الله تعالى ، وهو تعالى يعلمها بصلوات المسلمين وبتوسلات المتوسلين ، وحسبك في الموضوع خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة عند التشهيد بقولك : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته(*) ، ولا ينافي ذلك قوله تعالى (انك لا تسمع الموتى)[٢٠] لقوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)[٢١] ، فانه لولا خلق الله للاسماع لم يكن اسماع

(*) راجع فتح الباري (٢/٢٦٠) لمزيد من البحث ٠

(٢٠) سورة النمل ، الآية ٨٠ ، وسورة الروم ، الآية ٥٢

(٢١) سورة فاطر ، الآية ٢٢

لأي شخص من أي شخص حتى في الدنيا وفي حال اليقظة ، ولكن الله يسمعهم ، والا فكيف كان يتكلم صلى الله عليه وسلم مع قتلى بدر الواقعين في القليب ، وكيف يقول صلى الله عليه وسلم ان الموتى يسمعون قرع نعال المشيعين لهم ، وكيف كان مجال لتلقين الموتى بعد الدفن ؟ .

وان كانت شبهتهم من جهة أن تأثير لما سوى الله تعالى ، فهي مدفوعة بأن المتوسلين لا يريدون منهم التأثير والايجاد ، معاذ الله ان يتصور المسلم صحة شيء مخالف لقواعد الايمان والاسلام والتوحيد . وان كانت الشبهة وقوع بعض ألفاظ غير سليمة من الخلل ، فهي مدفوعة بتداركها بأدنى عناية حول تربية المسلمين لترك الالفاظ غير السليمة ، واستعمال ما يناسب مقام العبودية .

وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها ، وجعل التوسل شركا وكفرا معارضة صريحة لقواعد الاسلام ، فان من قواعده عدم تكفير أي مسلم الا بعد ثبوت مكفر منه لا يقبل التأويل ، واضلال للامة المعصومة من الخطأ فضلا عن الكفر بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة »[٢٢] ، الحديث المعروف المشهور الجلي الذي ادعى بعض المحدثين انه متواتر ومخاصمة مع قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[٢٣] اذ كيف

---

(٢٢) الحديث يأتي تخريجه في محبة الصحابة
(٢٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠

تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة ؟ وهي خير أمة أخرجت للناس ٠

فاذا وفقنا وتوجهنا الى الضريح الانور وخاطبناه صلى الله عليه وسلم ، فخطابنا معه له أصل في الدين ، وهو الخطاب معه في تشهدنا لكل صلاة ، ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم له روح عالية الدرجات موهوبة منه سبحانه بفضائل لا يعلمها الا هو ، وانه تعالى يخبره ويعلمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين ٠

واذا توسلنا به صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم ، فطلب الدعاء مشروع ، وروحانيته المنورة لا فرق بين عالم علاقتها المادية الدنيوية وعلاقتها البرزخية ، بل والارواح في البرزخ أصفى منها في عالم الدنيا ٠

واذا توسلنا بذاته الشريفة ، أو بجاهه العظيم ، أو بحقه الجسيم ، أي حق رعايته للعبودية الخالصة عند الله تعالى بمحض احسانه ولطفه ، أو فضل طاعته واعماله وجهاده في تبليغ الدين المبين ، فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة كما سمعت منا في أوجه التوسل به صلى الله عليه وسلم ٠

واذا كان القصد الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم ، فلا شك انه الشفيع الأكرم المشفع ، وشفاعته ثابتة لا شك فيها ، وقبول شفاعته ثابت بفضل الله وهو من خالص كرمه ورحمته تعالى ، لا حق لأحد في منعه وحجره أو انكاره ٠

وما توهم الناس به من انه اشراك ، فهو توهم من تعامى عن حقيقة معنى الاشراك ، فانه عبارة عن ان يجعل العبد أحدا سوى الله تعالى شريكا له في الألوهية والربوبية والخلق ، أي ان ذلك الشريك له نصيب من الصفات المذكورة ، وأين ذلك من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بصفة أنه عبدالله ونبيه ورسوله أكرمه بفضله ، وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود ؟

وقياس المسلمين المتوسلين على عباد الأصنام في ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[٢٤] ونحوه ناشيء عن اغماض عن الحق وانحراف عن الواقع ، وتسوية بين الامة الوثنية الجاهلة الضالة العمياء وبين الامة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا شريك له ، الناشئة على الملة الاسلامية الحنيفة المهتدية البيضاء ، التي تمرنت على الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى رب العالمين وخالق كل شيء ومعبود المكلفين . وكيف يتصور بمن أسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عباد الأصنام الجاهليون ؟ وكيف يتصور ذلك من العلماء الاعلام الدارسين لمعنى قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما آلهكم آله واحد)[٢٥] ولأنذارات الرسول الكريم لعشيرته بعد نزول قوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين)[٢٦] ؟

---

(٢٤) سورة الزمر ، الآية ٣

(٢٥) سورة الكهف ، الآية ١١١

(٢٦) سورة الشعراء ، الآية ٢١٤

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يهدي المسلمين بنور العلم السليم الى الصراط المستقيم بمنه وفضله انه أرحم الراحمين ٠

وقلوبنا مملوءة بأمل أن ينتبه المسلم الزكي الذكي المنصف لملاحظة الحقائق ، وتنوير الامة على ضوئها ، وارشاد العامة وتأييد الخواص ، فالدين نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم (٢٦) ، وليس من النصيحة اثارة الشكوك والاوهام وتضليل المسلمين من لدن القرون الاولى الى يومنا ، فانه قد مضت قرون والمسلمون والرشد في قرن كما انه لا ينبغي ولا يجوز بل يحرّم الاقتداء بالحرورية المكفرين فان رأينا نحن المسلمين ان لا نكفر أحدا من أهل القبلة ، الا بحجة قاطعة على كفره ، كما يجب الاجتناب كل الاجتناب عن الانحراف ، ويجب علينا الاعتدال والوقوف في وسط الطريق بلا افراط وتفريط ، وايتاء كل ذي حق حقه ، وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من الرسول وصحابته واتباعه واتباع التابعين صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وعنا ببركاتهم اجمعين ٠

---

(٢٧) هذا اشارة الى الحديث الشريف « الدين النصحية » وهو حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الايمان (١/٧٤) ٠ والترمذي في كتاب البر والصلة ٠ انظر السنن (٤/٣٢٤)

محبة الرسول

ومن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء بـه والاقتداء به صلى الله عليه وسلم هو الجهد في الاتصـاف بعقيدته واعماله واخلاقه صلى الله عليه وسلم قال تعـالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)[1] وقـال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[2] وقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم)[3] وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لا تمم مكارم الاخلاق »[4] فالمؤمن انما يكون مؤمنا بالمعنى الكامل باقتدائه به في كافة شؤونه ، سوى ما اختص به صلى الله عليه من خصائصـه الشخصية الكريمة ٠ ومن هذا الاقتداء تنشأ محبة الكتـاب والسنة بالجهد في تعلمهما والعمل بهما ، وتعليمهما للناس ، والدفاع عنهما ويجب اكرام حملتهما من القراء والحفـاظ والمحدثين ، وعلمائهما القائمين بخدمتهما من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين ، وكل من له قدم راسخ ثابت في تأييدهـم لبقاء هذا الدين المبين ٠

ومنع اللعب بالمحرمات والضغط للاصوات عند قـراءة **القرآن سواء من الراديوات أو غيرها فان ذلك احتقار للقرآن** وتحقيره تعمدا كفر والعياذ بالله تعالى ٠

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣١
(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٢١
(٣) سورة القلم ، الآية ٤
(٤) رواه الامام احمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ٠ انظر تخريج احاديث الاحياء للحافظ العراقي (٣/٤٨)

احترام آله وأزواجه

ومن محبته صلى الله عليه وسلم احترام آله من ازواجه أمهات المؤمنين ، وذريته ، وخدمتهم المستقيمين على الادب الرفيع من ذريته صلى الله عليه وسلم . أما أزواجه الطاهرات فلقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)(١) .

فلا شبهة في أن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، لان أنفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة ، فاذا أمر صلى الله عليه وسلم بشيء ودعت النفس الى غيره ، كان الواجب اتباع أمره صلى الله عليه وسلم ، واذا نهى عن شيء ودعت النفس الى فعله ، كان الواجب الانتهاء عن ذلك والوقوف عند حد النهي ، فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى وداع الى الهدى ، وخير الكتاب كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وما خالف ذلك ونافاه فهو الهوى ، ويجب اجتنابه لنيل الاجر عند الله ، قال (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »(٣) وهذا هو الايمان الكامل .

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٦

(٢) سورة النازعات ، الآية ٤٠

(٣) رواه البغوي في شرح السنة ، والحسن بن سفيان في الاربعين، وابن عساكر في أربعينه ، وصححه النووي ، وتعقبه الحافظ ابن رجب في الاربعين ، ورواه التبريزي في المشكاة (١/٥٩)

ومعنى انه جعل الله تعالى أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ، انه شرفهن الله تعالى ، وأوجب على المؤمنين تعظيمهن ، والمبرة لهن ، واجلالهن ، ورعاية حقوقهن ، والاعتقاد بأنهن متميزات ومختارات من الله سبحانه وتعالى لصحبة خير خلقه ومصطفاه ، كما قال « والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)[٤] فلا يساويهن في تلك الدرجة أحد من النساء ، قال تعالى (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء)[٥] وأمرهن بكل الادب مع الله ومع رسوله وخدمة الاسلام والدين وقال لهن : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا)[٦] وأمرهن الله سبحانه بالتزام الخير من كل وجهة وقال (وقرن في بيوتكن ولا تتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٧] فقد نصت الآية الشريفة على ان الله تعالى أراد بهن الخير وزوال كل مكروه عنهن ، وهذه الالفاظ تعطى ان أهل البيت نساءه وقد روى عن عطاء وعكرمة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم أن أهل البيت زوجاته خاصة ، ولكن الذي يظهر من أول الآيات الى آخرها انها عامة في جميع أهل البيت من الازواج وغيرهم ، وانما قال ويطهركم لان رسول الله صلى

---

(٤) سورة النور ، الآية ٢٦

(٥) سورة الاحزاب ، الآية ٣٢

(٦) سورة الاحزاب ، الآية ٣٤

(٧) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣

الله عليه وسلم وعليا وحسنا والحسين كان فيهم ، واذا اجتمع الرجال والنساء غلب الرجال .

وبالجملة ان من اختارهن الله سبحانه وتعالى لصحبته ودوام العشرة معه صلى الله عليه من خيار المسلمات المؤمنات القانتات العابدات ، وان الايمان بأدبهن وعلو مقامهن وعفتهن ، وأصطفائهن لصحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم من واجبات المؤمنين والمؤمنات .

ومن محبته صلى الله عليه وسلم
محبة آله صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم

قد يستعمل الآل ويراد به جميع أمة الاجابة [1] ومنهم الصالح والطالح ، وهذا المعنى لا تسانده اللغة ولا العرف العام الا في بعض استعمالات مقرونة بقرائن تدل على ذلك المعنى ، وقد يستعمل ويراد به كل تقي ونقي أي كل صاحب تقوى من أمة الاجابة ونظيف من الكبائر ، وهذا المعنى اخص من الاول ، ولا تسانده أيضا اللغة ولا العرف العام الا بقرائن، وقد يستعمل ويراد به مؤمنو بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف ، وهذا المعنى يسانده الحديث الصحيح روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قسم سهم ذوي القربى وهو خمس الخمس بينهم تاركا منه غيرهم من بني عميهم بني نوفل وعبد شمس مع سؤالهم له ٠٠ وقال صلى الله عليه وسلم « ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولآل محمد »[2] وقد يستعمل بمعنى نسله ورهطه الاقربين ٠ وقد يفسر هذا المعنى على وجه يكون اخص من المعنى السابق ، ويؤيده ما رواه زيد بن ارقم رضى الله عنه قال : قال رسول

---

(١) أمة الاجابة يعني جميع اؤلئك الذين استجابوا دعوة الاسلام وآمنوا به،وتقابلها أمة الدعوة : أي اؤلئك الذين دعوا الى الاسلام سواءاستجابوا أم لا ٠

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن عبدالله بن حرث بن نوفل ٠ انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٥/٤٢) ٠ وأخرجه النسائي في كتاب الزكاة سنن النسائي (٥/١٠٦)

الله صلى الله عليه وسلم « انشدكم الله أهل بيتي »[3] ثلاث مرات ، قلنا لزيد من أهل بيته ؟ قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس ، ومعلوم انهم من أولاد هاشم بن عبد المناف ، وليس فيهم من آل أخيه المطلب أحد ٠

وعلى كل فقد وردت في الصحاح أحاديث شريفة ترغب المسلمين في أحترام آله صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك ينادى على ان المؤمن المخلص لدين الله لا شك انه يحب الله ورسوله، ويحب من له علاقة بالرسول صلى الله عليه بصورة عامة ، ويحب علاقته من ذوي قرابته الاقربين بصورة خاصة ، ومن واجب المؤمن رعاية هذه السلسلة الذهبية المباركة التي أثمرت ثمارا طيبة في خدمة الكتاب والسنة ونشر الاسلام بين المسلمين، ويحترمهم وينظر اليهم نظرة اجلال وتوقير ، مع العلم ان كل أفراد المسلمين على حد سواء في وجوب رعاية احكام الله وحدودها، وان اكرم العباد على الله أتقاهم فهذا معنى والنظر الى آل الرسول بنظر الاعتبار احتراما للعلاقة النبوية معنى آخر ٠

وكل من قال أو يقول أن آل الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا من أولاده صلى الله عليه وسلم ، لانه لم يخلف ولدا من الذكور ، وانما هم حواشيه أو اولاد بنته الطيبة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، فانما تكلم بما يتألم به قلب

---

(٣) رواه الامام احمد عن زيد بن أرقم بلفظ « أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثا ٠ أنظر المسند (٣٦٧/٤)
ورواه الترمذي بلفظ « أحبوا أهل بيتي » رقم ٣٧٨٩ ـ ٣٨٧٢ ، طبعة حمص

المؤمن الصادق ، لان المقام ليس مقام الارث والانتساب على القاعدة المعروفة ، بل المقام مقام الارتباط التناسلي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم ، ولو من جهة بنته الطاهرة الزهراء أو الارتباط بآبائه صلى الله عليه وسلم كما تحقق في اولاد عبدالمطلب ومن فوقه حسب ما حدده أهل العلم(*)، وهذه العلاقة علاقة لا تدانيها علاقة ، فعلى المؤمن الوفي بحقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤدي لواجب الشكر ازاء نعمة هدايته صلى الله عليه وسلم وارشاده لأمته ، الهداية التي كانت وسيلة لخروج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الفراغ القلبي الى التحلي بالفضائل العلمية والعملية ، ان ينظر الى من له علاقة به صلى الله عليه وسلم بحيث يحسن في احداق نظره القلبي بنور متصل بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو أدب المسلمين جيلا بعد جيل ونسأل الله التوفيق لادامته الى يوم الدين .

(*) وعلى هذا المعنى كثير من العلماء ، كما بنى عليه العباسيون أحقيتهم بالخلافة من العلويين .

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة اصحابه ثم التابعين

ومحبتهم : أن يعرف المسلم حقهم ، ويقتدي بهم ، ويحسن الثناء عليهم ، ويترضى عنهم ، ويدافع عن منزلتهم وكرامتهم، بالامساك عما شجر بينهم والاعراض عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة القادحين لهم .

ذلك ان لكل أمة مسلمة دينا ولهم مبدأ يرجعون اليه في مهماتهم وعقائدهم وأحكامهم ، وان مرجع الامة المحمدية هو الكتاب والسنة ، والسنة منها متواترة ومنها غيرها ، ومن عند المتواتر الاحاديث المشهورة وغيرها من الصحاح والحسان ، والمسلم يجب ان يقف موقف الانقياد والاعتبار أمام نصوص الكتاب والسنة المتواترة والاحاديث الصحيحة ، والا فلا يبقى معنى للانتساب الى المبدأ واذا كان هنا مجال كلام في رواية حديث من الاحاديث الشريفة الضعيفة ، فلا مجال لاي جدال في مقابل القرآن والسنة المتواترة وما أطبق الاكثرية على صحته أو حسنه ، واذا علمت ذلك فاعلم انه ورد في النصوص الثناء على الموجودين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)[1] ، ولا شك ان المخاطب بهذا القول الجليل بالدرجة الاولى أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ورضى الله عنهم ، وهم الحاضرون أمام الرسول المنورون بنور لقائه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠

المهتدون بهديه ، والمقتدون به في أعماله وأحواله وأخلاقه ، ومنها قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود)[٢] ، وفي هذه الآية الكريمة حسن الثناء عليهم بجملة صفات ونعوت عظيمة ، كصحبتهم ومعيتهم له صلى الله عليه وسلم الظاهرة في الصحبة والمعية المادية والمعنوية ، وكشدتهم وقوة قريحتهم وبطولتهم في لقاء الكفار ، وكرحمتهم وعطفهم ومواساتهم بعضهم لبعض، المواساة التي بها يمتاز الصادق من غيره ، ثم الثناء عليهم بملازمتهم لافضل الطاعات المعبر عن ذلك بأهم اركانها من الركوع والسجود لذات الباري جل شأنه ، ونعتهم بأن عبادتهم لم تكن الا ابتغاء فضل الله ورضوانه ، وتميزهم بأخذهم وسام الشرف في وجوههم من سيماء القدسية المتلألأة عليها من أثر انقيادهم وسجودهم لرب العالمين .

وعقب الله سبحانه وتعالى ذلك بأنهم هم الموصوفون في الكتب السابقة المقدسة النازلة على موسى وعيسى ، والمحتوية على تشبيههم بزرع أخرج شطأه وفروعه وقواها واستوى على سوقه بحيث يعجب الزراع ، وذلك ليتأيد بهم الدين واهله ويغضب بهم الكفار ، ثم يأتي بانه تعالى وعد أولئك الاصحاب الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة مغفرة جسيمة وأجرا عظيما ،

---

(٢) سورة الفتح ، الاية ٢٩

ومنها قوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل عليهم السكينة وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها)[٣] الوارد في أصحاب بيعة الرضوان في الحديبية ، وقد حقق الله وعده بالفتح القريب ففتح عليهم مكة وما حولها ، وبالمغانم الكثيرة التي أخذوها في هوازن وغيرها من المواقف الشريفة التي تبين بها المفدي بروحه عن الطالب لراحته ،

ومنها قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[٤] وكل عالم منصف يعلم من هم السابقون الاولون من المهاجرين ، ومن هم الانصار ، ومن هم الذين اتبعوهم باحسان ، كما يعلم ان من أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأنه رضى عنهم وانهم رضوا عنه وانه أعد لهم جنات رفيعة الدرجات ، لا شك في تحقق ما وعد به في حقهم ، ومن أصدق من الله قيلا ،

كما انه أخبر بانه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، وان المعاملة قد جرت وتحققت ، والتضحية بالانفس والاموال وقعت وتبينت ، وان الفوز بالجنة والدرجات الرفيعة قد وقعت في مشاهد بدر الكبرى وفي أحد

---

(٣) سورة الفتح ، الآية ١٨-١٩

(٤) سورة التوبة ، الآية ١٠٠

وفي حنين وفي اليمامة وفي غير تلك الاقطار من الديار و (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة)(*)، فقد صدق الله ووقعت المعاملة والمبادلة ، المراد بهما وقوع التضحية بالنفس والاموال ، وتحققت الدرجات من الله ذي الجلال .

وكل عاقل مثقف منصف مهتم بالكتاب الكريم النازل بلسان عربي مبين ، اذا لاحظ هذه الآيات البينات ، والادلة القاطعة ، والحجج الدامغة بذلك الاسلوب الواضح المعلوم ، تبين ان اولئك الاصحاب الكرام الذين آمنوا واقتدوا بالرسول الكريم واهتدوا بالكتاب العظيم وخلقه الكريم هم الامة المرحومة الخيرة المباركة بالدرجة الاولى ، وهم الذين رضى الله عنهم ، وهم الذين باعوا أنفسهم وآمالهم وأموالهم وأحوالهم بالجنة ، بجنة الكرامة ولقاء الله تعالى ،

ويعلم ان شهادة الله فوق الشهادات ، وان سعادتهم فوق السعادة ، فباي قيل وقال وبأي رواية من اي طبقة من الرجال يعارض قول الله سبحانه المتعال .

واذا نظرنا الى سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وأحاديثه الشريفة ، وجدنا انه قد بين مدلول الكتاب بتلك السنة ، واظهر مغزى تفسير الآيات الكريمة ، لانه هو الذي خول سلطة البيان وقال تعالى له « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)(٥) ، فنطق بأحاديث شريفة في تشريف أصحابه عموما وخصوصا ، وفي تشريف أمته المرحومة الخالدة

(*) سورة الواقعة الآية ١ ـ ٢
(٥) سورة النحل ، الآية ٤٤

المهتدية التي لا تجتمع على ضلالة ، ويمدها الله تعالى في رأس كل قرن بمن يجدد لها نور دينها واشعاعه وتأييده ٠

فعن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير أمتي قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم » (قال عمران فلا ادري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا) الحديث[٦] وعن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته »[٧] رواهما الاربعة ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ثم يجيء قوم ٠٠٠ الحديث » معناه يتسابقون للشهادة قبل طلبها ويتسارعون لليمين قبل طلبها ، وهذا كناية عن عدم تورعهم ٠

وعن ابي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله فيقولون نعم فيفتح لهم به ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال

---

(٦) أخرجه البخاري في الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا ٠ انظر القسطلاني (٩/٢٤٦ـ٢٤٧) ، ومسلم في فضائل الاصحاب ٠ انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٤١٨)

(٧) أخرجه البخاري في الرقاق ٠ انظر القسطلاني (٩/٢٤٧) ، وانظر التاج (٣/٢٧) ، مسلم في باب فضل الصحابة ، أنظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٤١٩)

هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله فيقولون نعم فيفتح لهم به »[٨] رواه الشيخان .

وقال صلى الله عليه وسلم لعمر « وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[٩] رواه الشيخان .

وعن جابر رضى الله تعالى عنه ان عبدا لحاطب جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال « كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية »[١٠] .

وعن جابر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني »[١١] وعن بريدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما من احد من اصحابي يموت بارض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة » رواهما الترمذي[١٢] .

وعن انس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لا يجمع امتي أو قال أمة محمد صلى الله

---

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب من استعان بالضعفاء . القسطلاني (٩٢/٥) ، وكرره في علامات النبوة ، وفضائل الصحابة ، ومسلم في فضائل الاصحاب شرح النووي في هامش القسطلاني (٤١٧/٩)

(٩) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، غزوة فتح . انظر القسطلاني (٣٨٣/٦) ومسلم في الفضائل ، انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٩٠/٩)

(١٠) أخرجه الترمذي في السنن رقم ٣٩٥٦ طبعة القاهرة ، والتاج كتاب الفضائل (٢٧٢/٣)

(١١) رواه الترمذي في سننه ٣٩٥٧ طبعة القاهرة

(١٢) رواه الترمذي في سننه رقم ٣٩٤٩ طبعة القاهرة

عليه وسلم على ضلالة ويد الله مع الجماعة »[١٣] .

هذه كلها في المناقب العامة وهناك احاديث اخرى تثني عليهم بصورة عامة مثل قوله صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم أهتديتم »[١٤] وكما روي عن عبدالله بن مُغفّل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي أحبهم ومن ابغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد

---

(١٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي بهذا اللفظ وقال هذا الحديث غريب من هذا الوجه . انظر طبعة القاهرة ، الحديث رقم ٢٢٥٦ ، والترمذي بشرح ابن العربي (١١/٩) ، لكن الجزء الاول من هذا الحديث وهو « لا يجمع الله أمتي على ضلالة » قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، ولابن ماجه من حديث أنس بلفظ « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة » رقم ٣٩٥٠ ، وروى من حديث أبي ذر ، وابي مالك الاشعري ، وابن عمر ، وأبي نصرة ، وقدامة وفي كلها نظر وحسنه الترمذي . أنظر تخريج أحاديث منهاج البيضاوي للحافظ العراقي مخطوط .

واما جملة « يد الله مع الجماعة » فقد رواه الترمذي عن ابن عباس ، وقال : حسن رقم الحديث ٢٢٥٥ . ورواه الطبراني في الكبير بلفظ « يد الله على الجماعة » وعلى كل فللحديث طرق .

(١٤) قال الحافظ العراقي في تخريج احاديث منهاج البيضاوي : رواه الدارقطني في الفضائل ، وابن عبد البر في العلم من طريقه من حديث جابر ، وقال : هذا الاسناد لا تقوم به حجة ، لان الحارث بن غصين مجهول ، ورواه عبد بن حميد في مسنده، وابن عدي في الكامل من رواية حمزة بن حمزة عن نافع عن ابن عمر بلفظ « بأيهم أخذتم » بدل « بأيهم اقتديتم » واسناده ضعيف من أجل حمزة ، فقد أتهم بالكذب ، ورواه البيهقي في المدخل من حديث عمر ، ومن حديث ابن عباس بنحوه من وجه آخر مرسلا ، وقال : متنه مشهور واسانيده ضعيفة ولم يثبت في اسناد . ورواه البزار من رواية عبد الرحمن بن زيد العمي عن أبيه عن ابن المسيب عن ابن عمر ، وقال : منكر لا يصح ، وقال ابن حزم مكذوب موضوع باطل ، وقال البيهقي : وقد روى بعض معناه . انظر تخريج احاديث المنهاج ، مخطوط .

آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »[١٥] .

بله الاحاديث الواردة في مناقب العشرة المبشرة ، وفي مناقب فرد فرد من الخلفاء الراشدين بخصوصهم ، والسبطين، والعمين ، وبعض أفراد آخرين ، فأصحاب كهؤلاء يجب ان يكونوا مطيعين منقادين لاوامر الله ورسوله ، ومهتدين بهدى الكتاب ، ومتخلقين بأخلاق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، ومن هدى الكتاب ان يكون لهم مشاورة في الامور الهامة ، كنصب الخليفة ، وحرب أهل الردة ، وجمع القرآن وغيرها ، وقد قال تعالى (وامرهم شورى بينهم)[١٦] فاذا شاوروا وتقرروا اي الجميع على شيء ، أو وافق عليه الاكثرية ، وعملوا بذلك الشيء ، فقد أطاعوا الله ورسوله في ذلك الامر ، ويكون ذلك الامر هو الحقيق بالقبول الواجب اتباعه الى يوم الدين .

ونتيجة تلك المقدمات ان ما درج عليه الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة الكرام ، هو الدين المبين الواجب اتباعه ، فلا مجال للوم أحد عليهم أبدا ، ولا محيد الا الالتزام لما قرروه ، بل ويجب الترضي عنهم فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١٥) رواه الترمذي في سننه رقم ٣٩٥٤ طبعة القاهرة

(١٦) سورة الشورى ، الآية ٣٨

المداومين على نشره والقائمين بنصره بالمعنى الشامل للقراء والحفاظ والمحدثين والائمة المجتهدين وباقي العلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم أجمعين ،

سواء كان ذلك العلم من صميم الدين كعلم قرآت القرآن الكريم وتجويدها ، وعلم السنة النبوية رواية ودراية ، وفقه الاحكام ، أو مما يتوقف عليه فهمه كعلم اللغة ، والنحو ، والصرف ، ووضع المفردات والمركبات ، والبلاغة ، وأصول الدين ، وأصول الفقه ، أو مما يتوقف عليه وضوح الحق في التعاريف والادلة كعلم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة وغيرها مما هو مدون ومدروس في المدارس الدينية ٠

ومعنى محبتهم النظر اليهم بالاحترام والاجلال ، هو تأييدهم في حياتهم لانجاز مهمتهم ، والدعاء لهم بعد وفاتهم، ذلك لان تلك العلوم مما يتوقف عليها فهم الدين الواجب ، وما يتوقف عليه الواجب واجب ، وحسبك في الموضوع الآيات البينات ، والاحاديث الصحاح الواردة في تشريف العلم وأهله ، وذلك كله معلوم لا حاجة لنا الى الاطالة به ، وانما المهم هنا الفات نظر المسلمين الى الاجتهاد والمجتهدين ، واتباعهم في احكام الدين ٠

واليكم نبذة في الموضوع ، وهي أمور : تعريف الاجتهاد والمجتهد ، وما يتوقف عليه الاجتهاد ، ووجوب الاقتداء بالمجتهد ممن لم يبلغ درجة الاجتهاد ٠

فنقول : الاجتهاد لغة : بذل الجهد والسعي الحثيث في الأمر ، وعرفا : استفراغ ما في الوسع لفهم الاحكام الشرعية واستنباطها من الادلة كالكتاب والسنة والاجماع •

ومما يجب علمه ان الاجتهاد في أحكام الدين واجب على الكفاية ، اذا كان هناك جمع ممن يتأتى منهم ذلك ، وواجب عيني اذا تعين شخص له •

والدليل عليه أمور : الاول ، ان الدين أحكام كثيرة لا تحد ولا تستقصى ، فلو لا الاجتهاد لتعطلت الاحكام وذلك ممتنع شرعا •

فان قال قائل : ان الدين احكام محدودة منصوصة بالكتاب والسنة فلا حاجة الى الاجتهاد والمجتهد • قلنا : ان ملة خالدة مؤبدة ، جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين لكافة الشعوب والقبائل ، وامة كهذه الأمة الخالدة تتطور كسائر الامم بحسب الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، وتصادف وقائع ليست احكامها منصوصة في الكتاب ، ولا ظاهرة بسهولة منه ، ولا من السنة ، ووجود هذه الوقائع ، ووجوب معالجتها معلوم عند كل عاقل له خبرة بالامور ، فأصبح الاجتهاد لاستنباط الاحكام غير المنصوصة فرض كفاية ، اذا كان هناك جماعة يمكنهم القيام به ، وفرض عين اذا انحصر العلم في واحد •

الثاني ، ان أدلة الاحكام : اما من الكتاب ، أو من السنة النبوية قولا او فعلا او تقريرا ، والدليل اللفظي اذا كان

قطعي الثبوت كالكتاب والسنة المتواترة ، فيحتاج الى تحقيق ان اللفظ خاص يراد به خاص ، أو عام يراد به عـــام ، أو خاص يراد به عام ، أو عام يراد به الخاص ، والى تحقيــق أنه كما له منطوق فهل له مفهوم او لا ، وهل يحتج بذلــك المفهوم أو لا ؟ وكل ذلك يحتاج الى الاجتهاد ٠

وقد يكون في ألفاظ الكتاب والسنة اشتراك لفظي ، وذلك اما في المفرد كالقرء المشترك بين الحيض والطهر ، وصيغة الامر المشتركة بين الوجوب والندب ، والنهي المشترك بــين التحريم والكراهة ، وأما في المركب كالاستثناء الواقع بعـد جمل تحمل لرجوعه الى جميعها أو الى بعضها ٠

وقد يحتمل اللفظ لان يكون حقيقة او مجاز ، والمجاز له أنواع كثيرة ، وقد يكون اللفظ مطلقا ، وقد يكون مقيدا ، كالرقبة في الكفارة ، وقد يقع تعارض بين دليلين في الالفاظ التي يتلقى منها الاحكام ، وفهم الحكم المشروع القـــوي يحتاج الى مزيد علم وبصـيرة لا يوجـــدان الا في المجتهد ، هذا كلــه في المتواتـــر وامـــا غــيره ففيه ما سـبق ومشاكل أخـــرى من حيث الســـند وغـــيره ٠ واذا كان الدليـــل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ينازع الخصم بـأن ذلك الفعل من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، أو انه يحتمل الوجوب أو الندب ، وقد يعارضه فعل آخر صدر منه صلى الله عليه وسلم ، أو قياس جلي ، والخروج من هذه المشاكــل لا يمكن من غير المجتهد ٠

واذا كان الدليل تقريرا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك أيضا يحتمل وجوها وملابسات لا يتعين المقصود منها الا برجال الاجتهاد ٠

ومن انصف علم ان كل عربي لا يفهم كل الآيات بكافة محتملاتها ومحتوياتها ولو كان مثقفا ، بل يحتاج الى درس وعلم ومرونة ٠ فمن هنا تتبين حاجة المسلمين الى الاجتهاد ورجال الاجتهاد ، ولذلك استمر الاجتهاد من الصدر الاول الى قرون متتالية ٠

الرابع ، ما دل على وجوبه من الكتاب فمنه قوله تعالى (واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذا اعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)[١] فان في الاية الشريفة اسناد العلم بخفايا الامور ومعالجة المشاكل الى أهل الاستنباط ، وكشف الخفايا والدقائق من أولي الامر العلماء والقادة من المسلمين ٠

ويدخل في ذلك الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية الخفية من طيات الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ٠

ومنه قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ٠ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)[٢] ومعلوم عند اهل العلم ان

---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٣

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢١

التفقه مصدر باب التفعل ، ويدل على الاعتماد والاكتساب بقوة وصرف الهمة الى كشف المهمة ، ويشمل ذلك فهم كل حكم من أحكام الله تعالى مأخوذ من كتاب الله أو سنة رسوله ، بطريق الوضوح أو الخفاء ، منطوقا أو مفهوما ، دلالة أو اشارة أو اقتضاء ، وفيه الاجتهاد واستفراغ الوسع لفهم الاحكام وهو الاجتهاد ، كما ان في الآية دليلا على ان التعلم والاجتهاد من فروض الكفاية ، وانه يجب ان يكون غرض المتعلم الواصل الى مقام العلم والافادة نشر الدين ونصره لا الاستعلاء على بني عصره وأمره •

ومنه قوله تعالى (فأسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[٣] وفي الاية دليل على وجوب سؤال الناس أهل العلم فيما لا يعلمونه ، سواء متن النصوص ، أو معناها ، أو ما استنبط منها لأن المشتقات في الآية مطلقة ، وهذه الآية من أوجز الآيات ، وفيها دليل على ان الله لم يبعث ولم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة فان صدرها (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) •• وان سؤال أهل العلم واجب للاسترشاد ، وان الحكم كلما كان أخفى كان أجر السؤال أعظم وأجر الجواب أوفى ، وان الاجتهاد هو غاية ما يصل اليه العباد •

ومنه قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم

---

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٣

وساءت مصيرا)[٤] والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع ، لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين ، وذلك اما لحرمة كل واحد منهما ، أو حرمة أحدهما ، أو حرمة الجمع بينهما ، والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد ، وكـذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم ، واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا ، لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سـبيلهم ، ومعلوم ان سبيل المؤمنين هو الاجتهاد واستنباط الاحكام في ما لم يكن عليه نص من لدن عصر الرسول صلى الله عليـه وسلم الى يومنا هذا ، عند من يقول باستمرار الاجتهاد ، أو الى انقطاعه عند من يقول بخلافه . فان قيل : ان الآيـة الكريمة لا تدل على حجية الاجماع لانا لا نسلم ان الجمـع المعرف باللام للاستغراق والعموم ، لجواز كونه للجنس ، ولو سلمنا انه للعموم ، فلا نسلم ان اضافة السبيل اليه للعموم ، لجواز كون الاضافة للعهد ، بان يراد منه سبيل معهود وهـو الايمان . قلنا : ان الظاهر المتبادر الى الاذهان من استعمال الجمع المعرف ، ومن اضافة ما اضيف اليه العموم ، والتبادر علامة الحقيقة ، فيكون خلافه مجازا محتاجا الى القرينة المانعة عنه ، والاصل عدمها ، على ان حمل الجمع المعرف او اضافـة السبيل اليه على الجنس ، يقتضى ان يكون مصير من خالـف سبيل اي فرد من المؤمنين الى جهنم ، وذلك باطل قطعا ، فظهر

---

(٤) سورة النساء ، الآية ١١٤

حملهما على العموم والاستغراق ، فيكون المعنى ، ومن سلك غير السبيل الذي سلكه كافة المؤمنين (نوله ما تولى ونصلـه جهنم) وذلك واضح لا شبهة فيه ٠

وخلاصة المعنى ، ان سلوك سبيل عموم المؤمنين مرغوب ، والانحراف عن سبيلهم كافة متوعد عليه ، ومعلوم انه لـم يزل المؤمنون يجتهدون في استنباط الاحكام غير المنصوصـة من لدن العصر الاول الى ما شاء الله ٠

ولما كان سلوك سبيلهم خيرا ، والانحراف عنه شرا ، وجب أن يكون المراد بالمؤمنين العلماء لا الجهلاء ، والعلماء العدول لا الفساق ، والمتكاملين في العلم لا الناقصين ، فقرر أهـل البصيرة للاجتهاد ان يكون صاحبه : بالغا عاقلا ، فقيه النفس أي شديد الفهم ، حائزا للدرجة الوسطى لغة وعربية واصولا وبلاغة ، عالما بادلة الاحكام من الكتاب والسنة ، خبيرا بمواقع الاجماع ، والناسخ والمنسوخ ، واسباب النزول ، وشروط الخبر المتواتر والآحـاد ، والحديث الصحيح والحسـن والضعيف ٠ ويكفي في زماننا الرجوع الى ائمة ذلك بملاحظة الكتب المعتمدة ٠ ويعتبر للثقة باحكامه ان يكون عادلا غـير مبتدع داع الى فئة معينة ، لان الدعاة متحيزون غالبا فـلا يؤمن الدس منهم ، وهذا هو المجتهد المطلق ٠ واما المجتهـد المقيد فهو المقلد لامام من الائمة قد عرف أصول مذهبـه واحاط بها ، فاذا سئل عن حادثة نظر في نصوص امامه كنظر المجتهد في أصول الشرع ، فان لم يجد لامامه في المسألة نصـا قاس على أصوله ، وخرج عليها ، كبعض اصحاب الائمـة

الاربعة ، ولا يتعدى نصوص امامه الى نصوص غيره .

وهذا المجتهد المقيد قسمان : مجتهد مذهب ، وهو المتبحر المذكور المتمكن من استنباط الاحكام من الكتاب والسنة لكن يتقيد في استنباطه منهما ، بالتزام طريق امامه في الاستدلال ومراعاة قواعده وشروطه ، وبهذا يفارق المجتهد المطلق ، فانه لا يتقيد الا بما رآه هو نفسه . والثاني مجتهد الفتيا (بضم الفاء) او الفتوى (بفتحها) وهو المتبحر في مذهب امامه المتمكن من ترجيح قول له على آخر اطلقهما امامه ، أو المتمكن من ترجيح قول اصحاب ذلك الامام على قول آخر اطلقوهما . والاول أعلى رتبة من الثاني وهو ظاهر .

وهنا مسائل : الاولى ــ اختلف الاصوليون في جواز تجزؤ الاجتهاد ، والصحيح الذي عليه الاكثر جواز تجزؤ الاجتهاد بأنواعه الثلاثة في فن من الفنون أو في قضية من القضايا ، فيبلغ رتبة الاجتهاد في الانكحة دون البيوع وبالعكس ، فمن عرف الفرائض لم يضره جهله بعلم النحو مثلا .

وكذا يجوز ان يبلغ رتبة الاجتهاد في قضية دون غيرها ، ووقع لابن القاسم وغيره في مسائل معدودة خالفوا فيها الامام مالكا رحمه الله تعالى ، وقيل لا يجوز تجزوء الاجتهاد لارتباط العلوم والمسائل بعضها ببعض ، لاحتمال ان يكون في ما لم يبلغ رتبة الاجتهاد فيه معارض لما بلغها فيه ، بخلاف من احاط بالكل .

المسألة الثانية ـ اختلف الاصوليون في جواز اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في ما لا نص فيه وعدم جوازه ، وعلى جوازه اختلف ايضا هل وقع منه أم لا ٠

أما الجواز ففيه مذاهب : الاول ، الجواز وبه قال الجمهور وصححه ابن الحاجب والسبكي والقرافي ٠ والثاني، المنع وبه قال بعض الشافعية ٠ الثالث ، له ذلك في الآراء والحروب ٠ والرابع ، الوقف ٠

وأما الوقوع ففيه مذاهب : احدها ، وهو مختار الآمدي وابن الحاجب وابن السبكي انه وقع منه الاجتهاد ٠

المسألة الثالثة ـ هي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فالصواب انه لا يخطيء تنزيها لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد على ما هو الحق والمختار ومذهب المحققين من الاصوليين ٠

المسألة الرابعة ـ في جواز الاجتهاد من غيره في عصره صلى الله عليه وسلم ، فذهب الاكثرون الى جوازه ، فمنهم من جوزه مطلقا ، ومنهم من جوزه للغائب مطلقا ، ومنهم من جوزه مطلقا اذا لم يوجد منه منع ، ومنهم من جوزه للغائب الى مسافة يصعب الرجوع منها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي وقوعه مذاهب : أوله ، انه واقع في حضوره وغيبته وهو الصحيح ، والاحايث الواردة في جوازه ووقوعه كثيرة جدا يفيد مجموعها التواتر المعنوي المفيد للقطع ، فمن الاحاديث الواردة في وقوعه بحضرته صلى الله عليه وسلم

ما رواه البخاري عن ابي قتادة الانصاري انه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين ، فاستدرت له حتى اتيته من ورائه ، فضربته على حبل عاتقه ضربة قطعت الدرع ، قال : واقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت فادركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقلت له : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله عز وجل ، ثم ان الناس قد رجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا عليه بينة فله سلبه ، قال ابو قتادة : فقمت فقلت من يشهد لي ثم جلست ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فقمت فقلت من يشهد لي الى المرة الثالثة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالك يا أبا قتادة فأخبرته فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه مني فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لا ها الله ذا لا يعمد الى اسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق فاعطه قال ابو قتادة فاعطانيه)[٥] الحديث ·· ومعنى تصديقه لابي بكر تصويبه للحكم الصادر منه بحضرته صلى الله عليه وسلم ومعنى (لا ها الله ذا) الهاء مكان الواو ومعناه لا والله لا يكون ذا وفي رواية لا ها الله اذا لا يعمد ·

ومنها ما اخرجه البخاري ايضا من قوله صلى الله عليه

---

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي وفيه بدل « صدق فأعطه » فقام رسول الله فاداه الي · انظر القسطلاني (٦/٤٠٦-٤٠٧)

وسلم « لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة »[٦] فصلى بعضهم في الطريق حين دخل عليه الوقت وبعضهم في بني قريظة ، فنظر بعضهم الى أن مراده عليه الصلاة والسلام السرعة ، ولا حاجة في تأخير الوقت ، وبعضهم راعى اللفظ ، ولم يعنف واحدا منهم ٠ ومنها ما أخرجه مسلم وأحمد عن ابي هريرة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني نعليه وقال « اذهب بنعلي هاتين فمن لقيته من وراء الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » فكان أول من لقيت عمر فقال : ما هاتان النعلان يا ابا هريرة، فقلت : هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيته يشهد ان لا اله الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة ، فضرب بيده بين ثديي فخررت لأستي ، فقال : ارجع يا ابا هريرة ، فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجهشت بالبكاء ، وركبني عمر ، واذا هو على أثري ، فقلت : لقيت عمر واخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي ، وقال : ارجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمر ما حملك على ماصنعت » فقال: يا رسول الله أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال « نعم » قال : فلا تفعل فاني أخاف ان يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، فقال صلى الله عليه

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي عن ابن عمر ٠ انظر القسطلاني (٦/٣٢٨)

وسلم « فخلهم »[٧] فاقراره صلى الله عليه وسلم لعمر دليل على تصويب رايه واجتهاده ، اذ لا يقر على باطل ٠

ومنها ما اخرجه ابو داود في باب الرجل يتطوع في مكانه الذي صلى فيه المكتوبة عن ابي رمثة قال : صليت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان معه رجل قد شهد التكبيرة الاولى من الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقام الرجل الذي ادرك التكبيرة الاولى يشفع ، فذهب عمر اليه : فأخذ بمنكبيه فهزه ثم قال : اجلس فانه لم يهلك اهل الكتاب الا انه لم يكن بين صلواتهم فصل فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره وقال « اصاب الله بك يا ابن الخطاب »[٨] ٠

ومنها ما رواه البخاري عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل عليّ قائف والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ، واسامة بن زيد وأبوه زيد مضطجعان ، فقال : ان هذه الاقدام بعضها من بعض ، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم واعجبه ، فقد سر النبي صلى الله عليه وسلم حتى برقت اسارير جبهته من صحة هذا القياس[٩] وموافقته للشرع ، وكان زيد أبيض

---

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة ٠ انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٦)

(٨) رواه ابو داود في سننه كتاب الصلاة (١/ ٢٣١)

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ٠ انظر القسطلاني (٩ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧)

وابنه اسامة أسود ، فألحق هذا القائف الفرع بنظيره واصله ، وألفى وصف السواد والبياض الذي لا تأثير لـه في الحكـم ، ومن ذلك موافقات عمر رضى الله عنه الكثيرة .

فمنها ما رواه الشيخان عن انس وابن عمر ، ان عمـر قال وافقني ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله لو اتخذنـا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيـم مصلى)[١٠] .

وقلت : يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغـيرة ، فقلت : عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك[١١] ، الى آخر موافقات عمر الكثيرة التي خصها بعض العلماء بالتأليف وبعضهم انهاها الى خمسة عشر .

وأخرج احمد وابو حاتم والترمذي وصححه عن ابـي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »[١٢] وفي رواية « ان الله جعـل الحق على قلب عمر ولسان عمر » فهذا دليل على انه مجتهـد

---

(١٠) سورة البقرة ، الآية ١٢٥

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة . انظر القسطلاني (٤١٧/١) وكرره في (١٣/٧ــ١٤)

(١٢) انظر الترمذي رقم ٣٦٨٣ طبعة حمص
وعند ابن ماجه بلفظ « ان الله وضع الحق على لسان عمر » رقـم ١٠٨ (٤٠/١) . وانظر التاج في فضائل عمر (٢٧٩/٣)

مصيب في اجتهاده ، اذ لا معنى لجعل الحق على لسان عمر وقلبه ، الا بالاجتهاد اذ لا سبيل للوحي ، ولم يبق الا الاجتهاد ٠

واخرج الشيخان عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فانه عمر »(١٣) قال التوربشتي : المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن ، وهو في الحقيقة من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حُدث ، فدل الحديث على ان عمر له اجتهاد ، وانه مصيب فيه ٠

ومما وقع فيه اجتهاد الصحابة في زمنه في غيبتهم عنه ، وهو حجة لقول القائل بجوازه ووقوعه في غيبته ما روى البخاري بعضه معلقا ، ورواه بتمامه موصولا أبو داود والحاكم عن عمرو بن العاص قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسل فأهلك ، فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وانت جنب » فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال ، وقلت اني سمعت الله تعالى يقول (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا (١٤) ٠ وفي رواية لم يعنفه على اجتهاده فكان ذلك تقريرا منه صلى الله عليه وسلم له على اجتهاده ٠

---

(١٣) أخرجه البخاري في الفضائل ، أنظر القسطلاني (٥/١٥)

(١٤) أخرجه البخاري في كتاب التيمم ٠ انظر القسطلاني (١/٣٧٨) ومسند الامام احمد (٣/٤٨١) ، وسنن ابي داود في كتاب الطهارة (١/٨١)

ومن ذلك أيضا ما رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن علي بن أبي طالب قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا ، فقلت : يا رسول الله ترسلني ، وأنا حديث السن ، ولا علم لي بالقضاء . فقال « ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، اذا تقاضى اليك رجلان ، فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر ، فانه أحرى ان يتبين لك القضاء » قال فما شككت في قضاء بعد [١٥] . قال في المرقاة ولا شك انه رضى الله تعالى عنه حين بعثه قاضيا على اليمن ، كان عالما بالكتاب والسنة كمعاذ رضى الله عنه ، وقوله : وأنا حديث السن ، اعتذار من استعمال الفكر واجتهاد الرأي من قلة تجاربه ، ولذلك ، أجابه بقوله سيهدي قلبك ، أي يرشدك الى طريق استنباط القياس بالرأي الذي محله قلبك ، فينشرح صدرك ويثبت لسانك فلا تقض الا بالحق .

ومن ذلك ما رواه احمد بن حنبل في المناقب عن زيد بن ارقم قال : اتى علي بثلاثة نفر وقعوا على جارية في طهر واحد ، فولدت ولدا فادعوه ، فقال علي لاحدهم : (تطيب به نفسا لهذا) قال لا . قال اراكم شركاء متشاكسين ، اني مقرع بينكم فمن اجابته القرعة ، أغرمته ثلثي القيمة والزمته الولد ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أجد فيها الا ما قال علي .

---

(١٥) رواه الترمذي رقم ١٣٣١ طبعة حمص . ورواه ابن ماجه في سننه رقم ٢٣١٠ (ج٢/٧٧٤) . وابو داود في سننه (٢/٢٧٠)

وفيه في المناقب أيضا عن جميل بن عبدالله بن يزيد المدني قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم قضاء قضي به علي فاعجبه وقال « الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت » ٠

وفيه في المناقب أيضا عن علي ابن ابي طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن فوجد أربعة وقعوا في حفرة حفرت ليصطاد فيها الاسد سقط أولا رجل ، فتعلق بآخر ، وتعلق الآخر بآخر حتى تساقط اربعة ، فجرجهم الاسد ، وماتوا من جراحاته ، فتنازع أولياءهم حتى كادوا يقتتلون ، فقال علي : أنا اقضي بينكم فان رضيتم فهو القضاء ، والا حجزت بعضكم عن بعض ، حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقض بينكم ٠ اجمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية ، وثلثها ، ونصفها ، ودية كاملة : فللاول ربع الدية لانه أهلك من فوقه ، وللذي يليه ثلثها، لانه أهلك من فوقه، وللثالث النصف، لانه اهلك من فوقه، وللرابع الدية كاملة ٠ فأبوا ان يرضوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقوه عند مقام ابراهيم ، فقصوا عليه القصة ٠ فقال انا اقض بينكم واحتبى ببرده فقال رجل من القوم : ان عليا قضى بيننا فلما قصوا عليه القصة أجازه صلى الله عليه وسلم ٠

ومن ذلك ما رواه ابو داود والترمذي والدارمي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبعثه الى اليمن قال له « كيف تقضى » قال اقضي بكتاب الله ،

قال « فان لم تجد » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال « فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله » قال أجتهد برأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه الله »[١٦] .

وتكلم الجوزقاني في هذا الحديث وقال انه باطل . رواه جماعة من شعبة وسألت من لقيته ، من أهل العلم بالنقل عنه فلم أجد له طريقا غير هذا . والحرث بن عمرو هذا مجهول ، واصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، لان الحديث رواه شعبة عن ابي عون عن الحرث بن عمرو ابن اخي المغيرة بن شعبة عن أناس من اهل حمص ، اصحاب معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ... الحديث . ومثل هذا الاسناد لا يعتمد عليه في اصل من اصول الشريعة .

وقد تكلم عليه ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين، بما فيه كفاية فقال : هذا الحديث وان كان عن غير مُسمَّين، فهم اصحاب معاذ ، فلا يضره ذلك لانه يدل على شهرة الحديث : وان الذي حدث به الحرث بن عمرو عن جماعة من اصحاب معاذ لا عن واحد منهم ، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون واحد منهم لو سمي ، كيف وشهرة اصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ؟ ولا يعرف في اصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح ، بل اصحابه من أفاضل المسلمين

---

(١٦) رواه الترمذي رقم ١٣٢٧ طبعة حمص ، وابو داود في كتاب القضاء السنن (٢/٢٧٢)

وخيارهم ، لا يشك أحد من أهل العلم بالنقل في ذلك ، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث ؟ وقد قال بعض أئمة الحديث اذا رأيت شعبة في اسناد حديث فاشدد يدك عليه آه • قال ابو بكر الخطيب : وقد قيل ان عبادة بن السنى رواه عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ وهذا اسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة وله شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وقد اخرجها البيهقي في سننه عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له كذا في مرقاة الصعود ، على ان اهل العلم قد نقلوه واحتجوا به ، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ، وفي تدريب الراوي للسيوطي يحكم للحديث بالصحة اذا تلقاه الناس بالقبول ، وان لم يكن له اسناد صحيح ، وقال ابو الحسن الحضار في تقريب المدارك على موطأ مالك : قد يعلم الفقيه صحة الحديث اذا لم يكن في سنده كذاب بموافقة آية من كتاب الله أو بعض اصول الشريعة فيحمله ذلك على قبوله والعمل به •

وقال أبو اسحاق الاسفراني : تعرف صحة الحديث اذا اشتهر عند أئمة الحديث من غير نكير منهم ونحوه، لابن فورك، وزاد الى ان قال وايضا حديث معاذ هذا أخرجه أبو داود في سننه كما مر ولم يتكلم فيه بضعف ، وقد قال انه ذكر في كتابه (الصحيح وما يشبهه ويقاربه) وما كان من حديثه فيه وهن شديد تبينه ، واذا لم يبينه فهو صالح للاحتجاج به

وبعضه أصح من بعض ، وما سكت أبو داود عليه ، فهو حسن عند ابن الصلاح وقال : ان ذلك لا يلزم بل قد يكون صحيحا عنده هو ، وان لم يبلغ الصحة عند غيره ، فالحكم له بالحسن لا بالصحة تحكم آهـ ٠ وله من الشواهد الموصلة له الى رتبة الصحة شيء لا ينتهي ، فمنها ما مر من اجتهادات الصحابة بحضرته صلى الله عليه وسلم وامضائه لذلك ، ومنها غيرها مما سنذكره ان شاء الله تعالى ٠

★ ★ ★

وجوب الاجتهاد على من كانت له اهليته

واذ قد علمت ما تلونا عليك ، فاعلم انه قال القرافي في التنقيح ، مذهب مالك وجمهور العلماء رضى الله عنهم وجوب الاجتهاد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحكمة الوجوب الكفائي ، وقد يتمين ، وذلك لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)[1] أي غاية جهدكم ، ومن التقوى العمل على البصيرة فيه ومعرفة دليله ، وذلك متعين في من جاد حفظه ، وحسن ادراكه ، وطابت سجيته وسريرته ، ومن لا ، فلا ٠ وخلاصته ان من حاز على الشروط السابقة ، وجب عليه الاجتهاد وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بحصول الاجر للمجتهد أصاب أو أخطأ ٠

فقد روي الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص وابي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر واحد »[2] ، قال الخطابي : انما يؤجر المخطىء على اجتهاده

---

(١) سورة التغابن ، الآية ١٦

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ٠ انظر القسطلاني (٣٤٣/١٠) ومسلم في كتاب الاقضية عن عمرو بن العاص ٠ شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٦٩/٧) ، والترمذي السنن رقم ١٣٢٦ طبعة حمص والنسائي عن ابي هريرة في كتاب آداب القضاء (٨/٢٢٣-٢٢٤) وابن ماجه في كتاب الاحكام رقم ٢٣١٤ ٠ وابو داود السنن (٢/٢٦٨) ٠

في طلب الحق ، لان اجتهاده عبادة ولا يؤجر على الخطأ ، بل يوضع عنه الاثم فقط • وهذا في من كان جامعا لآلة الاجتهاد عارفا بالاصول عالما بوجوه القياس • فأما من لم يكن محلا للاجتهاد فهو متكلف ، ولا يعذر بالخطأ بل يخاف عليه الوزر •

ويدل عليه ما رواه الاربعة والحاكم عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار »(٣) •

ويدل على وجوب الاجتهاد قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(٤) فان معنى اطاعة الله تعالى العمل بنصوص كتابه ، واطاعة الرسول العمل بنصوص كلامه ، واطاعة أولي الامر اذا كانوا من الامراء للمسلمين العمل بأوامرهم ونواهيهم الصادرة اذا كانت موافقة للكتاب والسنة واذا كان المراد بهم الائمة والعلماء فالعمل بما وجهوه الينا من نصوص الكتاب والسنة ، واحكامهم الاجتهادية • ومعنى الرد الى الله والى الرسول عند التنازع استعمال الرأي من أصحاب العلوم والادراكات في قياس محل النزاع على ما علم من

---

(٣) أخرجه ابو داود في السنن كتاب الاقضية (٢/٢٦٨) • والترمذي في السنن رقم ١٣٢٢ طبعة حمص

(٤) سورة النساء الاية ٥٩

الدين ، والاخذ بالاشباه والنظائر ، كما جرت عليه المسلمون من السابق الى اللاحق ، فان اجتهادات الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، قد وفت بأحكام الاسلام للعالمين ، فنوروا واستناروا ، وافادوا واجادوا ، وجعلوا المسلمين في أنوار تلمع بين ايديهم وأيمانهم ، وأطمأنت القلوب واستقرت النفوس الطاهرة المستضيئة بانوار الاسلام والدين ، وذلك مصداق قوله سبحانه وتعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين)[٥] .

---

(٥) سورة يوسف الآية ١٠٨

وجوب التقليد على من لم تكن له رتبة الاجتهاد

والتقليد وهو الاخذ بقول امام من ائمة الدين بدون معرفة دليله استقلالا ، وهذا واجب على العامي للعالم بدليل الكتاب والسنة والاجماع من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم من الصادق المصدوق بالخيرية ، واجماع من بعدهم الا ما شذ من شواذ الناس .

فمن الكتاب قوله سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)[1] ، أمر الله سبحانه وتعالى بالتفقه في الدين ، وهو العلم الراسخ المفيد للمسلمين في القاء النصوص وتفسيرها ، وتفهيم المستنبطات وكفاية المسلمين بها وبانذار المتفقهين الناس الذين يرجعون اليهم ، أي وتبشيرهم ، ولكن اقتصر على الانذار، لانه على مغبة المعاصي ودفع المفسدة أهم من جلب المنفعة ، كما ترجى بعد الامرين من المسلمين ان يحذروا من عقابه سبحانه وتعالى وكفى به زاجرا عن المخالفة للمجتهدين وداعيا لهم الى اطاعتهم لمن كان له معرفة باسلوب الكتاب المبين .

ومنه قوله سبحانه (أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)[2] فان أولي الأمر هم الأئمة الاعلام ، على أكثر أقوال المفسرين واطاعتهم واتباعهم في ما يلقونه اليهم من نصوص الكلام ومن مستنبطات الاحكام .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢
(٢) سورة النساء ، الآية ٥٩

ومنه قوله سبحانه (فأسألوا أهل الذكــر ان كنتــم لا تعلمون)[٣] فان الآية بظاهرها يشمل سؤال الجاهل للعالــم من متن الذكر الى معناه ومفهومه ومستنبطاته وكل ما يستفاد منه الى يوم الدين ، لأن الأمر المقيد بالملة يتكرر بتكررهــا كما لا يخفي على العاقلين ·

ومن السنة السنية كثيرة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن ماجه واحمد وابو داود والترمذي ـ الا ان في رواية احمد وابي داود (صلى بنا) وليس في ابن ماجــه والترمذي لفظ (صلى بنا) ـ بسند صحيح عن العرباض بن سارية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منهــا العيون ، فقيل : يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع ، فاعهد الينا بعهد ، فقال : عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا وسترون من بعدي اختلافا شديدا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة[٤] · وفي رواية عنــه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ان هذه لموعظة مودّع ، فما تعهد الينا · قال قد تركتكم على المحجــة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالــك ، مــن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنني

---

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٣

(٤) رواه الترمذي في سننه رقم الحديث ٢٦٧٨ طبعة حمص · وابن ماجه في سننه رقم ٤٢ (ج١/١٥ـ١٦) · وابو داود في سننه (٢/٥٠٦)

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا فانما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد »[٥] ٠

والمراد بالخلفاء الراشدين قيل الاربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، لقوله « الخلافة بعدي ثلاثون سنة »[٦] وقد انتهت بخلافة علي كرم الله وجهه والاشهر الستة التي مكثها الحسن بن علي رضى الله تعالى عنهما ، لانهم أفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ٠

وقيل هم ومن على سيرتهم من أئمة الاسلام المجتهدين في الاحكام ، فانهم خلفاء الرسول في احياء الحق ، وارشاد الخلق، واعلاء الدين ، وكلمة الاسلام ٠

ووصف الراشدين بالمهديين ، لانه اذا لم يكن مهتديا في نفسه ، لم يصلح ان يكون هاديا لغيره ، لانه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعر ٠ وذكر سنتهم في مقابل سنته لانه علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنته ، أو ان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم ٠ وقد علمت ان سنة الخلفاء الراشدين ، هي المشاورة في مهمات الامور ، والعمل بما انعقد عليه أهل الشورى والاقتداء بنصوص الكتاب والسنة في ما وجدوها منها ، والاجتهاد واستنباط الاحكام في ما لم يكن

---

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٣ (ج١/١٦)

(٦) رواه الترمذي بلفظ « الخلافة في امتي ثلاثون سنة » السنن رقم ٢٢٢٧ طبعة حمص ٠ ورواه ابو داود بلفظ « خلافة النبوة ثلاثون سنة» السنن (٢/٥١٥)

فيه نص • وقد سمعت منا سابقا مواد اجتهاد الخلفاء وغيرهم واقتداء المسلمين بهم • فالاجتهاد اجتهاد من الأئمة العظام ، والاقتداء تقليد لهم واتباع والتزام وعمل بالاحكام ، ومضت على ذلك قرون الاسلام ، وعقب الخلفاء الراشدين دور التابعين الاعلام والمجتهدين العظام الذين ملؤوا الاقطار من مستنبطات الاحكام وتقرير قواعد تكفي لحفظ نظام الاسلام •

والمراد بالمحدثات في الحديث الشريف ما ليس له اصل في الدين • وأما الامور الموافقة لاصول الدين ففير داخلة فيها وان احدثت بعده صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا اضافة السنة الى الخلفاء ، ومعلوم ان في سنتهم ما هو محدث بعده صلى الله عليه وسلم كجمع المصحف وغيره وقد سمى صلى الله عليه وسلم جميع أمورهم سنة ، ولذا قال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (كل بدعة ضلالة)(٧) عام مخصوص • قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام في آخر كتاب القواعد : البدعة اما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام الله تعالى ورسوله ، وكتدوين اصول الفقه ، والكلام في الجرح والتعديل ، واما محرمة كمذهب الجبرية ، والقدرية ، والمرجئة ، والمجسّمة ، ولكن الرد على هؤلاء من البدع الواجبة ، لان حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية ، واما مندوبة كاحداث الربط والمدارس ، وكل احسان لم يعهد في الصدر الاول ، وكالتراويح بالجماعة العامّة •

---

(٧) سبق تخريجه

واما مكروهة كزخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف عند الشافعية ، وأما عند الحنفية فمباح · واما مباحة كالتوسع في لذائذ المآكل والمشارب والمساكن وتوسيع الاكمام ، وقد اختلف في كراهة بعض ذلك ·

قال الشافعي رضى الله عنه ما أحدث مما يخالف الكتاب ، والسنة ، أو الأثر ، أو الاجماع ، فهو ضلالة ، وما أحدث من الخير مما لا يخالف شيئا من ذلك فليس بمذموم ، وقد قال عمر رضى الله عنه في قيام رمضان (نعمت البدعة) ·

وانت قد علمت ما ألقيناه عليك ، وأقول : ان الله سبحانه اعلن في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، ان الخطاب مع أهل العقل ، وان الارشاد لا ينفع الا (لمن كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد)(٨) وان العقل يهتدي بنور الآيات والسنة النبوية الى كل خير يستفاد ويستنبط منهما ، ويحذر عن كل شر وضلالة تكون في طرف النقيض والمخالفة والمنافرة مع الاسلام ·

وعلى ضوء هذا تعلم ان كل ما يتوقف عليه بقاء كيان الاسلام واعلاء كلمة الله ، فهو من الواجبات ، وان كل ما يخدم ذلك ولم يكن من المهمات فهو من المندوبات ، وكل ما يضاد ذلك ويناقض محتواه ، فهو من المحرمات ، وكل ما لا يناسبه ولم يكن ينافره ، فهو من المكروهات ، وكل ما بين الأمرين ، فهو من المباحات ·

---

(٨) سور ق الآية ٣٧

واذا شاقك احد من المسلمين وادعى خلاف ذلك فقل له : اذا يكـــون تأليف اســـتاذك وجمعه لفتـــاواه ونشر رســـائله في العالم وبث الامور التي لم تكن في عهد الرسول بدعـــة وضلالة ، فأولى بك ان تترك أنت اولا ما تستمر عليه وترجع اليه ، وبعد ذلك تهدينا الى ما تميل اليه ٠

ونرجو من اخواننا وسادتنا وأبنائنـــا ان ينصفـــوا ويعتدلوا ويرجعوا الى أعمال الصحابة في اسفارهم وفي غياب الرسول ، وفي أعمال الخلفاء الراشدين بعده ، وفي ما استمر عليه اعلام الأئمة والعلمـــاء ، وان يقتـــدوا بجمهرتهم ، فالانسان من حقه ان لا يعدو عن حقائق ثابتة لا ينكرها المؤمن العالم المعتدل المنصف :

اولا اتباع القرآن الكريم ، ثانيا سنة الرسول العظيم ، ثالثا التزام اجماع المسلمين ، رابعا ان لم يجد الاجمـــاع فالاقتداء بالاكثرية الساحقة من المسلمين ، فان الدين واضح مستبين ولا غموض فيه ، ويرشـــدك الى هذا قوله تعـــالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[٩] وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع امتي على ضلالة »[١٠] ٠ نسأل الله سبحانه وتعالى ان يشملنا برحمته ، ويفيض علينا من نعمته، وان يرزقنا الاستقامة على اتباع دينه وشريعته برحمته انه أرحم الراحمين ٠

---

(٩) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(١٠) سبق تخريجه في ص١٥٥

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة امته ، والنصيحة لهم ، واعانتهم ، وخدمتهم بقدر المســـتطاع الأهم فالأهم ، لاسيما تأييد قادة الامة وأعيانها المختصين بمزيد النفـــع لحوزة المسلمين ، ولا سيما الاعيـــان المختصين بالفضائــل العلمية ، والانوار البهية التي تبدو آثارها عليهم ، من اتباع الكتاب والسنة السنية ، وفوائدهم للامة المحمدية ، ودعوتها الى ترك السيئات ، وفعل الحسنات ، ورفع آثار الشـــقاق والنفاق ، وتوجيهها الى محاسن الآداب والاخلاق ٠ وقـــد عرفوا من سالف الزمان (بالاولياء) ، وقد جاهدوا في الله واجتهدوا ونصحوا وأرشدوا ، وهم قوم لا يشقى جليســهم ، ويسعد أنيسهم ، وتظهر آثار صحبتهم مع محبتهم في كل مــن جاورهم ، وأخذ الادب منهم ، بالتخلي عن الرذائــل والتحلي بالفضائل ، والاستقامة على الكتاب وهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، واؤلئك هم الصادقون المقصودون في قوله تعالى (يــا ايهــا الذيــن آمنــوا اتقــوا الله وكونــوا مع الصادقين)(١) ٠

فان قال قائل : لا مزية لقوم من الأمة ولا اختصـــاص ، فالمؤمنون كلهم مؤمنون والنـــاس ناس فأين هـــذا المقـــام والاختصاص ؟

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٩

قلنا : حقا ان المؤمنين كلهم مؤمنون ، ولكنك ان انصفت علمت ان المؤمنين ، وان كانوا كلهم اصحاب الاعتقاد والعمل الصالح والتقوى ولكنهم مختلفون في درجاته ، ولذلك قال سبحانه وتعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[٢] فانه لو كان التقوى على درجة واحدة ، ما كان يأتي في القرآن الكريم بصيغة التفضيل ، وكما انهم اختلفوا في التقوى ، اختلفوا في الاعمال قال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)[٣] وقال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدين)[٤] وقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اؤلئك أعظم درجة من الذين آمنوا من بعد وقاتلوا)[٥] الى آيات أخرى كثيرة .

فانها تعلن على رؤوس الاشهاد ان بين المؤمنين فروقا كثيرة في قوة الايمان واستقامة الاعمال ، وحسن الاخلاق والاحوال .

فالامر الواضح الجلي ، هو ان المؤمنين كلهم مؤمنون ومن أفراد أمة الاجابة لسيد المرسلين ، ولكن هناك تفاوتا كثيرا ، ولذلك يقول تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما

---

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣
(٣) سورة التوبة الآية ١٠٢
(٤) سورة النساء الآية ٩٥
(٥) سورة الحديد الآية ١٠

عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر)[٦] ويقول (والذي جاء بالصدق وصدق به أؤلئك هم المتقون)[٧] ويميز المستقيمين بميزات عالية فيقول (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون)[٨] ، أي أنهم تنزل عليهم ملائكة الرحمة لتطمين قلوبهم بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وانهم أولياؤهم وانصارهم واحباؤهم ، نتيجة استقامة اؤلئك الناس على الايمان ٠

---

(٦) سورة الاحزاب الآية ٢٣

(٧) سورة الزمر الآية ٣٣

(٨) سورة فصلت الآية ٣٠

وقرر الله سبحانه ان من المؤمنين أولياء لله ، وقـــال (ان أولياؤه الا المتقون)[٩] فجعلهم منحصرين في المتقـــين وجعل التقوى ميزة وشعارا لهم ٠

وينبغي هنا ان نعلم ما هي التقوى وما المراد بالمتقين ؟ ومعلوم ان التقوى من الوقاية : وهو الحذر والخشية وفـرط الصيانة ، ويدل على ذلك آيات،قال تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم)[١٠] اي اخشوه ، وقال تعالى (اذ قال لهم أخوهم نوح الا تتقون)[١١] يعنى الا تخشون الله ، وكذلك قال سادتنا :

---

(٩) سورة الانفال الآية ٣٤

(١٠) سورة النساء الآية ١

(١١) سورة الشعراء الآية ١٠٦

هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم • وجاء في القـرآن الكريم قول ابراهيم عليه السلام لقومه (وابراهيم اذ قـال لقومه أعبدوا الله واتقوه)[١٢] يعني اخشوه وكذا قولـه تعالى(واتقوا الله حق تقاته)[١٣] وقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزىء نفس عن نفس شيئا)[١٤] •

وحقيقة التقوى وان كانت ما ذكرنا ، الا انها جاءت في القرآن بمعنى الايمـان كقوله تعـالى (وألزمهم كلمـة التقوى)[١٥] اي التوحيد والايمان ، وقوله تعالى (أولئـك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)[١٦] اي للايمان ، وجاءت بمعنى الطاعة كقوله تعالى (ان انذروا انه لا آله الا انـا فاتقون)[١٧] اي فاطيعون ، وفيها (أفغير الله تتقون)[١٨] اي تطيعون ، (وانا ربكم فأتقون)[١٩] اي فأطيعون ، وجاءت بمعنى ترك المعصية ، كقوله تعالى (وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله)[٢٠] اي فلا تعصوه ، وجاءت بمعنى التوبـة ، كقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقـوى)[٢١] اي آمنوا وتابوا ، وجاءت بمعنى الاخلاص ، كقوله تعالى في سورة

---

(١٢) سورة العنكبوت الآية ١٦
(١٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢
(١٤) سورة البقرة الآية ٤٨
(١٥) سورة الفتح الآية ٢٦
(١٦) سورة الحجرات الآية ٣
(١٧) سورة النحل الآية ٢
(١٨) سورة النحل الآية ٥٢
(١٩) المؤمنون الآية ٥٢
(٢٠) سورة البقرة الآية ١٨٩
(٢١) سورة المائدة الآية ٦٥

الحج (فانها من تقوى القلوب)[٢٢] اي ان تعظيم شعائرها لله ناتج عن الاخلاص ، وكذا قوله تعالى (واياي فاتقون)[٢٣] اي فاخلصوا لي .

وحاصل الكلام ان صفوة التقوى الحذر والوقاية عما يخالف رضاء رب العالمين ، وذلك بالتقوى والحذر عن الكفر حتى يكون المتقي من المؤمنين ، والوقاية عن فعل المحرمات وترك الواجبات ، ليكون مواطنا عادلا من المؤمنين ، فتليق بأن يدخل في الذين وصفهم الله تعالى بانهم شهداء على الناس يوم الدين . والوقاية عن الانهماك في حب الدنيا والدنايا ، لان الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها ، وبذلك نتعلق بذاته وصفاته في حب الله رب العالمين ، وبذلك ظهر ان ملاك التقوى ثلاث : تقوى عن الكفر ، وتقوى عن المخالفات ، وتقوى عن الدنايا والشهوات .

ومن هنا يتبين معنى التقوى ويظهر قول ابن عباس رضى الله عنه : ان المتقين هم الذين يحذرون من الله العقوبة في ترك ما يميل الهوى اليه ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه ، حتى قالوا ان اصحاب الصغائر لا يدخلون في المتقين لانه روى عنه صلى عليه وسلم انه قال « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به الباس »[٢٤] .

---

(٢٢) سورة الحج الآية ٣٢

(٢٣) سورة البقرة الآ٤١

(٢٤) رواه الترمذي في صفة القيامة عن عطية السعدي بروايتين رقم الحديث ٢٤٥٣ . ورواه ابن ماجه في الزهد عن عطية ايضا بلفظ « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين » رقم الحديث ٤٢١٥

واذا علمت انحصار الاولياء في المتقين ، وان المتقين هم الموصفون بالاوصاف المذكورة ، علمت ان اولياء الله قوم من المؤمنين قائمون على قدم العبودية الخالصة لله ، وانهم هم الذين قال سبحانه وتعالى في حقهم (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٢٥] .

وهم الذين جعلهم الله تعالى في كنف حمايته ورعايته يحبهم ويحبونه ، رضاهم في رضاه ، وهواهم تابع لدينه وهداه، فيعادي من عاداهم ، ويوالي من والاهم ، وعليه ما ورد من حديث البخاري الصحيح ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال « من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب ، وما تقرب اليّ عبدي بشي أحب اليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألني لاعطينه ، ولئن استعاذني لاعيذنه ، وما ترددت عن شي أنا فاعله ، ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته »[٢٦] .

وزاد عبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة عند احمد والبيهقي في الزهد «وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم

---

(٢٥) سورة يونس الآية ٦٢

(٢٦) أخرجه البخاري في الرقاق باب التواضع • انظر القسطلاني (٩/٢٨٩-٢٩٠)

به »[٢٧] وفي حديث انس « ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ومؤيدا » ، وهو مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الحواس التي يستعين بها .

وهذا الحديث الشريف القدسي فسره العلماء بأن العبد يتقرب الى ربه بمزيد النوافل ، حيث انها ما اوجبها الله عليه ، ولكنه يريد التقرب منه تعالى بمزيد طاعته ، حتى تحصل رابطة لطف وعناية خاصة الهية بالنسبة اليه ، وعند ذلك لا يسمع الا ذكره ، ولا يلتذ الا بتلاوة كلامه ، وقراءة كتابه ، ولا يأنس الا بمناجاته ، ولا ينظر الا في عجائب ملكوته ، ولا يمد يده الا في ما فيه رضاه ، ورجله كذلك . ولما حصلت هذه العلاقة باللطف دخل العبد في حظيرة القدس ، فصار بحيث كل من مد يد الارتباط اليه امده الله باحسانه ، وكل من مد يد العداء اليه قطع الله يده .

فانظر ايها المؤمن المثقف المنصف ان الاحكام التكليفية العامة تعم كل مكلف ، وبأدائها يكونون ناجين داخلين في جنات النعيم ، وان فوق تلك الدرجة درجات يختصها برحمته من تجرد عن العلاقات المباينة لكمال العبودية ، وتزود بعلاقات الانس بحضرة القدس ، فيترقون الى حظيرة الاختصاص ، والله ذو الفضل العظيم ، فثبت من هذه الادلة

---

(٢٧) هذه الزيادة أخرجها الطبراني وابو يعلى وابو نعيم . انظر شرح الاتحاف السنية بالاحاديث القدسية ص١٦٦

الجلية من الكتاب والحديث القدسي ان للمؤمنين درجات ، مع تحقق القدر المشترك بينهم ٠

ولذلك يشهد عليه الصلاة والسلام بخيرية القرون الثلاثة قرن الصحابة فالتابعين فتابع التابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، وتنتهي شهادته هنالك ، ولكنه يعلن « ان مثل امته مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره »(٢٨) حتى يعلم ان باب الرحمة مفتوح وكل من أراد الدخول فيه على أساس عمله بما أتى به الرسول الاكرام فلا مانع من دخوله والله الموفق ٠

وكشف سر ذلك هو ان الله سبحانه قد اعلن انه غني عن العالمين ، وانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، أي ليعرفوه فيعبدوه لتوقف العبادة على المعرفة ٠ ومنذ خلق الانس والجن ما تركهم مهملين ، فجعل من رحمته رسالته وسيلة المعرفة والعبادة والوصول اليه ، كما قال (وان من أمة الا خلا فيها نذير)(٢٩) وقال (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(٣٠) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث

---

(٢٨) ذكره النووي في الفتاوى من رواية ابي يعلي وضعفه ٠ وقال الزركشي : هذا عجب فان الترمذي أخرجه عن قتيبة بن حماد ٠٠٠ قال فيه يحيى بن معين : ثقة ٠٠٠ وقد روى من حديث انس ٠ اللآلي المنتثرة في الاحاديث المشتهرة ٠ مخطوط ٠ وذكره الحافظ الهيثمي وقال : حديث حسن له طرق ٠ مجمع الزوائد (٢/١٩٧-١٩٨)

(٢٩) سورة فاطر الآية ٢٤

(٣٠) سورة النساء الآية ١٦٥

رسولا)[٣١] وقال (ثم ارسلنا رسلنا تترى)(٣٢) اي متعاقبين واحدا بعد واحد ووترا بعد وتر ، والمقصود التتابع والتعاقب فيهم ٠

وأما كيفية البعث والارسال هو انه اصطفى بفضله ورحمته الواسعة وموهبته المطلقة عبادا ممتازين لحمل رسالته (الله أعلم حيث يجعل رسالته)(٣٣) ، فجعلهم مظاهر للفيوضات الربانية ، ومهابط للوحي الالهي ، وموارد للانوار والبركات ٠ حتى ختمهم بحضرة خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، فكانوا حلقة الارتباط بين المعبود والعباد ، يستفيدون ويفيدون ، يسترشدون ويرشدون ، ويستفيضون من انوار القدس ويفيضون ، فكان صدر الرسول مشروحا بأنوار الله ولسانه وجوارحه وحواسه ، بل ذرات وجوده منورة بالمواهب القدسية ، وصار ينبوعا للخيرات اعتقادا وعملا واخلاقا وانوارا ،

فأفاض على جميع العباد تعاليم الله سبحانه وتعالى بأقواله وأفعاله وتقريره وتنويره ، وعم ذلك جميع المكلفين ٠

وماذا كان موقف المكلفين من ذلك ؟ فمنهم من عاند ودخل في الكافرين ، ومنهم من اجاب ودخل في المؤمنين ،

---

(٣١) سورة الاسراء الآية ١٥
(٣٢) سورة المؤمنون الآية ٤٤
(٣٣) سورة الانعام الآية ١٢٤

ومن المجيبين من خلط عملا صالحا وآخر سيئا فعسى ان يشمله الله برحمته وعفوه ومغفرته ، ومنهم من أطاع حق الاطاعة وما قصر بقدر ما لديه من الاستطاعة فدخل في المؤمنين الملازمين لبيوت (اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار)(٣٤) .

ومنهم من ربى بنفسه وعلا بها الى جانب قدسه باستمرار اتباع الرسول الكريم واقتدائه في كل نسيم وجسيم ، وكسب محبته من حيث انه المبعوث رحمة للعالمين، فأحبه الرسول وتشربت روحه وقلبه وقالبه من زلال صفاء صفاته ، وتنورت ذرات وجوده من جمال سناء سماته ، فصار قبسا من نور الرسالة ، ومستضيئا من ضياء صدره ، ومتفانيا في تلبية حقيقة أمره وكان وجوده مرآة لوجود الرسول وصحبته مرفأ للوصول ، كل ذلك من صحبته صلى الله عليه وسلم ومحبته ، فوقر في صدورهم وقر من الانوار واستقر في قلوبهم لمعات من الاسرار ، فساقتهم الى سلوك سبيل مجاهداته صلى الله عليه وسلم ، سواء من طريق الرياضة النفسية والصلاة والصيام والتهجد والقيام ، أو من طريق الجهاد بالنفس والنفيس لاعلاء شأن الاسلام ، أو من طريق الدعوة الى حضرة القدس بتعليم الدين ونشر

---

(٣٤) سورة النور الآية ٣٦

الاحكام ، أو من طريق التفكر الروحي والنظر في آلائه تعالى وكبريائه وفيضه على الانام بأنواع الاحسان والاكرام، فوصلوا الى درجة وهبهم الله تعالى بها رتبة خلافة سيد الانام صلى الله عليه وسلم ، لانهم صاروا مظاهر لاوصاف الرسول لا بطريق العلم والارتسام ، بل بطريق التحقق والاتصاف ، الا مرتبة النبوة والرسالة ، حيث كانتا من الموهبة لا من المكسبة ، مع انهم اقتبسوا منها بالخلافة عنه صلى الله عليه وسلم وراثة التبليغ الى الانام وارشادهم الى دين الاسلام أيضا .

ولا يخفى على المسلمين العارفين بمناقب الصدر الاول من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم واحوال الخلفاء الراشدين والسابقين من الانصار والمهاجرين ، وينكشف عندهم حال ابي بكر رضى الله تعالى عنه في الاسرار بالاذكار ، والتفدية بالمال والحال والنفس في خدمة دين الرسول المختار ، وانه مختار من سائر اخوانه بما وقر في صدره من المهابة والانوار .

وحال عمر رضى الله تعالى عنه في الجهر بالاذكار ومراقبة الحق في الليل والنهار ، وصفاء قلبه واصابة رأيه وموافقاته مع وحي الله في عدة مواضع معروفة عند العلماء الابرار ، وانه صلى الله عليه وسلم ميزه عن غيره بانه من الملهمين ، وان الحق معه ، وان الشطان يخاف منه ويسلك غير مسلكه الى آخر صفاته وخدماته للحق والدين .

وحال عثمان في التفدية بماله واشترائه الجنة مرتين ، أي استحقاقه للفوز بالجنة جزاء لخدماته ، وانه كان يستحي منه ملائكة الرحمن •

كما لا يخفي حال علي كرم الله وجهه في صفاته وذكائه وعلمه وقضائه ، وفي علاقته بربه ورضاه ، وملازمة مراقبته ربه وتقواه • والحاصل انه كان لكل منهم ومن حاذى حذوهم دأب خاص ومنهج مخصوص في التقرب الى الله واتباع الكتاب وسنة الرسول ودعوة الناس الى الله •

وعلى المنهج السابق مضى المسلمون قرنا فقرنا ، وكان في كل قرن بجنب المؤمنين العادلين قوم منهم مخصوص بأحوال خاصة ، ومحبة نفسية لرجال المحبة والولاية في الصدر السابق ، وخلفوهم في ما استخلفوهم فيه ، فلم يقصروا بقدر الامكان ، وخدموا الدين بقدر المستطاع والمناسبة ، وكان لكل منهم حسب مشرب من صحبه منهج خاص في تربية المسلمين بالطاعة والاذكار ، وتنوير قلوبهم عن غبار محبة الشهوات والاقذار ، وربطهم بالسلف الصالح من حيث التنور بالانوار، وذلك المنهج الخاص اشتهر في ما بعد القرون الثلاثة باسم الطريقة فكان يقال : طريقة جنيد بن محمد في التربية ، وطريقة فلان ، وطريقة فلان ، الى آخره ، كما يقال طريقة البخاري في رواية الاحاديث الشريفة وشرطه من المعاصرة واللقاء ، وطريقة مسلم من المعاصرة وامكان اللقاء وطريقة فلان من رواية الصحاح فقط •

وكما يقال : طريقة ابي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي في استنباط الاحكام ، وطريقة مالك في استناده بعمل أهل المدينة المنورة في نقل السنة النبوية ، وطريقة الشافعي ، وطريقة أحمد بن حنبل ·

أو كما يقال : طريقة حفص في قراءة القرآن الكريم ، وطريقة ورش ، وغيرهم، وهذه الاسامي والاصطلاحات وان لم تكن مذكورة مشهورة في الصدر الاول ، لكنها كلها من صميم الاسلام ، والخدمة النافعة لدين سيد الانام عليه الصلاة والسلام · ومن اعتبر هذه الامور من البدع ، فان أراد البدعة اللغوية فكلامه واضح ، ولكن الكلام ليس في أتباع اللغة (وعلم آدم الاسماء كلها)[٣٥] ·

وان اراد معنى انه بدعة وضلالة في الدين ، فيلزمه ان جمع القرآن ، وكتابة المصاحف الستة وارسالها الى الاقطار الاسلامية ، واعراب القرآن وتنقيطه ، وتدوين الاحاديث الشريفة ، وفتح المدارس لتعلمها ، كل تلك الامور المهمة المقررة لبقاء الاسلام من البدعة والضلالة ، وحاشا ان ينطق مسلم فاهم مكلف بهذا الكلام ·

---

(٣٥) سورة البقرة الآية ٣١

واذا علمت ما تلونا عليك من اختصاص جمع من المؤمنين بمزيد درجات من الله سبحانه وتعالى ، لايمانهم الراسخ ، واعمالهم الصالحة ، وتقواهم المستمر الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم)[١] ، وفسرت البشرى بما بشر الله به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما يريهم من الرؤيا الصالحة ، وما يمنح لهم من المكاشفات • وبشرى الملائكة عند النزع ، وغير ذلك من المواهب • فليعلم انه استقرت عقيدة المسلمين على ثبوت الكرامة لهم ، والكرامة : أمر خارق للعادة تظهر على أيدي العباد المختصين باتباع الكتاب والسنة النبوية ، اكراما لهم ورعاية لمقامهم •

والفرق بينها وبين المعجزة من وجوه :

الاول ــ ان المعجزة تظهر مع دعوى الرسالة مقرونة بالتحدي ، والكرامة لا تظهر الا على يد من يتبع الرسول ولا تقترن بالتحدي •

الثاني ــ ان المعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة ، والكرامة يجوز معارضتها بما يماثلها ، أو يكون أعلى منها من جهة خرقها للعادة •

---

(١) سورة يونس الآية ٦٢ ــ ٦٣ ــ ٦٤

الثالث ـ ان الرسل الكرام مأمورون باظهار المعجزة ، وأصحاب الكرامة لا يؤمرون باظهارها ، بل ويحبون اخفاءها، الا اذا تعلق بها تأييد شأن الدين كتثبيت حكم شرعي ، او تبكيت شخص من المخالفين ، الى غير ذلك ٠

ويدل على ثبوتها أدلة : من الكتاب، والسنة، والمعقول ٠ أما الكتاب فمنه قصة مريم عليها السلام قال تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)[٢] ٠ وجه الاستدلال ان حصول ذلك الرزق عندها كان أمرا خارقا للعادة ، وكل ما كان خارقا للعادة ظاهرا على شخصية كذلك فهو كرامة لها ٠

فان قيل : ما الدليل على كون ذلك الرزق شيئا خارقا للعادة ٠ فالجواب امور :

الاول ـ ان حصول ذلك الرزق عندها ذكر في مقام اعلاء شأن مريم ورفعة قدرها عند الله ، وكل امر كذلك فظهوره كرامة لصاحبه ٠

الثاني ـ دلالة غلبة الرجاء على سيدنا زكريا عند ذلك ، ودعائه وطلبه من الله ان يرزقه (وهو شيخ هرم وأهله عجوز) ولدا يخلفه ، فانه لو لم يكن ما عند مريم دالا على مزيد احسانه تعالى واكرامه لها ما كان تتأكد داعية زكريا عليه السلام لدعائه وندائه ربه تعالى ذلك ٠

---

٢ سورة آل عمران الآية ٣٧ ٠

الثالث ـ دلالة تنكر الرزق في الآية على كونه شيئا بديعا عجيبا مخالفا للمعتاد ٠

الرابع ـ ما دلت عليه الروايات من ان زكريا كان يجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء ، وفاكهة الشتاء بالصيف ٠

فان قيل : ولم قلت ان كل أمر كذلك يكون كرامة لها ، لم لا يجوز ان تكون معجزة لزكريا عليه السلام ٠ فالجواب انه لو كان معجزة له لكان عالما به ، ولم يسألها عن كيفية حصوله عندها ، ولم يستغرب وجودها هنالك ، وسياق الآية يدل على ان زكريا لم يكن عالما به ، بل استغرب وتعجب وأطمأن قلبه من جوابها ، ولذلك دعا هو بطلب ولد من احسانه تعالى اليه ٠

فان قيل : لعله : كان من خدمات بعض المسلمين لها اذ ذاك ٠ قلنا : قد علمت ان زكريا استغرب حصوله عندها ، وتقديم بعض أهل الخير بعض الهدايا ليس بمستغرب ٠

ومن ادلته على الكرامة واختصاص بعض عباده بها فضلا ورحمة ، بقاء اصحاب الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين بدون عروض أي نقص وتفتت على أجسادهم الامر المستحيل عادة ، ولم يكن اذ ذاك رسول يتحدى بوضع كذلك ، وانما هو فضل واحسان اليهم ، وارادة لظهور أمرهم في وقت ما ، ليكون عبرة لاولي الابصار ، ودليلا على قدرته لاهل الاعتبار ٠

ومن أدلته قضية صاحب سيدنا سليمان عليه السلام ونقل عرش بلقيس مع كبر حجمه ، وبعد المسافــة بآلاف الكيلو مترات في طرفة العين الى محضره عليه السلام ، وكانت كرامة لذلك الشخص الذي كان عنده علــم من الكتــاب ومعلوم انه لم يكن ذلك العلم من العلوم المادية المعروفة بعلم جر الاثقال ونحوه ، لانها لم تصل قبل ذلك الوقت ، وفي ذلك الوقت ، وبعده الى يومنا هذا الطور الذي تحصل به امثــال تلك المجيبة ، كما انه لم تكن معجزة صادرة من سيدنــا سليمان مباشرة ، لانه لم يكن هنا تحد ، ولو كان منه ما كان داع الى طلب النقل من غيره ، وليس في سياق الآية الكريمــة دلالة على انه كان من أعماله ، فظهر انه كان كرامة لصاحبه خصه الله بها اظهارا لفضله بما آتــاه من علم الكتاب ، وأثرا من الآثار الروحية الخالدة ٠

واما الاخبار فكثيرة : منها ما اخرج في الصحيحين عــن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم في المهد الا ثلاثة : عيسى بن مريم عليه السلام ، وصبي في زمن جريج الناسك ، وصبي آخر »

أما عيسى فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلا عابدا ببني اسرائيل ، وكانت له أم فكان يوما يصلي اذ اشتاقــت اليه أمه ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب الصلاة خير أم رؤيتها ، ثم صلى ، فدعته ثانيا ، فقال : مثل ذلك ، حتى قال ثلاث مرات ، وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امــه ، قالت : اللهم لا تمته حتي تريه الموسات ٠ وكانت زانيــة

هناك فقالت لهم : انا افتن جريجا حتى يزني ، فأتته فلم تقدر على شيء ، وكان هناك راع يأوي بالليل الى أصل صومعته ، فلما أعياها ، راودت الراعي عن نفسها فأتاها ، فولدت ، ثم قالت : ولدي هذا من جريج ، فأتاه بنو اسرائيل، وكسروا صومعته ، وشتموه ، فصلى ودعا ثم نخس الغلام . قال ابو هريرة : كأني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده : يا غلام من أبوك ، فقال : الراعي ، فندم القوم على ما كان منهم ، واعتذروا اليه ، وقالوا : نبني صومعتك من ذهب أو فضة ، فأبى عليهم وبناها كما كانت .

واما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فقال الصبي : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم مرت أمرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فقال الصبي : اللهم اجعلني مثلها ، فقالت له أمه في ذلك ، فقال : ان الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت ان اكون مثله ، وان هذه قيل انها زنت ولم تزن ، وقيل انها سرقت ولم تسرق ، وهي تقول حسبي الله »(٣) .

ومنها خبر الغار : وهو الخبر المشهور في الصحاح فمن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله

---

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري بطوله في باب خلق آدم وذريته القسطلاني ٥/٤١١ - ٤١٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب البر انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٤٤١) .

عليه وسلم « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، وسدت عليهم باب الغار ، فقالوا : والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم ، فقال رجل منهم : كان لي ابوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما ، فناما في ظل شجرة يوما فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما بـــه ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت ان أوقظهما ، وكرهت ان أغبق قبلهما ، فقمت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما ، حتـــى ظهر الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه .

ثم قال الآخر : كانت لي أبنة عم وكانت احب النـــاس اليّ ، فراودتها عن نفسها فامتنعت ، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها مالا عظيما على ان تخلي بيني وبين نفسها ، فلما قدرت عليها قالت : لا يجوز لك ان تفك الخاتم الا بحقه ، فخرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المـــال معها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منهـــــا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت أجراء فاعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له ، وذهب ، فثمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال ، فجاءني بعد حين ، وقال : يا عبد الله ادّ لي أجرتي ، فقلت له : كل

ما ترى من أجرتك من الابل والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله أتستهزىء بي ، فقلت : اني لا استهزىء بك فأخذ ذلك كله ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون » وهذا حديث صحيح متفق عليه [٤] .

ومنها ما روى سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه البقرة ، فقالت : اني لم أخلق لهذا ، وانما خلقت للحرث » ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر »[٥] .

ومنها ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن قبلكم ناس محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر .. » الحديث [*] . والمحدثون : ـ بفتح الدال المشددة ـ هم الملهمون كأنهم حدثوا بشيء فقالوه .

---

٤ أخرجه البخاري في كتاب الادب . انظر القسطلاني (٩/٥) ، وفي كتاب بدأ الخلق . القسطلاني ٥/٤٢٧ ، ومسلم في كتاب العلم . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠\١٦٦) .

٥ أخرجه البخاري في كتاب بدأ الخلق . انظر القسطلاني (٥/٤٣١) ، واخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل ابي بكر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ٩/٢٥٨ .

(*) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر . انظر القسطلاني (٦\١٠٣) .

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بينما رجل يسمع رعدا او صوتا في السماء ان اسق حديقة فلان ، قال : فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها ، فقلت له : ما اسمك قال فلان بن فلان بن فلان ، قلت : فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها ، قال : ولم تسأل عن ذلك ؟ قلت : لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان ، قال : أما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي واهلي ثلثا ، واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا ، وانفق عليها ثلثا »[٦] .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »[٧] ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله .

ومنها ما رواه البخاري في علامات النبوة عن انس رضى الله عنه « ان رجلين من الاصحاب خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى وصل أهله »[٨] . وهذا انما كان اكراما لهما ومعجزة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذان الرجلان هما أسيد بن حُضير وعباد بن بشير رضى الله تعالى عنهما .

---

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزهد . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ١٠/٤٤٢ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب البر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ١٠/٥٤ .

(٨) أخرجه البخاري في المناقب باب منقبة اسيد بن حضير وعباد بن بشير . انظر القسطلاني (٦\١٥٩ـ١٦٠) .

واما الدليل المعقول فهو ان العبد ولي الله ، والله ولي العبد ، واذا ثبتت الموالاة بين الله وبين العباد ، فالمرجو هو ان يفعل الله سبحانه ما فيه اعلاء شأن عبده بالكرامة في الدنيا والاحترام في الآخر .

اما ان العبد ولي الله فلقوله تعالى (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون)[٩] ، واما ان الله ولي العبد فلقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا)[١٠] وقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)[١١] وقوله (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا)[١٢] وقوله تعالى تعليما لعباده ما يدعون به (انت مولانا)[١٣] .

وايضا ان الله تعالى حبيب العبد، والعبد حبيب الرب، والمحب يعمل لحبيبه ما فيه الكرامة والعزة ، أما ان الله تعالى حبيب العبد فلقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبّا لله)[١٤] ، وأما ان العبد حبيب الرب فلقوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[١٥] وكذلك يدل على المحبة في الجانبين قوله تعالى (يحبهم ويحبونه)[١٦] .

---

(٩) سورة يونس الآية ٦٢
(١٠) سورة البقرة الآية ٢٥٧
(١١) سورة المائدة الآية ٥٥
١٢ سورة محمد الآية ١١
(١٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦
١٤ سورة البقرة الآية ١٦٥
(١٥) سورة البقرة الآية ٢٢٢
١٦ سورة المائدة الآية ٥٤

وهنا دليل آخر هو انه تعالى (له مقاليد السموات والارض)(١٧) فلا يعجزه شيء وهو على ما يشاء قدير والعباد المخلصون اختصهم الله سبحانه بالتوفيق على الطاعة والاستقامة على اداء واجب العبودية ، وهذا التوفيق أصل لظهور كل احترام وكرامة للعباد المطيعين ، فمن المناسب لتوفيقهم اعلاء شأنهم باظهار الكرامة لهم ، وتوليهم في كافة شؤونهم كما قال (وهو يتولى الصالحين)(١٨) .

وهنا دليل آخر ، وهو ان المتولي للافعال هو الروح لا البدن ، ولا شك ان معرفة الله تكون كالروح للارواح ، أي انه كلما ، ترقت الارواح في مدارج معرفة الله ، ترقت في مدارج الطاعة والاخلاص ، وكلما ترقت في ذلك زادت المناسبة والارتباط وتهيأت لفيض انوار القدس عليها ، واذا صارت الروح مظهرا للفيوضات ، فظهور الكرامات والامداد الغيبية لصاحب هذه الروح يصير نتيجة واقعية ، وسنة ثابتة من سنة الله التي خلت في عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلا)(١٩) .

ولا شك ان الروح خالدة ، ولا فناء لها بانتقالها الى عالم البرزخ ، ولذلك يرى أهل المعرفة آثار الارواح الطيبة ، ويدرك أهل الصفاء أنوار الارواح عند الزيارات بحيث يندهش العقل من ادراك تلك الانوار والفيوضات .

---

(١٧) سورة الشورى الآية ١٢

١٨ سورة الاعراف الآية ١٩٦

(١٩) سورة فاطر الآية ٦٢

ومن الكرامات التي ظهرت من الصحابة رضى الله تعالى عنهم جملة كثيرة : منها ما صح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان نحلها جاد عشرين وسقا • فلما حضرته الوفاة ، قال : والله يا بنية ما بين الناس أحد أحب الي غنى بعدي منك ، ولا اعز علي فقرا بعدي منك، واني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا ، فلو كنت جددته وخزنته كان لك، وانما هو اليوم مال وارث ، وانما هما أخواك واختاك فأقتسموه على كتاب الله قالت عائشة : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته ، انما هي أسماء فمن الاخرى • فقال أبو بكر : ذوبطن بنت اراها جارية فكان ذلك •

(والجاد) بمعنى المجدود ، أي نخل يجد منه ما يبلغ عشرين وسقا ، وفي القصة كرامتان احداهما اخباره رضى الله تعالى عنه بأنه يموت في ذلك المرض حيث قال وانما هو اليوم مال وارث ، والثانية اخباره بمولود له وهو جارية • والسر في اظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضى الله عنها في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه فأخبرها رضى الله عنه بانه مال وارث وان معها اخوين واختين •

ومنها ما في البخاري (باب السمر مع الضيف والاهل) من كتاب المناقب من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الصفة مرة « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس » •

وفيه ان ابا بكر انطلق بثلاثة وغادرهم في بيته وتعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ولبث حتى صلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله ، فقالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ٠ قال : أو ما عشيتهم قالت أبوا حتى تجيء ، ثم قال كلوا : فقال قائلهم وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة الا ربا من أسفلها اكثر منها حتى شبعوا ، وصارت اكثر مما كانت قبل ، فنظر أبو بكر فاذا شيء أو اكثر فقال لامرأته يا أخت بني فراس ما هذا ، قالت : لا وقرة عيني لهي الان اكثر مما كانت قبل بثلاث مرات فأكل منها ابو بكر [٢٠] ٠٠ الحديث ،

وهذه كرامة أظهرها الله في بيت أبي بكر ، كرامة له ، حيث قصد اشباع أضيافه واستطابة قلوبهم حيث غاب عنهم ٠

ومنها قصة عمر رضى الله عنه مع سارية بن زنيم الخلجي حيث أمره على جيش من جيوش المسلمين ، وجهزه الى بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال على باب (نهاوند) وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الاعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضى الله عنه بالمدينة ، فصعد المنبر وخطب ، ثم استغاث في اثناء خطبته بأعلى صوته : يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين ، وهم على باب نهاوند صوت عمر فلجأوا الى الجبل ، وقالوا : هذا صوت امير المؤمنين فنجوا وانتصروا ٠

---

٢٠ أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ٠ انظر القسطلاني (٥١٨/١) وكرره في باب علامات النبوة ، القسطلاني ٤٢/٦ ٠

وروي ان سيدنا عليا كرم الله وجهه كان حاضرا ، ولما سمع الحاضرون ، قالوا : ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين وأين سارية منا الآن ؟ قال : دعوه فما دخل في أمر الا وخرج منه ، ثم تبين الحال بالآخرة ٠

ومنها ما ظهر على يد عثمان رضى الله عنه ، وذلك أنه دخل اليه رجل كان قد لقي أمرأة في الطريق فتأملها ، فقال له عثمان رضى الله عنه : يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا ، فقال الرجل : أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، ولكنها فراسة ٠

وانما أظهر عثمان هذا تأديبا وزجرا لرجل عن هذه المعصية ٠

ومنها ما ظهر على يد علي المرتضى رضى الله تعالى عنه، روي ان عليا وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم سمعوا قائلا يقول في جوف الليل :

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وعين جودك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي
يا من اليه رجاء الخلق في الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ
فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال على رضى الله عنه لولده : اطلب لي هذا القائل ، فأتاه فقال : اجب أمير المؤمنين ، فأقبل يجر شقه ، حتى وقف بين يديه ، فقال : قد سممت خطابك فما قصتك ، فقال : اني كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان ، وكان والدي يمظني ويقول ان لله سطوات ونقمات ، وما هي من الظالمين ببعيد ، فلما الح" في الموعظة ضربته ، فحلف ليدعون علي ، ويأتي مكة مستغيثا الى الله ، ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شقي الايمن فندمت على ما كان مني ، وداريته وارضيته ، الى ان ضمن لي انه يدعو لي ، حيث دعا علي ، فقدمت اليه ناقة فأركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك ٠

فقال له علي رضى الله عنه : رضى الله عنك ان كان أبوك رضى عنك ، فقال : تعالى رضيت عمن رضى عنه ابوه كذلك ، فقام علي كرم الله وجهه ، وصلى ركمات ودعا بدعوات اسرها الى الله عز وجل ، ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى ، وعاد الى الصحة كما كان ، ثم قال : لو انك حلفت ان اباك رضى عنك ما دعوت لك ٠

والكلام هنا في قول علي كرم الله وجهه لذلك الرجل المشلول (قم يا مبارك) فانه يتبين انه ظهر عليه كرم الله وجهه بصلاته اشراق قلبي حصل له به اعتقاد ان الله تقبل دعاءه فأمره بالقيام فقام وقد حقق الله ما اعتقده ٠

ومنها ما ظهر على سيدنا العباس رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم في استسقائه عام الرمادة في زمان عمر

رضى الله عنه وبرجائه ، وكانت السنة سنة جدب والريح تذري التراب كالرماد وقد قبل الله تعالى دعاءه واستسقاءه ، ولا شك ان مقارنة الاجابة بالدعاء في السنة التي كاد ان تيأس فيها من المطر كرامة باهرة ٠

ومنها ما ظهر لسعد بن ابي وقاص رضى تعالى عنه يوم القادسية ، وذلك انه كان به جرح لم يستطع القيام معه والركوب الى ساحة الحرب ، فبلغه من بعض الشعراء كلاما تألم قلبه منه ، فدعا عليه ، وقال اللهم اكفنا لسانه ويده فخرس لسانه وشلت يده ٠

وكان سعد مستجاب الدعاء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك فقال « اللهم سدد سهمه واجب دعوته »[٢١] ، فكان لا يدعو بشيء الا اجاب الله دعوته ، وكان الصحابة يعرفون ذلك منه ،

ولما عزله عمر رضى الله عنه وولى مكانه عمار بن ياسر رضى الله عنهما بعث مع سعد من يسأل عنه اهل الكوفة ، فلم يدع مسجدا حتى سأل عنه ، فيثنون عليه خيرا ، حتى دخل مسجدا لبني عبس ، فقام رجل منهم ، يقال له اسامة بن قتادة ويكنى ابا سعدة ، فقال : اما اذا نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ،

---

(٢١) أخرجه البخاري في كتاب الاذان ٠ القسطلاني ٢/٨٣-٨٥ ، واخرج مسلم بعض هذا الحديث في كتاب الصلاة ٠ شرح النووي في هامش القسطلاني ٣/٩٨-٩٩ ، والامام احمد في المسند (١/١٧٥) ، والنسائي (١/١٧٤) ، والطبراني رقم ٣٠٨ ٠

فقال سعد : أما والله لادعون بثلاث : اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة ، فاطل عمره ، واطل فقره ، وعرضه للفتن • قال عبدالملك بن عمير من رواة الحديث : فأنا رأيته قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وانه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن ، وكان بعد اذا سئل يقول شيخ كبير مفتون اصابتني دعوة سعد • واراد عمر رضى الله عنه ان يرد سعدا بعد ذلك الى الكوفة فامتنع •

واقبل سعد يوما برجل يسب عليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، فنهاه ، فكأنما زاده اغراء ، فقال له : ويلك ما تريد الى أقوام خير منك ، لتنتهين أو لادعون عليك ، فقال هاه فكأنما تخوفني يعني نبيا من الانبياء ، فدخل سعد دارا فتوضأ ودخل مسجدا فقال : اللهم ان كان عبدك يسب أقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى اسخطك بسببه اياهم فأرني اليوم آية تكون آية للمؤمنين فخرجت بختية ، من دار قوم ، واقبلت لا يصدها شيء حتى انتهت اليه ، وتفرق الناس ، فجملته بين قوائمها ، ووطئته حتى طفيء •

ومنها ما ظهر على يد ابن عمر رضى الله عنهما ، حيث قال للأسد الذي منع الناس الطريق : تنح فبصبص بذنبه وذهب •

ومنها ما ظهر على أيدي سلمان وأبي الدرداء فقد كانت بين يدهما قصعة ، فسبحت حتى سمعا التسبيح •

ومنها ما ظهر على عمران بن حصين كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى فاحتبس ذلك عنه ، ثم اعاده الله عليه •

ومنها ما ظهر لخالد بن الوليد رضى الله عنه ، وهو انه شرب السم ولم يضره ، الى غير ذلك من الكرامات التي ظهرت من سائر الصحابة ، ومن التابعين ، وتابعي التابعين رضى الله تعالى عنهم ، ومن غيرهم من خيار المسلمين في القرون التي مضت عليهم ، بحيث وصل القدر المشترك منها مبلغ التواتر المفيد لليقين ٠

فان قيل : ما بال الكرامة في زمن الصحابة وان كثرت في نفسها قلت بالنسبة الى ما يروى من الكرمات الكائنة بعدهم على يد الاولياء ٠

فالجواب : ما اجاب به الامام الجليل احمد بن حنبل رضى الله عنه حيث سئل عن ذلك فقال : اؤلئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة يقوى بها ايمانهم ، وغيرهم ضعيف الايمان في عصره ، فاحتيج الى تقويته واظهار الكرامة ٠

ومما ينبغي علمه انه كما اختصت المعجزة بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، اختصت الكرامة بالمؤمنين المتقين المستقيمين على اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، كالصحابة الكرام ، وافراد التابعين ، وتابعي التابعين ، وسائر المؤمنين الاخيار رضى الله تعالى عنهم اجمعين ٠

فلا تصدر الكرامة قطعا من الفساق الفجار والعصاة الاشرار ، وما يتوهم من وقوع بعض الامور غير الاعتيادية

منهم فليست كرامة ، وانما هي نتيجة علوم خاصة اكتسابية كالسحر والشعوذة وخفة اليد ، او نتيجة تدريبات رياضية علاجية كشرب حبوب مسمومة في اليوم مرات ، والطفرة الى الاسفل من اعالي السطوح العاليات ، أو نتيجة رياضات نفسية بالجوع والعطش والسهر كادراك بعض اسرار خفية من بعض الاشخاص ، على انها ظنون وأوهام تتخلف كثيرا ، كما علم بالتجارب القطعية ، أو أثر دعاء صالح دعاء لبعض الناس لرعاية مصالح دينية مهمة في بعض الاوقات ، فاستمرار أثر ذلك فيهم كرامة لذلك الداعي ، ولكل صالح مطبق لتلك المصالح،واستدراج لغيرهما من الناس غير المراعين لاحكام الدين المبين ، وذلك لان الكرامة فرع معجزة الرسول ، فهي من باب الامدادات الربانية والفيوضات الرحمانية ، والانوار الروحية الناشئة من صميم الاسلام والمتابعة لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

واما صحبه الصالحين المتقين الصادقين

فعليها ادلة قاطعة من الكتاب والسنة ٠ أما الكتاب فكقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)[١] ٠

في هذه الآية الشريفة امر الله سبحانه وتعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بتثبيت نفسه الشريفة الكريمة مع المؤمنين الذين يدعون ربهم في طرفي النهار ابتغاء مرضاه ، وينهاه عن أمالة عينه الى من سواهم من الذين يريدون الدنيا وشهواته ، ثم ينهاه عن مطاوعة الذين غفلوا عن ذكر الله واتبعوا هواهم وخالف أمرهم وحالهم دين الله سبحانه وتعالى ،

وذلك لان في المصابرة والمجالسة معهم تعاونا في الدين وتنورا للقلب في مدارج علاه ، وان في المجالسة مع أهل الكفر والفسوق اعراضا عن عبادة الله واداء حقوقه ، فمجالسة الاولين عبادة وسعادة ، ومجالسة الآخرين بعد عن الله وشقاوة ، ولا يرضى احد باستبدال السعادة بالشقاوة ، والقرب من الله تعالى بالبعد عنه ، وقد ثبت بالادلة القطمية ان من جالس أهل الخير ينال خيرا ، ومن جالس اهل الشر ينال شرا ، ولذلك يحث الله تعالى عباده بقوله (يا ايها الذين

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٨

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[٢] ويستفاد من هذه الآية الكريمة ان الكينونة مع الصادقين وصحبتهم ومحبتهم ، يورث القلب استقامة على الحق وسلامة عن الباطل ، وكأنها تكون وسيلة لتركين التقوى ، فكأنه سبحانه وتعالى قـــال : يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وان لم تعلموا حصول التقوى من اي وجهة ، فاعلموا انه بالصحبة مع الصادقـــين • وان الانسان اذا جالس أهل الخير واهل العلم استفاد منهم الخير والعلم ، وذلك مدلول قوله تعالى (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا)[٣] بل هذه الآية تدل بجلاء على ان اتباع الناس لاهل الصلاح لنيل ما عندهم من العلـــم ، والاحوال ، والصفات الحسنة ، وتعليم ذلك الصالح صاحبه احوال أهل الخير ، وكيفية استفادتها مطلوب ، ومرغـوب ، حتى للانبياء والمرسلين •

وأما من السنة فما روى عن ابي موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامـــل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منـــه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجـد منه ريحا منتنة »[٤] متفق عليه •

---

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

(٣) سورة الكهف الآية ٦٧

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع • القســطلاني ٣٩/٤ وكرره في كتاب الذبائح • القسطلاني ٢٩٢/٨ ، ومسلم في كتاب البر • شرح النووي في هامش القسطلاني ٥٨/١٠ •

والحاصل ان الصاحب يأخذ من صاحبه بالمصاحبة والمحبة في مدة يسيرة ، ما لا يستفيده بجهده وحده في ازمنة كثيرة ، حتى ان الصاحب يكتسب دين صاحبه وديدنه ، وعليه ما روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل »(٥) رواه ابو داود والترمذي بسند صحيح ، وقال الترمذي حديث حسن ولما اكتسب بصحبته آدابه واخلاقه ودينه وديدنه يكون قرينا له في الآخرة ، وعليه قال صلى الله عليه وسلم « المرء مع من احب»(٦) وفي رواية قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال « المرء مع من احب »(٦)

الزيـــارة

واذا حصلت الصحبة والمحبة بين شخصين وتحابا في الله وتصاحبا ، فان كانا يعيشان معا فذلك ظاهر ، وان اقتضى الوضع ان يتفارقا فليزر أحدهما الآخر ٠

فعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان رجلا زار أخا له في قرية أخرى فارصد الله تعالى

---

(٥) رواه الترمذي رقم ٢٤٨٤ طبعة القاهرة ، وقال حديث حسن وابو داود في كتاب الادب من سننه ٢/٥٥٩ ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، لكن الزركشي رد عليه بقوله : أخطأ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات ، والقول ما قاله الترمذي ٠ أنظر اللألىء المنتثرة في الاحاديث المشتهرة للزركشي ، مخطوط ٠

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الادب عن ابي موسى ٠ انظر الصحيح ٨/٤٩ ٠

على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال اين تريد ؟ قال : اريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير اني احببته في الله تعالى قال فانى رسول الله اليك بان الله قد احبك كما احببته فيه »[١] رواه مسلم ٠

ومن هنا ثبت ان زيارة الاحباب الصالحين بعضهم بعضا مستحبة ، سواء كان في قرية واحدة أو في قريتين ، واذا توقف عليها فهم حكم من احكام الدين ولا يمكن فهمه من غيره ، أو دفع رذيلة نفسية من الرذائل المهلكة كالحقد والحسد ، وجبت تلك الزيارة ، لان ما يتوقف عليه الواجب واجب قطعا ، فان تزكية النفس عن الرذائل والامراض النفسية توجب الفلاح والخلاص ، كما قال تعالى (قد افلح من زكاها ٠ وقد خاب من دساها)[٢] وقد جرب ان مجاورة اؤلئك الاصفياء دواء لادواء القلوب ٠

وسقطقول من منع زيارة الناس للصالحين بحجة «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ٠٠٠ الحديث »[٣] لانه مبني على شد الرحال لاداء الصلاة في المسجد ، كما روى ذكر الصلاة في بعض الاحاديث الشريفة ، لا لزيارة المسلمين بعض العارفين لاخذ آدابهم والتعلم منهم والانطباع والتخلق بما عندهم من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر عن ابي هريرة ٠ شرح النووي في هامش القسطلاني ٩/٤٦١ ٠

(٢) سورة الشمس الآية ٩ـ١٠

(٣) سبق تخريجه في ص٩٤ ٠

الآداب والفضائل ، والا لا نسد باب كسب المعارف الدينية بصنوف الفقه ، والعقايد ، والحكمة ، والعربية وغيرها كما هو معلوم ·

وان مما يرشد المسترشدين الى الحق لزوم اتباع طلاب العلوم النافعة الدافعة لامراض القلوب رجالا اصفياء ، اتقياء ، يداوون اسقام القلوب بالانوار والارشاد السليم الى طريق التزكية ، لزوم تداوي المرضى بالاسقام البدنية عند الاطباء الحاذقين ، فان الدين روح الحياة للانسان وثمرتها ، وزكاء النفس وطيبها ، وخلوصها من الملل المانعة عن الوصول الى الله هو روح الدين · والانسان اذا مات بالامراض البدنية لا يفوته الا تمتعات مادية مؤقتة ، واذا مات بالامراض الروحية تفوته السعادة الابدية ، وتنوب عنها الشقاوة السرمدية والعياذ بالله تعالى · وجوب تداوي أمراض النفس واتباع الصالحين مما لا يشك فيه عاقل ، فان تزكية النفس واجبة ، وكل ما يتوقف عليه هذا الواجب واجب ·

لا يقال : ان اتباع الشرع الشريف كاف عن كل شيء ، لان فيه ما يحتاج اليه الانسان في السعادة ، فلا حاجة الى شيء آخر ، لأنا نقول : نحن لا نخالفك قطعا ، ولكنا نقول : قد تركت انت اتباع الشرع ، لان الشرع يأمر بالعبادة والاخلاص والعبادة تستفاد من التعليمات الدينية · واما الاخلاص للنية التي عليها المدار ، لا يمكن الا بالتخلق بالاخلاق المحمدية، وهذه الصفة لا يمكن عادة وجودها ، الا بمحبة الدين ، وأهل الدين ، وصحبتهم ، ومحبتهم ، والاخذ بآدابهم

الدينية المستفادة من مجاورة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يقول سبحانه وتعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[٤] .

الا ترى قوله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا موسى عند مكالمته مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام (هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) وجوابه بقوله (انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)[٥] ألم تعلم ان ذلك العبد كان محبوبا لدين الله ، وقد علمه من العلوم اللدنية .

وهنا يتبين لك الحق لانه ان كان العبد الصالح نبيا ، فمعناه جواز ان يتعلم الرسول من النبي بعض العلوم المختصة ، وان كان وليا من أوليائه تعالى فيكون الحق اوضح لانه اذا قرر اتباع الرسول مع كونه اعظم قدرا عند الله لولي من الاولياء لمعرفة واستفادة بعض الاسرار التي خصه الله بها ، فوجود الاستفادة بل وجوبها من اتباع العامة للخواص من العلماء والاولياء يكون اوضح ، وهذه القضية وان كانت في شريعة سابقة على شرعنا ، لكنها حكاها الله في مقام التقرير والارتضاء ، ووفور قدرته تعالى في اختصاص من شاء بما شاء .

---

٤ سورة التوبة الآية ١١٩

(٥) سورة الكهف الآية ٦٧-٦٨

فالخلاصة في المقام ان الدين الخالص الذي حصره الله تعالى في الاختصاص به وقال (ألا لله الدين الخالص)[٦] لا يمكن الا باتباع ما جاء به الرسول بأصوله وفروعه ، ولا يتحقق ذلك ، الا بارتكاز العقيدة السليمة في القلـــوب ، ومباشرة الاعمال الصالحة ، ومجانبة الاعمال الســـيئة ، والاخلاص في ذلك ، والاعتقاد يؤخذ من تعليـم العقايـــد ، والاعمال تستفاد من تعليم الفقه ، واما الاخلاص فلا ســبيل اليه الا بفضل من الله ، وموهبة خالصة ، وتوفيق لصحبـــة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته ، والانطباع بأحوالـه ، وذلك في الصدر الاول ، وبصحبة ومحبة اؤلئك الاصحـــاب المجاورين المحبين في الطبقة الثانية ، وهكـذا الى ان ينتهـي الزمان ويحصل الامان .

---

٦ سورة الزمر ٣

زيارة الصالحين بعد وفاتهم
رحمهم الله تعالى

وأما زيارة الموتى من الصالحين الكرام ، فشعبة من زيارة مطلق الاموات ، ولها وجوه واصناف :

فمنها زيارة الميت كائنا من كان ، وهذه مأمور بها ومرغوب فيها ، لتذكر الآخرة ، والتفكر في هازم اللذات ، والعبرة بأحوال من ولد ومات ، قال صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة »[١] رواه مسلم وفي رواية « فمن أراد ان يزور القبور فليزر فانها تذكره بالآخرة »

صدر النهي عن زيارة القبور في صدر الاسلام ، لقرب عهد الناس بالجاهلية ، ولما تمهدت القواعد واتضحت الاحكام وعلموا ما ينفع وما يضر ، نسخ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك النهي بالامر بها . والقاعدة الاصولية المقررة ان الامر بعد الحظر للاباحة ، على انه اعتضد بتكرر زيارته صلى الله عليه وسلم للاموات ، ولذلك اتفق العلماء قبل ظهور البدع والاهواء ، على ندب الزيارة للرجال في قبور المسلمين ، وان بلوا لبقاء علاقة الروح بمحل القبر دائما .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله

---

(١) سبق تخريجه في ص ٩٤

عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجّلون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد »[٢] رواه مسلم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقول قائلهم « السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية »[٣] رواه مسلم .

ومنها الزيارة لاداء حق نحو والد وذلك آكد لخبر ابي نعيم « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة كان كحجة » ولفظ رواية البيهقي « غفر له وكتب له برائة »[٤]

واما لنحو حق صداقة ومعارفة ، فذلك أيضا مندوب لما ثبت انه لما مات عثمان بن مظعون ودفن حضر دفنه صلى الله عليه وسلم ، وأتى بحجر وضعه موضع رأسه ، ولما سئل عن ذلك اجاب صلى الله عليه وسلم بقوله « اتعلّم بها قبر أخي عثمان »[٥] ومعلوم انه اراد ان يظهر القبر له اذا زاره في

---

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤/٣٠٦)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز عن سلمان بن بريدة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤/٣١٢)

(٤) رواه الحافظ الهيثمي بلفظ « من زار قبر أبويه كل جمعة غفر له وكتب برا » قال : رواه الطبراني وفيه عبدالكريم أبو امية وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٣/٥٩-٦٠)

(٥) رواه ابو داود عن المطلب . انظر السنن (٢/١٨٩-١٩٠)

المستقبل ، ومن هذا أخذ الناس وضع حجرين على قبر الميت رأسه ، وقدمه للمؤنث ، وثلاثة احجار للمذكر : رأسه ، وقدمه ، ووسطه ٠

ومنها الزيارة للتبرك ، فيسن لاهل الخير ، لان لهم في برازخهم أنوارا وبركات لا تحصى ٠ أما سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقد ذكرنا قبل ما له علاقة به ، وكذلك سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٠

وأما زيارة الاولياء والصالحين والعلماء العاملين ، وعلى رأسهم الصحابة الكرام ، والتابعون ، وتابعوهم من الاخيار ، والشهداء لاعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، فتدخل في الندب المطلق من حيث ان زيارتهم زيارة الموتى من المسلمين ، وفي الندب المؤكد لما لهم من حقوق التعليم ، ونشر الدين ، والتضحية في سبيل الاسلام والمسلمين ٠ وتدخل في نطاق زيارة تأكد ، لان ارواحهم كانت ولا تزال منورة بأنوار الله في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الاشهاد ، والارواح المنورة لا تنقطع علاقتها بربها أبد الآبدين ٠ ومذهب جمهور المسلمين ان الارواح خالدة مؤبّدة ، ومعنى ذلك دوام فيض البركات والانوار عليهم ، فزيارتهم زيادة في الاجر واستفادة من بركات أرواحهم الطاهرة ٠ وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال « آنس ما يكون الميت في قبره اذا رأى من كان يحبه في الدنيا »[٦] ، وهذا الحديث الشريف يشمل زيارة الاصدقاء

---

(٦) لم أطلع لهذا الحديث على سند ، لكن معناه وارد في عدة احاديث مثل « ما من رجل يمر » الحديث ص٢٢٨ ٠ وحديث « ما من رجل يزور » الحديث ص ٢٢٩ وأحاديث أخرى ٠

في الدنيا ، وزيارة الاخيار الذين كان الزائر يعرفهم في حياتهم بصورة قطعية ، وغيرهم ممن لم يكن بينهم تمـــارف ظاهر ، ولكن هناك تمارف روحي بصورة استنباطية ، لان المعارفـــة الروحية لا تتوقف على المعارفة الظاهرة في عالم الحياة المادية ، وهو معلوم لاهل العلم واليقين ٠

بيـانـات وايضاحات

هناك امور ينبغي التعرض لها لزيادة بصيرة المسلمين :

الاول ـ انه هل للاموات ادراك واطلاع على الزائـــر وشخصيته وفهم لاحواله ؟

الثاني ـ هل هناك فائدة تعـود على الميت أولا ؟ وعلى الزائر ثانيا ؟

والثالث ـ انه هل يجوز للزائر التوسل بهـــم الى الله سبحانه لحصول خير أو دفع شر ؟

فنقول أما الاول ـ فان كان الميت نبيا من الانبيـــاء (عليهم الصلاة والسلام) فلهم ادراك ، فقد ثبت ان الانبياء أحياء في قبورهم ، وان الارض لا تأكل اجسادهـــم لما روي النسائي عن أوس بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل قد حرم على الارض ان تأكل أجســـاد الانبياء »[١] عليهم الصلاة والسلام ، واخرجه ابن ماجه في

---

(١) انظر النسائي (٣/ ٩١-٩٢) ٠ رواه احمد في المسند (٤/ ٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨) وابن ماجه عن ابي الدرداء رقـم ١٦٣٧ وابو داود في كتاب الصلاة من سننه (١/ ٣٥١)

سننه ايضا . وروى البيهقي في كتاب الانبياء وصححه من حديث أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « الانبياء أحياء في قبورهم يصلون »[٢] ، وكذلك رواه ابو يعلي والبزار وابن عدي واخرج مسلم في باب فضائل موسى عليه السلام من رواية انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره »[٣] .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالك فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم »[٤]، وذلك العرض كل يوم ، وقد عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الباب مما يدل مجموعها دلالة لامرية فيها على حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وكذلك الشهداء فقد ثبت ايضا انهم احياء في قبورهم وان كانت حياتهم دون حياة الانبياء قال تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون)[٥]

---

(٢) صححه البيهقي في كتاب حياة الانبياءص٤، وايد الشوكاني في نيل الاوطار (١٠٨/٥)

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٣١/٩)

(٤) رواه الحافظ الهيثمي عن عبدالله بن مسعود ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (٢٤/٩)

(٥) سورة البقرة الآية ١٥٤

اي لا تحسون ولا تدركون حالتهم بالمشاعر ، لانها من أحوال البرزخ التي لا يطلع عليها ، ولا طريق للعلم بها الا بالوحي أو الالهام • وما كان هذا شأنه لا يتصرف العقل فيه وهو خارج عن طوره • وجمهور السلف على ان هذه الحياة حياة حقيقية ، وانها للروح والجسد ، ولكن الجسد جسد برزخي لا دنيوي ، ونحن لا ندركها بالعين المجردة في هذه النشأة ، وانما تدرك بعين البصيرة لمن شاء الله • وممن صرح بهذا القول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، والجبائي ، والروماني وجماعة من المفسرين •

واما سائر الموتى فأرواحهم في عالم البرزخ مشغولة بشؤون أخرى غير هذه الشؤون ، وفي عالم آخر مباين لهذا العالم المحسوس ، مع ان لهم ادراكات متناسبة لمدارجهم ومعارجهم وعلو طبقات أرواحهم ، ففي كتاب الروح لابن القيم تحت عنوان فصل ان الموتى يتساءلون عن الاحياء ويعرفون أقوالهم وأفعالهم ، وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الاشبيلي على هذا فقال (ذكر ما جاء ان الموتى يتساءلون عن الاحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم قال : ذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ما من رجل يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه »[٦] ويروى هذا من

---

(٦) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في تاريخ دمشق• انظر الجامع الصغير (٢/٢٥٥)

حديث ابي هريرة مرفوعا قال « فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام » قال ويروى من حديث عائشة رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم »[٧] .

واحتج الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما رواه ابو داود في سننه من حديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام »[٨] . وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر « السلام عليكم أهل الديار » الحديث ، وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من يدعو له ، وصح عن عمر بن دينار انه قال « ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم يغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم »[٩] .

واما استشكال اسماع الموتى وسماعهم بقوله تعالى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء اذا اولوا مدبرين)[١٠] وبقوله تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات

---

(٧) ذكره ابن ابي الدنيا في القبور ، ورواه ابن ابي عبد البر في التمهيد ، وصححه عبدالحق الاشبيلي . انظر ما قاله الحافظ العراقي في الاحياء (٤/٤٧٥)

(٨) أخرجه ابو داود في سننه (١/٤٧٠) وصححه النووي في الاذكار ورياض الصالحين . انظر دليل الفالحين (٧/٢١٧ـ٢١٨) وأخرجه البيهقي في كتاب حياة الانبياء ص ١٣

(٩) ورواه احمد في مسنده عن ابي سعيد بلفظ « ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره » . تخريج احاديث الاحياء (٤/٤٨٢)

(١٠) سورة الروم الآية ٥٢

ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور)[١١] فمدفوع بأمور :

الاول ـ ان المراد اسماع هيكل الميت بواسطة آلة السمع وذلك مستحيل عادة ، لبطلان احساس الحواس للميت ، فلا يمكن اسماعه الا بقدرته تعالى ·

والثاني ـ ان المراد تسلية الرسول من جهة ان الانسان الذي اصر في حياته على الكفر لا يتأثر بالمواعظ والارشادات التي تأتيه من الرسول فهو كالميت المتجمد المشرف على التمزق والبلى ، وليست افادة الارشاد بالنسبة اليه في وسعك ، وانما هو في قدرة خالق الكائنات الذي يقدر ان يسمع حتى الجمادات وينطق الحيوانات التي لا نطق لها · وليس المراد بما في الآيتين نفي ادراك ارواح الموتى وسماعهم بالقوة الروحية ما يلقى اليهم ، لوجود أدلة على ادراك الارواح للاشياء وسماعها للاصوات سماعا برزخيا ، مثل ما يرى أحد مناما ويسمع في رؤياه كلام من يخاطبه ويناجيه ·

والثالث ـ ان ارشاد الناس وافادتهم بالحقيقة ، واسماع الموتى بعد التحول من قانون الحياة الاعتيادية ، بل كل كائن يكون ، وكل حادث يحدث ، انما هو بخلق الله وقدرته ، وليس لكم الا الكسب الاعتيادي ، وهو لا يفيد انتاج المقصود لولا خلق القادر المعبود · فلا ينبغي ان تتألم بكلامهم وتتأثر بسوء افهامهم ان أنت الا رسول وما على الرسول الا البلاغ

---

(١١) سورة فاطر الآية ٢٢

المبين ، فهي من قبيل (انك لا تهدي من أحببت)[١٢] (وانك لتهدي الى صراط مستقيم)[١٣] . وليس المراد بالآيتين واشباههما نفي الادراك عن الارواح ، ونفي السماع البرزخي ، لان ذلك المعنى مخالف لنصوص السنة ، يدل لهذا ما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا » فقال عمر أتكلم الموتى يا رسول الله فقال عليه السلام « والذي نفسي بيده ما انتم بأسمع منهم لما أقول غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا عليّ شيئا »[١٤] اي لانهم كانوا مشركين لا يمتثلون في الدنيا أوامر الله ورسوله ، فبماذا يردون علي الآن ؟ ولا ريب ان ذلك انما يكون بسماع الارواح ، اذ لو كان بسماع الآلات لكان دون سماع الاحياء ، لان آلاتهم الاحساسية تأثرت وضاعت من حين القتل ، فما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ما أنتم باسمع منهم » . وأما سؤال عمر رضى الله عنه فمبني على ظن ان التكلم للهيكل المخصوص الفاقد للحس والحركة كما هو المعروف من الموتى ، فأرشده الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان الموجه اليهم الخطاب هم الموتى باعتبار أرواحهم المتعلقة بهم بعد الموت علاقة خاصة فهي

---

(١٢) سورة القصص الآية ٥٦

(١٣) سورة الشورى الآية ٥٢

(١٤) اخرجه مسلم عن انس في عذاب القبر . شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٢٣/١٠) واخرجه البخاري عن ابي طلحة وليس فيه « غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا » . انظر القسطلاني (٢٥٣/٦-٢٥٤)

التي تخاطب وتُسمع فتَسمع . وما روى مسلم « ان الميت ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا »[١٥] . وما ثبت من سؤال الملكين للميت بعد دفنه ، وما ثبت من النعيم وغيره لهم في عالم البرزخ .

فظهر مما ذكرنا ان لارواح الاموات ادراكات واطلاعات بحسب ما لهم من الدرجات ، وان أولياء الله تعالى وهم المتقون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الاعتقاد والعمل الصالح ومنهج الخلق المحمدي ، لارواحهم بركات لانهم تتنزل عليهم الملائكة بالبشرى ، وان من زارهم يستفيد من بركاتهم وأنوار أرواحهم ، حيث ان مشاهدتهم فيها بركات تنبع عن أرواحهم الصافية . وان من كان في الاماكن المبروكة بالنية الطيبة ، يستفيد من تلك البركات ، فقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأرض كانت بها أمة سابقة متمردة ، وغضب الله عليهم ، فأمر أصحابه باسراع دوابهم واستعجال الخروج منها بحجة أنها أرض مغضوبة .

وروى مسلم في صحيحه في باب النهي عن الدخول على أهل الحجر الا من يدخل باكيا : روى عن عبدالله بن دينار انه سمع عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحاب الحجر « لا تدخلوا على هؤلاء القوم

---

(١٥) اخرجه مسلم عن انس في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢٢/١٠) . واخرجه البخاري في باب عذاب القبر . انظر القسطلاني (٤٦٣/٢-٤٦٤)

المعذبين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ان يصيبكم مثل ما اصابهم »[١٦] .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم »[١٧] ثم زجر فأسرع حتى خلّفها .

وعن نافع ان عبدالله بن عمر اخبره ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وأمرهم من البئر التي كانت تردها الناقة .

وقال النووي في شرح مسلم وفي هذا الحديث فوائد منها النهي عن استعمال مياه بئار الحجر الا بئر الناقة ، ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يعلفه الدواب ، ومنها انه يجوز علف الدابة طعاما مع منع الآدمي من أكله ، ومنها مجانبة آبار الظالمين والتبرك بآبار الصالحين .

ويستفاد استنباطا دقيقا من قوله سبحانه وتعالى (وتوفنا مع الابرار) استحباب وابتغاء ان يكون المسلم يسعى لوصوله الى مجتمع الابرار ليكون وفاته بمقربة منهم

---

(١٦)و(١٧) الحديث مع الشرح موجود في شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١١٠-١١٢)

وان يدفن في مقابرهم ليجاورهم في البرزخ فان الانسان يستفيد من بركاتهم وانوارهم وجاههم بان يتشفعوا له عند الله بالعفو والغفران فان لهم جاها ووجها عنده تعالى وليس بغريب ان قال سبحانه وتعالى في شأن موسى (وكان عند الله وجيها)[١٨] ٠

فأخذ العلماء من هذا بقاعدة دليل العكس ، ان البقاء في المحل المبارك يستوجب الرحمة والبركة ، وذلك على منوال ما قال صلى الله عليه وسلم « وفي بضع احدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر » فقالوا : نعم ٠ قال : « فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر »[١٩] فالمحل المبروك والمحل المغصوب محلان متنافران ، فما ثبت في الاول مناف لما ثبت في الآخر ٠ ويشهد بذلك واقع حال المسلم الذي زار الاماكن المقدسة ، والمشاهد المباركة ، واحساسه بالنفحات والبركات ، وقوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)[٢٠] ٠ وان أولياء الله تعالى مشمولون بعنايات ورعايات الهية لهم ولاتباعهم في الدنيا والآخرة ٠ أما في الدنيا فيدل عليه قوله تعالى « وكان أبوهما

---

(١٨) سورة الاحزاب الآية ٦٩

(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ٠ شرح النووي في هامش القسطلاني (٤/٣٧٥-٣٧٧)

(٢٠) سورة الجاثية الآية ٢١

صالحا)[21] في تقرير الامر بالعبد الصالح لاقامة جدار اليتيمين . وأما في الآخرة ، فيدل عليه قوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)[22] ، ومعنى هذا سراية أنوار الابرار الى المؤمنين المحبين من جهة علاقة الحب لله رب العالمين .

ولا يقال : ان كل امرىء بما كسب رهين ، فأين هذه الاستفادة . لانا نقول : هذا من باب الفضل ، وارتهان كل شخص بما كسبه من باب العدل ، وباب الفضل مفتوح على مصراعيه ، والا لما كان لدعاء الانبياء لامتهم ، ولا لدعاء اللاحقين لمن سبقهم بالايمان فائدة مع ان نفعه منصوص في القرآن الكريم . حتى ان الله سبحانه وتعالى لم يعذب الكافرين في الدنيا ببركة وجود الرسول وقربه لهم فقال (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)[23] .. فكيف بالمؤمنين المحبين .

وان التوسل بهم بالطريق المشروع جائز كما ذكرنا في أوجه التوسل السابقة ، ولا نظر الى كلام المنكر لذلك المخالف لما درج عليه اكثرية الامة المرحومة ، فان ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن . لكنه يجب على المؤمن الزائر رعاية أحكام الدين ، ويجب على ولاة الامر منع

---

(٢١) سورة الكهف الآية ٨٢

(٢٢) سورة الطور الآية ٢١

(٢٣) سورة الانفال الآية ٣٣

المحرمات ، كاختلاط النساء بالرجال ، ووضع منهج أمين سليم لتلك الزيارات لا سيما في الحضرات المقدسة ، كمشاهد الانبياء والمرسلين ، فان الشريعة حاكمة على الناس أجمعين ٠

القضاء والقدر

الايمان بالقضاء والقدر ، أي الايمان والاعتراف بأن كل ما وجد ، أو هو موجود الآن ، أو سيوجد ، فهو بقدرة الله تعالى ، وخلقه وايجاده وابداعه من العدم ، حسب ارادته وعلمه ، كالذرات المعدومة ، والارواح المكتومه التي أبدعها من الانتفاء الى الوجود ، وكالتركيب من الاجزاء الموجودة شيئا في صورة حادثة لم تكن قبل ٠ فالممكنات بأسرها مسخرة للامر الابداعي المرجح للوجود على العدم ، أو للعدم على الوجود ٠ فكما ان ايجاد المعدوم فعل فاعل قادر ، كذلك اعدام الموجود ٠ وذلك لانحصار الموجود في الواجب الذي لا يقبل العدم ، والممكن الذي يقبل الوجود والعدم والاول فاعل مطلق ، والثاني منفعل مطلق ، ولا مجال للممكن امام الواجب من التخلف عن مقتضى القدرة والارادة قيد شعرة ، ولذلك يقول سبحانه (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[1] ، فان هذه الجملة المدهشة كناية عن سرعة نفوذ القدرة في المقدورات واستحالة تخلفها عنها ، مع العلم انه يجوز توجيه الخطاب في جملة (كن) الى الامر الحاضر في علمه تعالى ، ويراد به ظهوره وخروجه من عالم العلم

---

(١) سورة يس الآية ٨٢

والصورة العلمية الصرفة الى عالم الاعيان الخارجية التي تكون مبدأ للآثار المقدرة ·

فالكائنات بأسرها من المحيط والمحاط ، وكل ما دخل في دائرة الوجود والتعين والانضباط أثر قدرة الفاعل المختار « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن »[٢] ·

وقد اتفقت الملل المهتدية بالنقل السليم والعقل المستقيم ، على ان كل ما سوى الله تعالى بخلقه ، ويدخل في ذلك السموات ونجومها ، والارض وتخومها ، والاجواء وغيومها ، والصغير والكبير والهواء والاثير ، بما في الارض من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان ، ذواتها ، واستعداداتها ، وأفعالها وصفاتها · من الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وسائر ما يدخل في نطاق التصوير ، سواء وقع في التعبير أم لم يقع فيه لضيق التقدير ·

ولكن في الحركات والسكنات والآثار النظاميةالتي تدخل في نطاق ارادة الانسان وطاقته ، كلام · والذي جاءت به الشريعة السماوية والعقول المهتدية ، هي ايضا بخلقه وايجاده تعالى ، لكن لها علاقة بالانسان تعبر عنها بالكسب

---

(٢) اورده الغزالي في الاحياء باب الدعاء عن ابي الدرداء ، وقال الحافظ العراقي أخرجه الطبراني وهو ضعيف · انظر الاحياء (١/٢٨٣ـ٢٨٤) · وذكره الخيالي في حاشيته على شرح العقائد النسفية للتفتازاني في مبحث الافعال · انظر شروح العقائد (١/١٤٨) مطبعة الكردستان العلمية ·

والاكتساب ، أو بالفعل ، أو بالعمل النظامي الارادي ٠ ويدل على ذلك دليل النقل ودليل العقل ٠ أما دليل النقل فهو كقوله تعالى (له مقاليد السموات والارض)[٣] ، وقوله (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)[٤] ، وقوله (والله خلقكم وما تعملون)[٥] ٠ الآيات تدل على انها بخلقه تعالى ٠

وقوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)[٦] وقوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[٧] وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[٨] وكقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[٩] ٠

وانه لو لم يكن للعباد كسب وعمل ارادي يدخل في نطاق علمه وارادته وتصرفاته ، ما كان يرسل الرسل اليهم، وما كان يشرع الاحكام عليهم ٠

وأما الدليل العقلي ، فهو ان الانسان يعلم علما قطعيا ان هذا الكون البديع ليس الا أثر فاعل كامل مبدع ، وان وجود نفسه وشخصه وصفاته أثر الفاعل ، وليس له دخل

---

(٣) سورة الزمر الآية ٦٣
(٤) سورة الزمر الآية ٦٢
(٥) سورة الصافات الآية ٩٦
(٦) سورة الاحقاف الآية ١٤
(٧) سورة البقرة الآية ٢٨٦
(٨) سورة الزلزلة الآية ٧
(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٦

فيه ، والا كان يختار لنفسه ما يعجبه ويعجب العالم من الصفات الكمالية والاحوال البهية والمناقب السنية ، كما يعلم علما قطعيا ان تلك الافعال التي يباشرها لا يعلم تفصيلها وكمية أجزائها وحركات العضلات في تحصيلها ، فهذه الملاحظات تدل على أن خالقها هو الله سبحانه ۰ كما ان عنده علما ضروريا بأنه ليس منقطع العلاقة عن أعماله وأفعاله ، فانه يفرق بالبديهة بين حركاته ورعشاته اذا جاءه الخوف المفزع او المرض المزعج ، وبين حركاته الاصطناعية في الرياضة والمشي والركض وراء ما يقصده ويرغب فيه ، أو عما يخافه ويهرب عنه ۰

وانه لو لم يكن للانسان علاقة واقعية ، لما سعى البشر منذ خلق في التطور من حال الى حال ومن سيء الى حسن ومن حسن الى أحسن ، ولما انشئت المدارس للتربية والتعليم ، وما كان ينتقل الانسان في بساط الارض طالبا حصول علم يهديه الى السعادة وينجيه من الشقاوة ، ولما جاء على أحد لوم وتوبيخ في أي عمل اجرامي ، وأي دناءة نفسية وقذارة شخصية ، وما ورد عليه مدح وثناء في أي عمل رشيد واختراع وابداع ومقاومة للمفاسد وهداية للرشاد ۰ وخلاصة كل تلك الادلة النقلية والعقلية هي ان الكائنات جميعها بخلق الله تعالى ، وان للانسان علاقة في أفعاله الايجابية والسلبية ، وان الانسان مخير وليس مسيرا ۰

وأما هذه العلاقة التي بها يكون الانسان مخيرا ، فهي انه لا شك ان الانسان ليس جامدا كالمعادن فقط ، ولا ناميا

كالنباتات فقط ، ولا حساسا كالحيوانات العجم فقط ، وانما هو كائن نام حساس ناطق ، أي انه عاقل له قوة ادراك الكليات العقلية والجزئيات الحسية ، وانه بعلمه يميز بين المنافع والمضار ، وبارادته يخصص ما يرى فيه المصلحة ويرجحه على ما لا يرى المصلحة فيه وينبعث من علمه وارادته نشاط ومد اعصاب الى تنجيز ما تعلق به العلم والارادة ويتصمم عزمه عليه ، فيخلق الله سبحانه وتعالى ما علمه واراده وصمم العزم عليه . وان شئت فقل ان الكسب هو تصميمك العزم وارادتك الجزئية المتوجهة نحو المراد التي هي شرط عادي لخلق الله تعالى له ، فالتصميم والارادة الجزئية منك والخلق لله تعالى ، والدليل على الاول قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وعلى الثاني قوله تعالى (الله خالق كل شيء) وقوله (والله خلقكم وما تعملون) .

فان قلت : هذا كلام مفهوم ولكن هناك ما يعارضه ، حيث دل الدليل على ان كل عمل لكل عامل سبق في علمه تعالى وتعلقت به ارادته ، وعلمه لا يتبدل وارادته لا تتحول ، فقد روى عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي شقي في بطن امه »[١٠] .

---

(١٠) أخرجه البزار بسند صحيح عن ابي هريرة ، كما قاله الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٩٧)

وما روى عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال « ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه ملكا ، ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار . وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة »(١١) .

وان هذا الحديث الشريف حديث عظيم الفوائد، وانكار عمرو بن عبيد من زهاد القدرية له من ترهاته وخرافاته(*) ، وقول الخطيب الحافظ هو والله الذي لا اله الا هو من كلام ابن

---

(١١) أخرجه البخاري في باب القدر . انظر القسطلاني (٣٤٦-٣٤٣/٩) . وكرره في كتاب التوحيد باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين

(*) راجع تاريخ بغداد للخطيب (١٦٦/١٢ - ١٨٨) ترى تفصيل ذلك .

مسعود ، تعقبوه ، أي ردوه عليه باثبات اسناده الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

قلنا : ان ما قلت أمر صحيح ومسلم ولكنه لا يخالف ولا يعارض ما قررنا ، لان علمه سبحانه وتعالى شامل أزلا وأبدا لكل عمل ولكل عامل، ولكل تصميم وتوجيه يحصل منه، وارادته تعالى تابعة لعلمه ، ولا ينكر أحد ذلك (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[(١٢)] وقد صح « ان ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن »[(*)] . لكن العلم كشف ازلا ما انت تعلمه باختيارك وارادتك ، وارادته تعلقت به حسب علمه بذلك ، فالعلم ليس مجبرا ، وانما هو مظهر ، والارادة منه تعالى تابعة لعلمه الكشاف ، وليس أمرا اخباريا يوجب عليك الامر بالقهر والاعتساف .

فمثل علمه سبحانه وتعالى كمثل مرآة واسعة أمام شخص ينظر فيها ويرى فيها صورة من يمر في مقابلها ، مع ان ذلك

---

(١٢) سورة الملك الآية ١٤

(*) سبق تخريجه في ص ٢٣٧

الشخص لم يأمر أحدا بالمرور ، ولم يجبر أحدا على العبور فالعلم ثابت وحاك ، والمعلوم محكى ، والعلم يظهر أنــــك ستفعل ذلك بارادتك وتوجهك .

وهذا أمر جلي واضح ، وكل من خرج عنه وقـــع في تناقض مع نفسه وحرج .

فانه كما سبق علمه بأعمالك وتصرفاتك ، سبق علمه بمرضك وتداويك ، أو عدم تداويك ، فهل تقول : لا فائدة في التداوي ، فانه سبق في العلم ماذا يكون ؟ وسبق علمه بمدة حياتك ومعيشة نفسك وعائلتك المرفهة او المضيقة ، فهل تقول : لا فائدة في السعي والجهد حول تحصيل النفقة ، فانه مضى في علمه حياتي ومعيشتي ومعيشة عائلتـــي ، ولا فائدة في الركض حول ذلك ؟ واذا قتل شخص شخصا ، فقد سبق في علمه ذلك ، فهل تقول انه سبق علمه بالجناية ومآلها فلا معنى للقصاص وأخذ الدية وغير ذلك ؟

نعم كل ذلك سبق في علمه ، وسبق في علمه مباشرتنـــا لاسباب المرادات على أختلاف انواعها ، أو عدم مباشرتنا لها . وكسلنا عن اداء الواجب من جانبنا ، ولا شبهة ان العلم في كل ذلك قد كشف ما يكون على حسب اختيارنا وارادتنا .

وعلى ذلك تمشي قاعدة (ان الصدقة تدفع البـــلاء وتزيد العمر)(*) أي ان الله قرر ان يكون عمر فلان أربعـــين

(*) وردت احاديث كثيرة تدل على ان الصدقة والدعاء لها تأثير مباشر في اسعاد الانسان وطول عمره منها ما رواه الطبراني عن رافع بـــن

سنة اذا كان عاق لوالديه وقاطعا لارحام من ينتمي اليه ،وان ينزل عليه بلايا اذا بخل بأداء واجب وجب عليه ، وان يكون عمره سبعين سنة اذا كان بارا بالوالدين ، وواصلا لارحام الاقربين ، وسخيا في اداء الواجب وصرف الخيرات على الفقراء والمعوزين ، ويعلم انك من أي الفريقين في اختيارك وتصرفاتك ، فاذا قال لك شخص لماذا تتصدق على المحتاجين أو لماذا تصل ارحامك فانك لا تصل الى خير وراء ذلك فلا

خديج « الصدقة تسد سبعين بابا من السوء » • وروى القضاعي عن ابي هريرة « الصدقة تمنع ميتة السوء » • وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن أنس « الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهونها الجذام والبرص » • وروى ابو نعيم في الحلية عن علي « الصدقة على وجهها ، واصطناع المعروف ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، تحول الشقاء سعادة ، وتزيد العمر ، وتقي مصارع (السوء) وروى الديلمي في مسند الفردوس عن انس « الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات » • انظر فيض القدير (٤/٢٣٦-٢٣٧) •

وقد روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول : اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها ، وان كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني واثبتني في أهل السعادة والمغفرة ، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، وكذلك روى عن ابن مسعود مثله • انظر تفسير القرطبي (٩/٣٣٠) وتفسير ابن كثير (٢/٥١٩) •

وروى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يزيد في العمر الا البر ، ولا يرد القدر الا الدعاء ، وان الرجل يحرم الرزق بالذنب يصيبه » السنن كتاب الفتن رقم الحديث ٤٠٢٢ • ورواه النسائي ايضا •

وهذه الاحاديث وان كان كلها ضعيفا من حيث السند ، لكن معناه صحيح لان هذا المعنى وارد في القرآن وفي أحاديث صحيحة منها ما رواه البخاري ومسلم عن أنس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » وفي حديث آخر « من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في أثره فليصل رحمه » أخرجه في كتاب الادب • انظر فتح الباري (١٠/٣٤٨) وأخرجه مسلم في

تضيع مالك • فجوابه انه جاهل بسنة الله في الكون فحقه ان لا يغسل بدنه حتى من الاوساخ ، لانه سبق في علمه كل ما يجري على جسده فيموت في لباد من الاقذار ويقذف في قعر البحار •

فنحن نمشي على نظام الارادة والاختيار ، والله هو الفاعل العليم القادر المختار ، والجهلة يظنون من أن القضاء والقدر لا يتغير ، وان لا فائدة في حركاتنا وسكناتنا • ولا يعلمون ان الفرار من الوباء قضاء ، وان الصيانه بالمعدات الحربية قضاء ، وان الرعاية في اداء الامانة قضاء ، فواجنا

كتاب الادب انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/٤٥٠) •

وما رواه الحاكم في المستدرك ، والترمذي عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر » • انظر سنن الترمذي باب القدر رقم الحديث ٢٢٢٥ •

ويؤيد معنى الاحاديث قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) [الرعد-٣٩] وقوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) [فاطر-١١] وعلى ضوء ما ذكرنا لك تجد ان كلام الاستاذ هنا في غاية الوضوح من حيث الالفاظ والمعاني ، وفي منتهى القوة من حيث الدليل والبرهان ، وما جعله قاعدة فهي بحق قاعدة شرعية لانها مؤسسة على الكتاب والسنة ، غير ان هذه القاعدة ليست مجمعا عليها ، فقد رفض بعض العلماء تلك القاعدة ويؤولون الآيات والاحاديث ، بأن المراد بزيادة العمر الثناء الحسن والذكر الجميل بعد الموت حيث ورد في المثل (العقل أحد الجمالين والذكر الحسن أحد العمرين) أو التغيير يكون بالنسبة الى ما اثبتته الملائكة في صحيفتهم ، فقد تثبت الملائكة الاجل فيها مطلقا ، لكن في علم الله مقيد ، ثم يؤل الاجل الى موجب علم الله ، وذلك لقوله تعالى (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [يونس - ٤٩] •

لانه يعرف من الازل ان هذا الانسان يعمل الاحسان والخير ، او يعمل الشر ، فعلمه تعالى يقين •

ان نمشي على طريقة تنكشف من سلوكها قضاء يعود علينـــا بالمنفعة والسعادة في الدارين ٠

ولم يكن في تأريخ الرسل رسول أفضل من سيد الرسل محمد صلى الله عليه ، وأوثق بربه تعالى ، واقوى توكـلا عليه ، مع انه يمر الايام والليالي ، وهو مستمر في الجهاد والكفاح والارشاد والاصلاح ، واعداد العدد والســلاح ، بالاضافة الى ما يقوم به من صيامه بالنهار وقيامه بالليل ، ومن أذكاره وأوراده وقراءته للقران الكريم ، واستعاذتـه بالله من الشيطان الرجيم ، وكل ذلك على اي جهة من الجهات، كانت ولن تزال معلومة لله سبحانه وتعالى ٠ والموفق يدري انه مكلف ويدري انه لولا طاقة منه ما كلفه الله فيعمـل ويستمر على أمر الله ، حتى يفوز بسعادة الدارين ٠ (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا)[*] ٠

الأجـــل

ومن نور الاسلام الايمان بأن الاجل واحد ، فاذا مـات رضيع بلدغ عقرب ، او مات شيخ هرم في فراشه ، فقد مات بأجله ٠ واذا قتل رجل في ساحة الحرب ، أو برمي ظالم ، أو مات شاب في جو ملائم ، فقد مات بأجله ،

ذلك لان الاجل بمعنى آخر زمان الحياة : عبارة عن آن علم الله تعالى انتهاء حياة الشخص فيه ، سواء تعلق علمـه

(*) سورة الكهف الآية ١٠

تعالى بأن ذلك الانتهاء يكون شيئا اعتياديا ، أو يكون بعارض غير اعتيادي ٠

وأما قول الفلاسفة بأن الاجل أجلان : أجل طبيعي ، وهو عبارة عن وقف انطفاء الحرارة الغريزية للحي ، بسبب انتهاء الطاقات ، وقابلية الحياة في ذلك الشخص ، وأجل انخرامي ، وهو عبارة عن انتهاء حياته ، بسبب عارض ٠ فهو شيء غير مقبول ، لانا لا ننكر أن لاجزاء البدن طاقات ، ولا تنكر المعارضة للبلوى والآفات ، ولكنا نقول : ان علم الله سبق بانتهائه في ذلك الحين ، فلا يبقى للتخيلات والفرضية مجال ، فهو مثل أن يقول قائل : لو درس فلان في مدرسة عالية الى ان يتجاوز المراحل كلها ، لصار دكتورا كبيرا ، ولو امتنع عن الدراسة لكان أميا جاهلا ، ولكن تحقق الامر الثاني في الواقع فواقعه أنه أمي لا غير ٠

ومثل قول الفلاسفة ، قول الكعبي القائل : بتعدد الاجل على وزان ما ذكراناه عن الفلاسفة ٠ وأما قول جمهور المعتزلة : أن الاجل واحد ، ولكن قد يقطع عنه الاجل ولا يموت بأجله ، بل بقتل قاتل ، فلا معنى له قطعا ، لان الله اذا قرر ان يكون أجله بعد انقضاء مائة سنة ، فكيف يمكن لاحد ان يمنع ما قدره الله لحياته ؟ وانما قرر ان ينتهي بقتل القاتل وهذا الرأي ايضا مأخوذ من نظرية الفلاسفة ، وجواز امتداد الحياة لو لم يمنع عنها مانع ٠ ونحن نقول بهذا الجواز ولكنه لا يفيد ، لانه لما علم الله تعالى بطلان حياته في ذلك الوقت بقتل القاتل فلا يبقى معنى لاجل آخر ، ولقطع ذلك الاجل عليه ٠

فان قلت : فاذا كان الاجل هـو الوقت الذي علم الله بطلان الحياة فيه ، ولا يقبل التغير مطلقا ، فما معنى خوفنا من الحرق ، والغرق ، والحرب ، والضرب ، وغير ذلك ؟ قلنا : وجه الخوف هو انا لا نعلم الغيب ، ولا نعلم بكيفية تعلق علمه بحياتنا ، ولعله تعلق بانتهاء الحياة بسبب النار ، او بسبب الوقوع في البحر ، أو بسيف محارب ، أو بضربة ضارب ، وكل ذلك مجهول لنا ، ومن ناحية أخرى جرت السنة الالهية ، بان النار محرقة ، وان الماء مغرق ، وان الضرب مؤلم ، والسيف معدم ، فلنا مجال للخوف منها والابتعاد عنها بقدر الامكان حفظا للنظام ، مع ان الاجل محتوم والقضاء مبرم معلوم .

الله هو الهادي

ومن نور الاسلام الايمان بان الله سبحانه وتعالى هو الهادي وهو المضل ، اي انه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

ونقصد بالهداية والضلال هنا الوصول الى المطلوب الخير ، أعني سعادة الدارين وضد ذلك . ومما لا شك فيه أن الاهتداء الناتج عن الهداية ، والضلال الناتج عن الاضلال ، وصفان للعبد ، وان لكل منهما أسبابا كسائر الممكنات المحسوسة والمعقولة .

فمن اسباب الاول سماع الحق من المحقين ، والوعظ من الواعظين ، والانقياد لارشاد المرشدين ، والتفكر في آثار

قدرة رب العالمين ، وتأديب النفس ورياضتها ، وكبح جماحها ، وردها عن غيها وشهواتها . وأهم أسبابه صحبة أهل التقوى واليقين ، ومجالسة العارفين ، وتوقيرهم ، وطلب الدعاء منهم والتأدب بآدابهم ، ومطالعة كتبهم والسلوك على سبيل سيرتهم . كما أن من أسباب الضلال اضداد ذلك .

ومما لا شك فيه ان الله تعالى خلق للانسان العقل والحواس التي يطلع بها على الحقائق والدقائق ، فمن استخدمها في العلم بالاشياء كما هي عليه ، والانتفاع بها على الوجه الصواب ، وأصغى لمن ألقى اليه الدليل الصحيح ، واستمع القول واتبع أحسنه ، فهو الموفق السعيد في الدارين ، ومن استخدمها على خلاف ذلك فهو المخذول البعيد فيهما ، فالمخذول يجب ان يلوم نفسه ، لانه هو الذي ضيع استعداده وحواسه وعقله وادراكه حتى خلق الله له الضلال (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)[١] .

والموفق يجب ان يحمد ربه على ان آتاه فرصة استخدامها في الخيرات، ويقول(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله)[٢] .

نعم ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يجعل الناس على قلب رجل واحد أي يضل الجميع ، أو يهدي الجميع ولو الكفار والاشرار (ولو شاء لهداكم أجمعين)[٣] لكنه تعالى

---

(١) سورة يونس الآية ٤٤
(٢) سورة الاعراف الآية ٤٣
(٣) سورة النحل الآية ٩

مختار في أفعاله ، ولا عتاب عليه بعد ما أفاض الاستعداد والقابلية للخير والشر في كل نفس منفوسة ، فاذا زاد على ذلك بالفضل والكرم ، ووفق هذا للتوجه الى الخير فهو فضله ورحمته ، وان لم ينظر الى هذا ولم يحسن اليه فذلك حكمه وحكمته وهو في كل فعال محمود ٠

ومما يجب الانتباه له ان استحقاق العبد للجزاء ، وفوزه بالدرجات نتيجة لمصابرته وجهده في أداء الواجبات وكف النفس عن المحرمات ، والا فلو منعه الله سبحانه وتعالى عن الحرام ، ولم يجعله في محل يتناول حراما لم يبق له مجال التخلق بالعبودية ، لانه لا يمدح الاعمى بانه لا ينظر الى الاجانب ، والاصم بانه لا يستمع اللهويات ، وانما المدح للبصير السميع الذي يؤدى الواجب مخلصا وخالصا لوجهه الكريم ، ويترك الحرام خوفا من عقابه العظيم أو اجلالا لعظمته وقدره الجسيم ، وعليه قال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)[٤] ٠ نسأله الفوز من رحمته برضاه يوم لقائه انه أرحم الراحمين ٠

---

(٤) سورة النازعات الآية ٤٠

ومن نور الاسلام الايمان بأن الله سبحانه وتعالى مختار في كل ما خلقه ويخلقه ، وخلقه للاشياء مقرون بالعلم الكامل والارادة والقدرة والحكمة ، فلا يجب عنه ولا يجب عليه شيء ، والكائنات تحت ملكه وسيطرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، اذا أثاب على الاعمال الصالحة أثاب بفضله ، واذا عاقب عاقب بعدله ۰ يغفر لمن يشاء ما شاء سوى الكفر ، فلا يغفره ، لانه أخبر بانه (لا يغفر ان يشرك به)[1] ۰ وذلك الغفران ليس مشروطا بالتوبة ، بل له الغفران لذنوب المذنبين ما عدا الكفر ، تاب أم لم يتب ۰ وغفرانه للتائب توبة صحيحة لوعده به ، لا للزومه عليه ۰ ولا يستحق أحد الجنة ونعيمها الابدي بعمله فانه لا يساوي ذلك ، وانما هو فضل واحسان وكرم ورحمة واسعة ۰

ومع ان كل شيء بخلقه وارادته ، لكنه لا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يستحبها ، فان الارادة غير الرضا والمحبة ، ألا ترى انك تريد اجابة دعوة بعض الداعين الى بعض الامور ، وتستجيب الدعوة مع انك كاره له غير راض وغير محب ۰ فقد تريد شيئا وتحبه كأكل طعام لذيذ نافع ، وقد تريد ولا تحب كما في أكل الشيء اللذيذ الذي أشار الطبيب الى امتناعك عن أكله ، وقد تحب شيئا ولا تريده كما تحب ان تسافر للحج ولا تريد السفر بالفعل لبعض الموانع ۰

---

(١) سورة النساء الآية ٤٨

رؤية الله يوم القيامة

ومن نور الاسلام الايمان بان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بعيون الرأس رؤية واقعية عينية، للدليل عليها من الكتاب والسنة ٠ أما الكتاب فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)[٢] ، وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام «انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[٣] ٠

واما قوله تعالى خطابا لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (لن تراني)[٤] فهو لنفي وقوع الرؤية في الدنيا ، لا لنفي وقوعها في الآخرة ، وذلك لان القوى الدنيوية لا طاقة لها في ازاء تلك الرؤية ، وقوله تعالى (لا تدركه الابصار)[٥] أي لا تدركه في الدنيا ، أو لا تدركه ادراكا وافيا بالمرئي ، أو لا تدركه أبصار الكفار ، بدليل قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)[٦] ٠ وأما الاعتراض بأن الرؤية تحتاج الى بعض شرائط لا تتحقق في رؤية الله تعالى ، فمدفوع بانه من باب قياس الغائب على الشاهد ، وذلك قياس فاسد ، فان الله سبحانه حي ، والحياة فينا تحتاج عادة الى بنية ومزاج ، وليست حياته تعالى كذلك ، وهو تعالى عليم ، والعلم فينا يحتاج الى القلب والدماغ

---

(٢) سورة القيامة الآية ٢٣
(٣) سبق تخريجه بالتفصيل في ص٢٨
(٤) سورة الاعراف الآية ١٤٣
(٥) سورة ابراهيم الآية ١٠٣
(٦) سورة المطففين الآية ١٥

وأشياء أخرى ، وليس علمه تعالى كذلك ، وهو تعالى متكلم والكلام فينا يحتاج الى بعض قوى نفسانية ، والى بعض آلات حسية ، والله تعالى برىء عن ذلك كله • فالواجب هو الايمان بما جاء الكتاب والسنة به ، وتفويض حقيقته وكيفيته الى الله العليم الخبير •

البرزخ

ومن نور الاسلام الايمان بالنعمة والنقمة البرزخيان ، أي التصديق بأن للميت من حين موته الى بعثه للحشر عذابا ، أو راحة ونعمة من الله سبحانه وتعالى بالنسبة اليه ، فالمكلف بعد الموت سواء كان حريقا او غريقا ، أو مقبورا ، فهو من آن موته الى وقت البعث والقيامة الموعودة ، اما في راحة ونعمة ، أو في عذاب ونقمة ،

والآيات والاحاديث الصحاح الدالات على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين له أكثر من ان تحصى ، بحيث يبلغ القدر المشترك من الاحاديث حد التواتر ، وان كان كل واحد منها من أخبار الآحاد ، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف من أهل البدع والاهواء •

ومن ادلة الكتاب على ذلك قوله تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)[1] فان ظاهر الفاء في قوله تعالى (فادخلوا) للتعقيب بدون مهلة ، فيكون معناه الادخال في النار البرزخي فورا بعد الاغراق •

---

(١) سورة نوح الآية ٢٥

ومنها قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)[٢] ٠

فان ظاهر قوله تعالى (النار يعرضون عليها) هو العرض في البرزخ بقرينة قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا) الآية ٠

ومنها قوله تعالى في شأن حبيب النجار (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)[٣] فان ظاهر ذلك تبشيره بالجنة والمغفرة بعد وفاته مباشرة ، والتبشير من جملة النعمة البرزخية ٠

ومنها قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[٤] قال القرطبي[٥] في تفسيره : نزلت في عذاب القبر يقال : من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد ، فذلك قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد جاء هكذا موقوفا في بعض طرق مسلم عن البراء انه قوله (أي قول البراء) والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وسنن النسائي وأبي داود وابن

---

(٢) سورة غافر الآية ٤٦

(٣) سورة يس الآية ٢٦

(٤) سورة ابراهيم الآية ٢٧

(٥) انظر تفسير القرطبي (٩/٣٦٣-٣٦٤)

ماجة(*) وغيرهم عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر البخاري حدثنا جعفر بن عمر قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا أقعد المؤمن في قبره أتاه آت ثم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذكر قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »(٦) .

وفي تفسير القرطبي قيل ان سبب نزول هذه الآية ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مسئلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر يا رسول الله أيكون معي عقلي قال «نعم» قال كفيت اذاً فانزل الله عز وجل هذه الآية(٧) .

ومن أدلة السنة ما رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ــ يعني عند الناس ــ زاد البخاري في رواية ، بلى انه كبير ــ يعني عند الله ــ أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول » .

(*) أخرجه مسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢٢/١٠) . ورواه النسائي . انظر السنن كتاب الجنائز . (١٠٢-١٠١/٤) . ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد . انظر السنن رقم الحديث ٤٢٦٩ . ورواه ابو داود في كتاب السنة . انظر السنن رقم الحديث ٤٧٥٠ .

(٦) انظر القسطلاني باب ما جاء في عذاب القبر (٤٦١/٢)

(٧) انظر تفسير القرطبي (٣٦٣/٩)

وفي رواية « لا يستبرىء » بدل « لا يستتر »[8] ومعنى الرواية الاولى كشف العورة للناس ومعنى الرواية الثانية عدم اهتمامه بانقطاع قطرات بوله وقيامه من محله وتوسخ بدنه أو ثوبه ·

وما روى انه صلى الله عليه وسلم يقول من جملة ادعيته المأثورة « اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من عذاب النار واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال »[9] وجاءت الاستعاذة من عذاب القبر في روايات كثيرة ·

ومنها ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فزع من دفن ميت وقف عليه وقال « استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يُسأل »[10] ·

ومنها ما رواه مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة »[11] ·

---

(٨) أخرجه البخاري في باب عذاب القبر · انظر القسطلاني (٤٦٧/٢)

(٩) اخرجه البخاري في باب عذاب القبر · انظر القسطلاني (٤٦٦/٢) وابو داود في كتاب الصلاة من سننه (٣٥٣/١)

(١٠) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز من سننه رقم الحديث ٣٢٢١ دار احياء السنة ·

(١١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة · انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣١٨/١٠) ، واخرجه البخاري في باب الميت يعرض عليه · انظر القسطلاني (٤٦٧/٢)

ومنها ما رواه مسلم ايضا عن ابي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال قال ابو سعيد ولم اشهده من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم « من يعرف أصحاب هذه الاقبر » فقال رجل انا قال « فمتى مات هؤلاء » قالوا ماتوا في الاشراك فقال « ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تداقنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه » ثم أقبل علينا بوجهه فقال « تعوذوا بالله من عذاب النار » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، قال « تعوذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذوا بالله من عذاب القبر ، قال « تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » قالوا ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال « تعوذوا بالله من فتنة الدجال » قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال[١٢] .

ومنها ما رواه مسلم ايضا عن أنس بن مالك قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل قال : فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال فيقال له :

---

(١٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣٢٠)

خضرا الى يوم يبعثون »[١٣] . ومنها ما رواه مسلم ايضا عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الميت اذا وضع في قبره انه ليسمع خفق نعالهم اذا انصرفوا »[١٤] وفي مسلم ايضا عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال « يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعوا وانى يجيبوا وقد جيفوا ؟ قال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا » ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر[١٥] .

ومنها ما رواه البيهقي وابن ابي الدنيا عن ابن عمر مرفوعا « القبر حفرة من حفر جهنم او روضة من رياض الجنة »[١٦] . ومنها ما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه

---

(١٣) أخرجه مسلم في باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢١/١٠)،واخرج البخاري بعضه في عذاب القبر القسطلاني (٤٦٤/٢)

(١٤) أخرجه مسلم في باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢٢/١٠)

(١٥) سبق تخريجه في ص ٢٣١ .

(١٦) وأخرجه الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري رقم الحديث ٢٥٧٨ طبعة القاهرة ، واخرجه السيوطي في تخريج الاحاديث والآثار الواقعة في شرح العقائد النسفية . مخطوط . وتجده في فيض القدير (٤٤٥/٥)

وسلم « ما من مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر » (١٧) ٠

والصحيح الذي عليه اكثر الائمة ان الثواب والعذاب على مجموع الروح والجسد ، لكن الجسد البرزخي ، لا هذا الجسد المادي المرئي المشهود ، لانه ربما يحرق الانسان فيصير بدنه هباء منبثا ، أو يتفتت في القبر ، ومعنى الجسد البرزخي انه يخلق الله تعالى لروح المتنعم او المعذب جسدا لطيفا كجسد الملائكة التي لا فرق فيه بين المحل الكبير والصغير ، ولا يمنعه مانع ، من قبوله التنعم والتعذب ، وتصور ذلك سهل لمن له المام بالوحي والرسالة ٠ ومن تأمل عجائب الملك والملكوت ، وغرائب صنعه تعالى ، لم يستنكف عن قبول أمثال هذه الاشياء ، فان للنفس نشآت ، وهي في كل نشأة منها تشاهد صورا تقتضيها تلك النشأة ، فكما انا نشاهد في المنام صورا لا نشاهدها في اليقظة ، كذلك نشاهد في حال انخلاعنا عن البدن أموراً لم نكن نشاهدها في الحياة ، والى ذلك يشير قول من قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ٠

فانا نصدق بان القبر يوسع على الميت من أهل السعادة بمقدار ما يعلمه الله تعالى ، وانه يبقى في النعيم الى ما شاء الله ٠ وكذلك نصدق بأن الحية مثلا موجودة تلدغ الميت ، ولكنا لا نشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الامور الملكوتية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت

---

(١٧) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وحسنه ٠ انظر فيض القدير للمناوي (٥/٤٤٩)

وليس كلامنا سفسطة وخداعا عاديا ، وانما هو مبني على العلم والحقيقة الواقعية ، ألا ترون ان الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرائيل على الرسول صلى الله عليه وسلم وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بانه صلى الله عليه وسلم يشاهده ، ويجب ان نؤمن كما آمنوا بذلك ، ويؤمنون بنزول الملائكة في واقعة بدر وحنين ، وما كانوا يشاهدونها الى غير ذلك من الامور الغيبية البرزخية • وكذا نؤمن بما روينا من حياة الانبياء في قبورهم ، وليس ذلك مما يدرك بالعيون الجسدية ، ومن يأبى ذلك فهل يأبى نزول الوحي على الانبياء والمرسلين ؟ وهل يأبى نجاة ابراهيم من نار نمرود ، او ولادة عيسى بلا أب ، أو تكلمه في المهد ، أو صنعه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا باذن الله ، أو ابرائه الاكمه والابرص باذنه ، أو احيائه الموتى ؟ ومن يستغرب ذلك فليعلم أنه على نقص من الادراك،فان العالم فيه نواميس كونية مادية علمية توصل اليها بالعلوم المادية ، وفيه نواميس علمية معنوية غيبية لا يوصل اليها الا بعلم من لدن حكيم عليم خبير يختص به من يشاء • هدانا الله واياكم الى الايمان الكامل بالغيب ، حتى ندخل في حظيرة القدس بتوفيقه انه هو الموفق وهو المعين •

الايمان بالآخرة

ومن نور الاسلام الايمان باليوم الآخر ، أي الايمـــان والتصديق بفناء هذا العالم المحسوس بسمائه ونجومها ، وبرق الشمس والقمر ، وبزوال هذا الوضع المشاهد من الجبـــال والاوهاد وغيرها ، وحدوث عالم آخر وبعث الموتى من أماكنهم وسوقهم الى صعيد واحد فيسألون ويحاسبون ، ويحكم بينهم بالعدل ، فان كانوا من الكفار فمصيرهم الى النار خالدين ، وان كانوا من المؤمنين العصاة ، فاما يعفى عنهم ويغفر لهم ، واما يكون مصيرهم الى النار بقدر ما عليهم من العقاب ، ثم يخرجون منها الى الجنة خالدين ، وان كانوا من المؤمنـــين الابرياء ، فأمرهم بدخول الجنة بكرامة وسلامة وخلود أبد الآبدين .

ويعبر عن فناء هذا العالم بالساعة ، وقبل البحث عنهـا ينبغي البحث عن علاماتها ، فان وقت حلولها غير محدود ، قال تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرسيها فيم أنت من ذكريها الى ربك منتهاها)[١] ، وقال (ان الساعة آتية اكاد اخفيهـا لتجزى كل نفس بما تسعى)[٢] فالساعة حق ووقتها غيب ، وحلولها أقرب من كل قريب ، قال تعالى (وما أمر الساعـــة الا كلمح البصر أو هو أقرب)[٣] .

(١) سورة النازعات الآية ٤٢
(٢) سورة طـه الآية ١٥
(٣) سورة النحل الآية ٧٧

وعلائم الساعة كثيرة مذكورة في كتب مختصة بالموضوع ، ونقتصر منها على ما يكتفى به هنا فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة . وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج (وهو القتل) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا .. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها » (رواه الاربعة)[٤] .

وظاهر فقرات علائم هذا الحديث الشريف الى قوله صلى الله عليه وسلم وحتى تطلع الشمس تنطبق على ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى دور تابعي التابعين ولا بأس فان بعثه صلى الله عليه وسلم من علائم الساعة ايضا

---

(٤) البخاري كتاب الفتن . انظر القسطلاني (١٠/٢٠٤-٢٠٨) ومسلم في كتاب الفتن مختصرا شرح النووي في هامش القسطلاني(١٠/٣٣٩)

فيقول « بعثت انا والساعة كهاتين » [٥] مشيرا الى اصبعين من اصابعه الشريفة ٠

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم وهو يليط حوضه الخ ، انه يصلح حوضه بالطين ليسقي منه مواشيه فتقوم الساعة قبل سقيهم ٠

وعن حذيفة الغفاري رضى الله عنه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة ٠ قال « انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم »[٦] رواه مسلم والترمذي وابو داود ٠٠

وفي هذا الحديث ذكر علائم مهمة تقترب من حلول الساعة كما هو الظاهر من مدلوله ٠٠٠

وعن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا مني أو من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ،

---

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ٠ انظر القسطلاني (٩/٢٩٢) ٠ ومسلم في كتاب الفتن ٠ انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٤١٩)

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ٠ انظر النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣٥٣-٣٥٤) ٠ ورواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن رقم (٤٠٤١) و (٤٠٥٥) وابو داود ٠ انظر السنن كتاب الملاحم (٢/٤٤٩)

وسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا »[٧] رواه ابو داود والترمذي بسند صحيح ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري تواترت الاخبار بأن المهدي من هذه الامة ، وان عيسى عليه السلام سينزل ويصلي خلفه ، وقال الحافظ أيضا الصحيح ان عيسى رفع الى السماء وهو حي ، وقال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الاحاديث في المهدي والدجال والمسيح ، وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام تسعة وعشرون حديثا ثم سردها ، وقال بعد ذلك وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع ، يعني ان أفراد الاحاديث وان لم تكن متواترة فقد بلغ المعنى المشترك حد التواتر ، وكفى به شاهدا على المطلوب ٠

ومن علاماتها ما ذكره صلى الله عليه وسلم في جواب السائل عنها بقوله الكريم « ان تلد الأمة ربتها (اي سيدتها) وفي رواية ربها (اي سيدها) وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » الحديث [٨] ٠

والعلماء فسروا الفقرتين بالمعنى المشهور ، واعتقد ان معنى الفقرة الاولى كثرة عقوق البنين والبنات لامهاتهم لقلة تأثير التربية وضعف الحياء ووفور الانحراف في البيئة

---

(٧) ابو داود ٠ انظر السنن (٢/٤٢١-٤٢٢)

(٨) الحديث بطوله أخرجه مسلم في كتاب الايمان (١/٣٦) ٠ والنووي في الاربعين ، وابن رجب في الاربعين ورواه احمد في المسند (٤/٣٣٣)

والمجتمع ، وتأثر الناس بتقليد الاجانب ، فتختلف احوال النسل مع الاصل ، فيتجرد الجيل عن الاخلاق الفاضلة والنبل والشهامة ، فلا يراعون حقوق الاباء والامهات وصلة الارحام ٠

ومعنى الفقرة الثانية تطور العالم الى حيث تأخذ البلاد زخرفها ، وتتزين بما يعجب الناظر ، فاذا تزخرفت وازينت ترك الناس البوادي والقرى والارياف ودخلوا في البلاد ، وانخرطوا في سلك المعتزين بالدنيا والمغترين بمتاعها ، وينخرطون في أنظمة اهلها في مقابل مال وجاه ينالونهما ، فيبنون دورا راسخة ويشيدون قصورا شامخة ، ويتنافسون بينهم في الامور الحيوية كما نشاهد في أهل زماننا هذا ٠

ومن علامات الساعة توسيد الامر الى غير أهله ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث القوم جاء اعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث فقال بعضهم سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة ؟ فقال هذا يا رسول الله ، فقال : «اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف اضاعتها ؟ قال « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة »(٩) ٠

وفي فيض القدير ، وانما دل على دنو الساعة لافضائه الى اختلال الامر والنهي ، ووهن الدين ، وضعف الاسلام ، وغلبة الجهل ، ورفع العلم ، وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته ٠

---

(٩) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في الرقاق باب رفع الامانة ٠ انظر القسطلاني (٩/٢٨٤)

والعامل الاقوى في توسيد الامر من الحكم والقضاء والافتاء والتدريس والامامة والخطابة ونحوها الى غير أهله ، قلة العلم من المولين والمتولين ، فقد روى عن ابن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »(١٠) ، قال احمد : قال ذلك في حجة الوداع ، وفي الباب عن أبي امامة ايضا وزاد فقال أعرابي : يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا فرفع رأسه وهو مغضب فقال :«هذه اليهود والنصارى بين اظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءهم به انبياؤهم»(١١) فأفاد ان بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يعني من ليس بعالم شيئا ٠ قال ابن حجر قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من روايته اكثر من سبعين نفسا عنه ٠٠٠

---

(١٠) أخرجه مسلم في كتاب العلم ٠ أنظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠٦/١٠) ، وأخرجه البخاري في كتاب العلم بلفظ « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » الحديث ، انظر القسطلاني (١٩٦/١)

(١١) رواه الامام احمد في المسند (٢٦٦/٥) ٠ وذكره ابن حجر في الفتح باختصار ٠ انظر الفتح (١٤٠/١) ٠ ورواه ابن ماجه نحوه عن زياد بن لبيد كتاب الفتن السنن رقم ٤٠٤٨

الزلزلة (والنفخة الاولى)

وأما قيام الساعة ووقوعها بالفعل ، فقد جاءت منصوصة في الكتاب في آيـــات بينات كثيرة ، وهي آتيـــة سريعـــة الحصول قال تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب)[1] . وقـــد روينـــا حديثـــا شريفـــا ينص على ان مجيأها مفاجأة عالمية تبغت الناس وهم في معاملاتهم ومكاسبهم الحيوية ، فتبغتهم ولا تبقى لهم مفرا وسعة .

ومبدؤ زلزلة الارض اهتزازها وخرابها ، قال تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيـــم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كـــل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)[2] .

وقال سبحانه وتعالى (اذا زلـــزلت الارض زلزالهـــا . وأخرجت الارض أثقالها . وقال الانسان مالها . يومئـــذ تحدّث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[3] .

---

(١) سورة النحل الآية ٧٧

(٢) سورة الحج الآية ١ـ٢

(٣) سورة الزلزلة الآية ١ـ٨

وعند اهتزاز الارض وزلزالها تتلاشى الجبال ، وتستوي الارض ، ولا تبقى عليها الاوهاد والتلول ، قال تعالى (يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا)[٤] .

وقال تعالى (اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا)[٥] وقال تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش)[٦] . وأما بقاء هذه الارض التي نحن عليها بالذات فمن المفسرين من قال : بأنها تبقى وتمتد ، وتحصل لها سعة لا يعلمها الا الله ، وذلك لقوله تعالى (واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت)[٧] . ومنهم من يقول : بانها تفنى ويخلق الله بدلها أرضا أخرى صافية نقية بيضاء لقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض)[٨] الآية فان ظاهرها التبدل ذاتا وصفة .

وأما السموات والنجوم والشمس والقمر فالآيات الكريمة تنطق بفنائها لقوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)[٩] .

---

(٤) سورة طه الآية ١٠٥

(٥) سورة الواقعة الآية ٥

(٦) سورة القارعة الآية ٥

(٧) سورة الانشقاق الآية ٣

(٨) سورة ابراهيم الآية ٤٨

(٩) سورة الانبياء الآية ١٠٤

وقال تعالى (اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت)[10] وقال (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت)[11] وقال (اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت)[12] وقال تعالى (فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر)[13] وقال تعالى (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)[14] وقالوا في تفسيرها وصارت السماء في حمرة الورد وجريان الدهن ، أي تذوب مع الانشقاق ٠ الى غيرها من الآيات الواضحات التي تدل على فناء السموات بما فيها ، وانمحاء : الشمس ، والقمر ، والنجوم ٠

---

(١٠) سورة الكوثر الآية ١

(١١) سورة الانفطار الآية ١

(١٢) سورة الانشقاق الآية ١

(١٣) سورة القيامة الآية ٩

(١٤) سورة الرحمن الآية ٣٧

(النفخة الثانية)

وهذه الحوادث كلها أثر النفخة الاولى من الملك الموكل بها ، وهو اسرافيل عليه السلام ، وبها يموت من هو حي في البر والبحر والجو ، الى النفخة الثانية التي تحيا بها كل مكلف قال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)[1] وبين النفختين اربعون سنة أي مدتها . واحياء الموتى منصوص في القرآن الكريم في عدة آيات بينات ، واعتقاده من اهم اركان الايمان .

واما ان الحياة تتعلق بأجزاء الميت بعينها ، أو بمثلها فلا بأس فيها ، فقد جاء في آيات ان الميت تحيى على حبة عجب الذنب من أواخر فقرات الظهر ، ولا تبلى تلك الحبة أينما كانت ولا تتأثر بأي مؤثر ، وجميع ذرات مجموعة جسد الانسان عند موته باق في العالم سواء كانت ترابا أو ماء أو هواء ، وهو على جمعها واعادة صورتها السابقة اذا شاء قدير .

وقال سبحانه وتعالى (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي انشأها اول

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٨

مرة وهو بكل خلق عليم)[٢] الى ان قال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) • وقال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)[٣] •

وقال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير)[٤] •

وبعد اعادة الحياة الى المكلفين وخروجهم من أماكنهم يساقون الى المحشر ، قال تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)[٥] وقد نص القرآن على أن كل أمة تدعى بسيدها ومقتداها ، سواء كان قائدا لها الى الخير والسعادة ، أو الى الشر والشقاوة قال تعالى (يوم ندعو كل أناس بأمامهم)[٦] •

---

(٢) سورة يس الآية ٧٧ الى آخر السورة

(٣) سورة الروم الآية ٢٧

(٤) سورة لقمان الآية ٢٨

(٥) سورة ق الآية ١٩

(٦) سورة الاسراء الآية ٧١

فيكون أول من تنشق عنه الارض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فتتبعه أمته على اختلاف طبقاتهم بحسب رفعة الدرجات في الدين ، ولا شبهة في انه تتبع كل جماعة أمامهـــا أيضا في الدين ، فان سيدنا محمدأ صلى الله عليه وسلم أمام الائمـة وسيد الانام وعند ذلك أشرقت الارض بنور مخلوق بأمر الله سبحانه اذ لا شمس هناك ولا قمر قال تعالى (ثم نفخ فيـه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالبنين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهــم لا يظلمون ووفيت كل نفــس ما عملت وهــو اعلم بمـــا يفعلون)[(٧)] .

---

(٧) سورة الزمر الآية ٦٨

قال سبحانه وتعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاحداث الى ربهم ينسلون • قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا • هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)(١) •

فالناس يحشرون ويكونون على ما كانوا عليه من الاحوال في الدنيا ، عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «يبعث كل عبد على ما مات عليه»(٢) الحديث أي فمن مات على خير بعث على حال سارة حسنة ، ومن مات على شر بعث بحال شنيعة والعياذ بالله تعالى منها •

والناس في مبدء البعث والحشر تخيم عليهم الهيبة والمخافة والفزع الا من أمنه الله بلطفه ورحمته ، وجعله في ظل كرمه ورأفته ، وحشره مع من احبه من صاحب شريعته أو من كبار أمته ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا »(٣) رواه الشيخان •

---

(١) سورة يس الآية ٥١ـ٥٢

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة • انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣٢٨)

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق • انظر القسطلاني (٩/٣٠٣) • ومسلم في كتاب الجنة • انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣١٢)

وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انكم محشورون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم »[٤] رواه الترمذي ·

وهذه الاحوال المذكورة في هذه الروايات الصحيحة بعض من أحوال المبعوثين المحشورين ، فالاحوال تختلف بالحسن والاحسن والسيء والاسوء ، الى احوال كثيرة لا يعلمها الا الله سبحانه تعالى ·

وأهل البعث والحشر بالاجمال اصناف ثلاثة : السابقون، واصحاب الميمنة ، واصحاب المشئمة · فالسابقون السابقون أولئك هم المقربون في جنات النعيم ، واصحاب الميمنة في سدر مخضود وطلع منضود وظل ممدود وماء مسكوب ، الى آخر ما ذكر في أوصاف نعيمهم ، وأصحاب المشئمة في سموم وحميم وظل من يحموم ، وهذه الاقسام الثلاثة مستوعبة لجميع الامم من الثقلين من لدن أول عالم التكليف الى آخره ، وتفصيل أحوال أفرادها في علم علام الغيوب · فنسأل الله الرؤوف الرحيم ان يحسن الينا بالحشر في السابقين المقربين ، أو في اصحاب الميمنة المكرمين عنده تعالى ·

---

(٤) انظر كتاب الزهد باب الحشر رقم الحديث ٢٥٤١ سنن الترمذي

وهذا السوق والحشر يكون على أرض جديدة غير أرضنا كما هو ظاهر قوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض)(٥) وهي بيضاء نقية صافية لم تقع عليها معصية(*)، أو على عين مادة الارض الموجودة الآن ، لكنها تتغير من حال وجود الجبال والاوهاد والى حال لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، فذاتها عين ذات الارض السابقة ، وصفتها غير الصفة الاولى كما ذكره أصحاب التفاسير ، والتبيان للقرآن الكريم والاحاديث الشريفة ٠

---

(٥) سورة ابراهيم الآية ٤٨

(*) حيث ورد في صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي » الحديث ٠ انظر فتح الباري كتاب الرقاق (١١/٣٢٣) ٠

ومن نور الاسلام الايمان بهول وقت الحشر وعمومه للناس الا من خصه الله برحمته ونجاة منه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم »[١] رواه الشيخان ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه (اي عرقه) الى انصاف اذنيه »[٢] رواه الشيخان والترمذي ، وعن المقداد بن أسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه (اي منتهى اليته) ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما » اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه.[٣] رواه مسلم والترمذي .

وقد ذكر العلماء أخذا من نصوص الاحاديث الشريفة ، ان ذلك العذاب المخيف المختلف انما هو بالنسبة الى الكفار ، وبعض العصاة من المؤمنين ، وأما الباقي فيمر عليهم زمان

---

(١) رواه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٣١٠/٩)

(٢) رواه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٣٠٩/٩) . ومسلم في كتاب الجنة شرح النووي في هامش القسطلاني (٣١٣/١٠)

(٣) مسلم كتاب الجنة . شرح النووي في هامش القسطلاني (٣١٣/١٠-٣١٤)

الحشر والموقف كزمان صلاة فريضة صلاها في وقتها نسأل الله تعالى الامان من عذابه ومن الناجين السبعة(*) الذين يجعلهم الله تحت ظل رحمته • وليعلم المؤمن انه لا منافاة بين ذلك الحديث الشريف وبين ما نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى (اذا الشمس كورت)(٤) اي لفت على تفسير ، أو انكسفت على تفسير آخر ، أو ادخلت في العرش على تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، لان ذلك التكوير انما هو عند الزلزلة والنفخة الاولى ، ووقت البعث والحشر في ما بعد النفخة الثانية ، كما قال تعالى (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون)(٥) وفي هذا الوقت تعود الشمس كما كانت بأمر الله تعالى وقدرته ، فتدنى من رؤوس الخلائق ليتعذب بحرارتها الكفار والعصاة المتجاسرون المتمردون ممن شاء الله تعذيبه بها •

ثم تتحول الشمس الى ما يختاره ويريده الله من الفناء او الانكدار ، ولا يبقى بعد ذلك مجال للشمس ، ولا للقمر ، ولا لسائر النجوم ، كما قال سبحانه وتعالى (واشرقت الارض بنور ربها)(٦) أي بنور مخلوق بقدرة الباري لتنوير الموقف واجراء المحاسبة وموازنة الاعمال •

---

(٤) سورة التكوير الآية ١
(٥) الزمر الآية ٦٨
(٦) سورة الزمر الآية ٦٩

(*) اشارة الى الحديث الشريف « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » الحديث • رواه البخاري في وجوب صلاة الجماعة ، وكرره في الزكاة ، والرقاق ، وكتاب المحاربين • انظر فتح الباري (٢/ ١٢٠) ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة في صحيحه ، والترمذي في كتاب الزهد في سننه •

وانما ذكرت ذلك ، لان حديث ادناء الشمس من رؤوس الخلائق رواه مسلم والترمذي ، وتكوير الشمس عند مجيىء الساعة منصوص في القرآن الكريم ، والجمع بين القرآن والحديث الصحيح واجب ٠

السؤال

ومن نور الاسلام الايمان بسؤال الباري سبحانه وتعالى جميع عباده المكلفين ومحاسبتهم وايتاء كتب الاعمال قال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب)(١) وعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم احد الا سيكلمه الله ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم من علمه وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة (٢)» رواه الشيخان والترمذي ٠

وعن ابي برزة الاسلمي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم افناه وعن عمله فيم فعل وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن جسمه فيم ابلاه »(٣) ٠

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٩

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٠ انظر القسطلاني (٩/٣١٤)

(٣) الترمذي رقم الحديث ٢٥٣٢ طبعة القاهرة

صحف الاعمال

ومن نور الاسلام الايمان باستلام صحف الاعمال ، قال الله تعالى (فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤوا كتابيه . اني ظننت اني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية . وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتني لم أوت كتابيه . ولم ادر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سطانيه)[١] .

وقد روى في الصحاح انه بعدما افسح الله المجال لعبده في ابداء معاذيره يقول العبد لربه لا أجيز علي الا شاهدا مني فينطق الله جوارحه .

عن انس رضى الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال « هل تدرون بم اضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال : يقول بلى،قال فيقول : فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكُنّ وسخطا فعنكن كنت أنا ضل »[٢] رواه مسلم .

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٩ـ٢٨

(٢) مسلم كتاب الزهد . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٤٣٣ـ٤٣٤) .

الميـــزان

ومن نور الاسلام الايمان بالميزان قال تمالى (ونضـــع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كـــان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين)[٣] فالوزن • حق، وكيفيته موكولة الى علم العليم الخبير، والايمان به واجب، فمندنا في عالم الشهادة موازين للحرارة والبرودة ، ولثقـــل الاشياء وخفتها ، ولضغط الدم ، وللانواء الجوية ، وكذلـــك في القيامة ميزان توزن فيه ، اما صحائف الاعمال ، أو نفسها بعد تجسيمها باجسام نورانية واجسام ظلمانية ، وظاهـــر الحديث الشريف ان له كفتين احداهما للحسنات والاخـــرى للسيئات ، ويجوز ان يبقى على ظاهره ، لانه امر ممكن أخبر به الصادق ، ولا موجب للعدول عنه •

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال « ان الله سيخلص رجلا من أمتي عـــلى رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتســـعين سجلا ، ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول الله اتنكر مـــن هذا شيئا ؟ اظلمتك كتبتي الحافظون ؟ فيقـــول : لا يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيهـــا

---

(٣) سورة الانبياء الآية ٤٧

أشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء »(٤) رواه الترمذي ٠

القصاص

ومن نور الاسلام الايمان بالقصاص اي الانتقام من الظالم واخذ حق المظلوم منه على ما فصل في الدين ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثمّ دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته ، فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه »(١) رواه الشيخان ٠

وعن ابي سعيد رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة

---

(٤) سنن الترمذي رقم ٢٧٧٧ طبعة القاهرة ، واخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد من سننه رقم الحديث ٤٣٠٠

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم ٠ القسطلاني (٤/٢٥٨) ، وكروه في الرقاق ٠ القسطلاني (٩/٣١١)

منه بمنزله كان في الدنيا »[٢] رواه البخاري في الرقائق ٠

وهذا في المكلفين وهم الجن والانس ، وان كان عدل الله تعالى سيقوم على كل مخلوق كما قال صلى الله عليه وسلم «لتؤدن الحقوق حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٣] وترشد الى هذا الاقتصاص قوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء)[٤] ولكنه لا دليل على الثواب والعقاب في الجنة والنار بالنسبة الى غير الجن والانس فيكون المآل المحو والله اعلم ٠

الصراط

ومن نور الاسلام الايمان بالصراط ، وهو جسر ممدود على نار جهنم ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد يومئذ الا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ ٠ اللهم سلم سلم »[١] رواه الشيخان ٠

وروى مسلم في الايمان عن ابي هريرة وعن حذيفة رضى الله تعالى عنهما « انه ترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي

---

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٠ انظر القسطلاني (٩/ ٣١١-٣١٢)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر ٠ انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/ ١٤)

(٤) سورة الانعام الآية ٣٨

(١) قطعه من حديث طويل رواه البخاري في الرقاق أوله « يجمع الله الناس فيقول » الحديث ٠ انظر القسطلاني (٩/ ٣٣١-٣٣٢)

الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق ، قال قلت : بأبي انت وامي أي شيء كمر البرق ، قال ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال ، تجرى بهم اعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى يجيىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا ، قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار والذي نفس ابي هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا »[٢] . وقوله صلى الله عليه وسلم « ترسل الامانة والرحم » معناه تقوم الامانة والرحم في صورة شخصين فتقفان على حافتي الصراط تشهدان لمن قام بحقهما ، وعلى من لم يقم بحقهما وذلك لعظم أمرهما .

فالصراط كقنطرة على النار بعد ان ينتهي الناس من الموقف يؤمرون بالمرور عليه ، فأهل النار يقعون فيها ، وأهل الجنة يمرون عليها على اختلاف درجات سرعتهم ، ولكن ينال بعضهم منها شدائد نسأل الله السلامة منها ، فانه ثبت ان من المؤمنين من يمر كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم، ومخدوش، ومكدوس في نار جهنم .

---

(٢) هذا قسم من حديث طويل رواه مسلم في كتاب الايمان أوله « يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون » الحديث . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١/ ١٧١-١٧٣)

وتبين من هذه المباحث ان الجن والانس يعرضون على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة في المحشر جميعا كما قال تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)[٣] وللموقف أهوال وأحوال ، فالحال الاولى وقف الخلائق ، وهم سكوت خائفون راهبون خاشعون ، وهذه الحال أشد الاحوال قال تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا)[٤] قال (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما)[٥] . وبعد وقوفهم في تلك الشدة يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم فتتبدل الشدة بأحوال اخرى ويشرع في السؤال والحساب وتنزل الصحف ، وتأخذها الناس بأيمانهم وشمائلهم ووراء ظهورهم ، فتوزن الاعمال ويحاسب المكلفون ، ويأخذ العصاة في المناقشة بعد ظهور خفة ميزان خيرهم ، فتشهد عليهم ايديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون . وبعد ذلك يضرب الصراط على متن جهنم فيؤمرون بالمرور عليه ، وأول من يمر عليه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وامته ، فمن ناج سالم ، ومن مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم ، فالكافر يبقى خالدا فيها والمؤمن يبقى مقدار استحقاقه العذاب ، ثم يخرج منها ، أو يخرج قبل التعذيب بالشفاعة ، ومصيره الى الجنة ورضوان الله رب العالمين . فنسأل الله الرؤوف الرحيم ان يعاملنا بفضله واحسانه ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

---

(٣) سورة الحاقة الآية ١٨
(٤) سورة طـه الآية ١٠٨
(٥) سورة طه الآية ١١١

(الحوض المورود)

وان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حوضا مشهورا بالحوض المورود يصله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عبوره من الصراط وترد عليه امته ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان امامكم حوضا كما بين (جرباء) (واذرح)[١] رواه الثلاثة ·

وعن حارثة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحوض كما بين المدينة وصنعاء »[٢] · وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء »[٣] رواهما الشيخان ·

وللبخاري · « حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا »[٤] ·

---

(١) اخرجه البخاري في الرقاق باب الحوض · انظر القسطلاني (٩/٣٣٦) ، ومسلم في الفضائل · انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/١٥٢) ، واخرجه ابو داود عن ابن عمر في باب الحوض · انظر السنن ج٢ ص ٥٣٨ ·
جرباء ، واذرح ، قريتان بالشام بينهما ثلاث مراحل ·

(٢) انظر البخاري في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٩/٣٤٢-٣٤٣) ، ومسلم في الفضائل · انظر شرح النوي في هامش القسطلاني (٩/١٥٢)

(٣) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٩/٣٣٨-٣٣٩) ، ومسلم في الفضائل · انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/١٥٨)

(٤) أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٩/٣٣٨)

وماء هذا الحوض يمتد من نهر الكوثر الجاري في الجنة كما يؤخذ من حديث نهر الكوثر في الحديث الوارد في شأنه وسنذكره ان شاء الله تعالى ٠

(الشفاعة)

ومن نور الاسلام الايمان بان الشفاعة ثابتة للرسل وللاخيار في حق أهل الكبائر من المؤمنين ، لا سيما شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد دل عليها الكتاب ، فمن الكتاب قوله تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)(١) وقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه)(٢) فانه لو لم تجز الشفاعة ما كان يستثنى وقت اذنه تعالى بها ، فان المحال لا يتقيد بوقت دون وقت ، وقوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)(٣) أي ان الشافعين لا يشفعون الا لمن ارتضى الباري سبحانه وتعالى ان يشفع له ، وقال تعالى على لسان بعض الكفار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)(٤) فلو لم تكن الشفاعة واقعة للمذنبين من المسلمين ، لم يبق فرق بينهم وبين الكافرين ٠

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي »(٥) ، وهذا الحديث رواه

---

(١) سورة محمد الآية ١٩
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥
(٣) سورة الانبياء الآية ٢٨
(٤) سورة الشعراء الآية ١٠٠
(٥) رواه الترمذي رقم الحديث ٢٥٥٢ و ٢٥٥٣ طبعة القاهرة واخرجه ابو داود في باب الشفاعة ٠ انظر السنن (٢/٥٣٧) ، وأخرجه

الترمذي وابو داود ، وهو حديث مشهور ، بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى .

وحكمة الشفاعة تكريم الشافعين ، ورفع شؤونهم على رؤوس الاشهاد ، وافاضة الكرم الالهي على المشفوع له ، وغفران الباري سبحانه وتعالى للمذنبين بدون الشفاعة جائز، واخبر عن وقوعه الباري تعالى بقوله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)[٦] فمع شفاعة الشافع أولى وأجلى .

واستدلال المخالف بنحو قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)[٧] ساقط عن الاعتبار ، لانه محمول على الكفار ، وكلامنا في الشفاعة للمسلمين .

عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا »[٨] .

وما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين)[٩] « يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يا بني عبدالمطلب انقذوا انفسكم من

ابن ماجة بلفظ « ان شفاعتي يوم القيامة لاهل الكبائر من أمتي » انظر السنن كتاب الزهد رقم الحديث ٤٣١٠

(٦) سورة البقرة الآية ٢٨٤

(٧) سورة غافر الآية ١٨

(٨) أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٥٥٨ ، وأخرجه ابن ماجة ، وفيه « أترونها للمتقين ؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » انظر سننه كتاب الزهد رقم ٤٣١١

(٩) سورة الشعراء الآية ٢١٤

النار ، يا فاطمة انقذي نفسك من النار ، فاني لا املك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سابلها ببلالها »[١٠] .

فما كان منه خطابا للكفار فواضح ان الشفاعة ليست للكافرين ، وما كان خطابا للمؤمنين منهم الداخلين في القوم ، والباقي كفار . أو خطابا لفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها فيحمل على اظهار الخوف من الله تعالى ، وانه ليس يملك شيئا ، وما له صلاحية بدون لطفه تعالى وكرمه ، وعلى الترهيب لهم من عقاب الله تعالى ، وعلى الترغيب في الزيادة من الطاعات لينالوا الدرجات ، وليس معناه نفي الشفاعة جوازا أو وقوعا ، مع تلك الاحاديث الكثيرة الدالة عليها . وليس في القول بالشفاعة اعداد الناس للجرأة والجسارة على المعاصي كما توهمه بعض ، اذ ليس في علم أي شخص انه يشفع له حتى يكون ذلك جالبا لاقدامه عليها كما هو واضح للمنصفين .

وثبت على ضوء الاحاديث الشريفة ان للرسول صلى الله عليه وسلم شفاعات خمسا :

الاولى ـ الشفاعة العظمى ، المعروفة بالمقام المحمود ، وهي اراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زال الرجل

---

(١٠) أخرجه مسلم من حديث ابي هريرة أوله « لما نزلت هذه الآية (وانذر ....) دعا رسول الله قريشا فاجتمعوا » كتاب الايمان . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢/١٨١-١٨٢)

يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وزاد عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني ابن أبي جعفر ، فيشفع ليقض بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم [١١] . انتهى نصا باختصار السند : وفي هذه الرواية اختصار من اسامي بعض الرسل عليهم السلام .

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري للمحدث الشهير ابن حجر العسقلاني ، قوله بحلقة الباب أي باب الجنة ، أو هو مجاز عن القرب ، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ، وهي اراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

وفي فتح الباري في شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري ما نصه ووقع في حديث ابي بن كعب عند أبي يعلي ما نصه « ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون »[*] انتهى ، وفيه ان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ عند الصراط .

---

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة . انظر القسطلاني (٣/٦٣) ومسلم في كتاب الزكاة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤/٤٣٨) والنسائي في كتاب الزكاة (٥/٩٤)

(*) انظر فتح الباري عند شرح حديث أنس « يجمع الله الناس يوم القيامة » الحديث (١١/٣٨٠)

الثانية ـ الشفاعة لاخراج عصاة المؤمنين من النار في صحيح البخاري في آخر الحديث الذي رواه في كتاب الرقاق قوله صلى الله عليه وسلم « فيأتون فأستأذن على ربي ، فاذا رأيته وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ، ثم أشفع فيحد لي حدا ، ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار الا من حبسه القرآن »(١٢) انتهى ، وقال قتادة : أي وجب عليه الخلود والعياذ بالله •

الثالثة ـ الشفاعة في قوم استوجبوا النار بذنوبهم ، فلا يدخلونها لشفاعته صلى الله عليه وسلم •

الرابعة ـ الشفاعة لادخال قوم الجنة بغير حساب ، عن أبي امامه رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا »(١٣) رواه الترمذي بسند حسن •

الخامسة ـ الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها ، والله هو الجواد الكريم •

---

(١٢) أخرجه البخاري في الرقاق • انظر القسطلاني (٩/٣٢٥ـ٣٢٦) ، وكرره في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء • انظر القسطلاني (١٠/٤٠٦ـ٤٠٨)

(١٣) انظر سنن الترمذي رقم ٢٥٥٤ طبعة القاهرة

وبعد شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يفتح باب الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى قال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا)[١٤] .

قال المفسرون : أي لمن كان قوله واعتقاده لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء »[١٥] رواه ابن ماجه بسند صحيح .

وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة »[١٦] رواه الترمذي .

وعن ابي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »[١٧] رواه ابو داود .

---

(١٤) سورة طه الآية ١٠٩ .

(١٥) اخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد رقم ٤٣١٣ وفي سنده علاق بن ابي مسلم ، قال في حقه الحافظ ابن حجر في التقريب مجهول (٩٤/٢)

(١٦) أنظر سنن الترمذي رقم الحديث ٢٥٥٧

(١٧) انظر سنن ابي داود كتاب الجهاد (١٥/٢)

ومن نور الاسلام الايمان بالجنة والنار وانهمـا مخلوقتان في هذا العالم وموجودتان الآن وستكونان الـدار الابدية للمسلمين والكافرين ٠

وذلك لظاهر الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى في شأن الجنة (أعدت للمتقين) في آية (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين)[١] ، وقوله تعالى (أعدت للكافرين) في آية (واتقوا النار التي أعـدت للكافرين)[٢] ٠

ولظاهر الاحاديث التي تدل على ان الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وأهلهما ، وهي مروية في الصحاح ٠

واما مكانهما فهو وان لم يرد نص صريح في تعيينه لكن الاكثرين من العلماء على أن الجنة فوق السماوات السـبع وتحت العرش تمسكا بظاهر قوله تعالى (ولقد رآه نزلـة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)[٣] وبقوله صلى الله عليه وسلم « سقف الجنة عرش الرحمن وان النار تحت الارضين »[٤] أي انها بقعة أخرى مما خلقه الله في هـذا

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣١

(٣) سورة النجم الآية ١٤

(٤) هذا الحديث بهذا اللفظ لم أطلع له على سند ، لكن هناك أحاديث تدل على ان الجنة في السماء منها ما رواه : البخاري « والفردوس أعلاها درجة ٠٠٠ ومن فوقها يكون العرش » راجع ص ٢٩٧ ٠

العالم ، واسنادها الى ما تحت الارض لافادة فظاعتها والرهبة منهـــا ٠

ثم ان ظاهر الدلائل المذكورة وان لم يفد القطع واليقين في الموضوع ، الا ان القدر المشترك من الادلة الدينية كتابا أو سنة ، أفاد انهما موجودان فعلا في هذا العالم ، وهـــو عالم واسع لا يحيط به عقل البشر ، وليس بغريب ان يكون فيه هاتان البقعتان ، مع ان العلم قد اكتشف ان الشمـــس تقارب ربع مليون مقدار الارض ، وما هي الا كوكب مـــن كواكب هذا العالم الذي لم يكتشف من كواكبه الا القليل ٠

واما صفات أهلهما فمذكورة في القرآن الكريم وســـنة الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا مزيد عليه ٠

أما النار وأبوابها وأوصافها فقد قال سبحانه وتعـــالى (وان جهنم لها سبعة أبواب لكل منهم جزء مقســـوم)[٥] وقال تعالى (كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى، وجمع فادعى)[٦] والآيات القرآنية في فظاعة عذاب النار وهولها وشدتها على أهلها ، كثيرة معلومة عند كل قـــارىء فاهم ، فلا حاجة الى البيان ٠ وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجـــل

(٥) سورة الحجر الآية ٤٣
(٦) سورة المعارج الآية ١٧

توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه »[٧] رواه الشيخان والترمذي ٠

وأما أهلها فهم الكفار من الجن والانس خالدون فيها أبدا ، والعصاة من المؤمنين منهما يعذبون بالمقدار المقدر لهم في علمه سبحانه وتعالى ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة برحمته ويبقون أبد الآبدين ٠

وأما صفة الجنة وما فيها ٠ فقد قال تعالى في بيانها وبيان خدمها وحورها وفرشها ومأكلها ومشربها (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ٠ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ٠ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ٠ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)[٨] (والسابقون السابقون اولئك المقربون ٠ في جنات النعيم ٠ ثلة من الاولين وقليل من الاخرين ٠ على سرر موضونة ٠ متكئين عليها متقابلين ٠ يطوف عليهم ولدان مخلدون ٠ باكواب واباريق وكأس من معين ٠ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ٠ وفاكهة مما يتخيرون ٠ ولحم طير مما يشتهون ٠ وحور عين ٠ كامثال اللؤلؤ المكنون ٠ جزاء بما كانوا يعملون ٠ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ٠ الا قيلا سلاما سلاما ٠ واصحاب اليمين ٠ ما اصحاب اليمين ٠ في سدر مخضود ٠ وطلح منضود ٠ وظل ممدود ٠ وماء مسكوب ٠

---

(٧) أنظر ارشاد الساري الرقاق (٩/٣٢٣)
(٨) سورة الدهر الآية ١٩ـ٢٢

وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا أترابا . لاصحاب اليمين ثلة من الاولين . وثلة من الآخرين)[٩] . وقال تعالى (فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون)[١٠] .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال « قال عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعكم الله عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)[١٢] . رواه الشيخان والترمذي .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لقاب قوس احدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب[١٣] . رواه الخمسة .

وأما بناؤها فعن ابي هريرة رضى الله عنه قلت : يا رسول الله ممّ خُلق الخلق ؟ قال: « من الماء » قلنا: الجنة ما بناؤها ؟

---

(٩) سورة الواقعة الآية ١٠ـ٤١

(١٠) سورة الزخرف الآية ٧٠

(١١) سورة السجدة الآية ١٧

(١٢) البخاري كتاب التوحيد . انظر القسطلاني ٤٣٦/١٠ ورواه في كتاب بدأ الخلق ايضا ، ومسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووى في هامش القسطلاني (٢٨٢/١٠)

(١٣) رواه البخاري في حديث طويل في الرقاق باب صفة الجنة بلفظ « ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ».

قال « لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها (اي ما يوضع بين اجزاء البناء كالطين) المسك الاذفر (شديد الرائحة) وحصباؤها اللؤلؤ وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »(١٤) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون » قالوا فما بال الطعام قال « جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس »(١٥) .

واما ابوابها فثمانية عن سهل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة ثمانية ابواب فيها باب يسمى الريّان لا يدخله الا الصائمون »(١٦) . رواه الشيخان .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد

---

(١٤) قطعة من حديث طويل أخرجه الترمذي في صفة الجنة وقال : هذا الحديث ليس اسناده بذلك القوى رقم الحديث ٢٦٤٦ طبعة القاهرة .

(١٥) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة . أنظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٢٩٠) .

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب بدأ الخلق . أنظر القسطلاني (٥/٢٨٦) .

مناكبهم تزول »[17] . رواه الترمذي .

وأما درجاتها فمن عبادة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش ، فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس »[*] رواه الترمذي والبخاري .

واما انهارها فقد قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم)[18] .

وأما ثمار شجراتها وظلالها فقد قال تعالى (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)[19] .

وأما نصيب اهل الجنة من الجنان فقد قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[20] . وأما صفاء القصور ، فمن ابي سعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى وسلم قال « ان

---

(١٧) أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٦٧٢ .

(*) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد . انظر القسطلاني (٥/٣٧-٣٨) ، والترمذي في صفة الجنة رقم ٢٦٥١ طبعة القاهرة .

(١٨) سورة محمد الآية ١٥

(١٩) سورة الرعد الآية ٣٥

(٢٠) سورة الرحمن الآية ٤٦

اهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[٢١] . رواه الشيخان والترمذي .

الكوثر

واما الكوثر ، فهو نهر مختص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعن انس رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال صلى الله عليه وسلم « ذاك نهر اعطانيه الله عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن ، واحلى من العسل فيه طيور اعناقها كاعناق الجزر » قال عمر ان هذه لناعمة قال رسول الله « اكلتها انعم منها »[٢٢] . يعني انها ناعمة وشهية لذيذة والآكلون لها احسن منظرا منها .

وعن أنس رضى الله عنه قال : اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فأما قال لهم ، واما قالوا له يا رسول الله لم ضحكت ؟ فقال « انه انزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر) حتى ختمها فلما قرأها قال : هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « فانه نهر وعدنيه ربي عز

(٢١) رواه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٩/٣٢١) ، ومسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٢٨٥) والترمذي في صفة الجنة رقم ٢٥٨١ وبشرح ابن العربي (١٠/٢١) .

(٢٢) أخرجه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٤٥ طبعة حمص وبشرح ابن العربي (١٠/١٢) .

وجل في الجنة وعليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب »[٢٣] ٠

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بينما أنا اسير في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت : ما هذا يا جبريل ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طيبه مسك اذفر »[٢٤] ٠ رواه البخاري وابو داود والترمذي ٠

وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج »[٢٥] رواه الترمذي بسند صحيح ٠ ولا منافاة بين هذا الحديث وما قبله ، فان الحافة من الذهب لا تمنع قباب الدر فوقها ٠ وقد انزل الله تعالى في قرآنه الكريم ذكر النفختين ، وحشر الخلايق ، وحسابهم ، وسوق الكافرين الى النار ، وسوق المتقين الى الجنة ، واستقبال الملائكة الكرام لهم ، وتسليمها عليهم ، وتبشيرهم بدخول الجنة خالدين ، وحمدهم لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة الجسيمة ، وتسبيح الملائكة حول العرش العظيم ٠

---

(٢٣) أخرجه أبو داود في باب الحوض من سننه (٢/٥٣٨)

(٢٤) رواه البخاري من الرقاق باب الحوض ٠ انظر القسطلاني (٩/٣٣٩) ، وابو داود في سننه (٢/٢٣٩) ٠

(٢٥) أخرجه الترمذي في سننه رقم الحديث ٣٤١٩ طبعة القاهرة ٠

فقال (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون • ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون • وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين •

وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين •

وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين •

وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق • وقيل الحمد لله رب العالمين)[٢٦] •

قد تبركت وتشرفت أنامل يدي اليمنى باقتباس هذه الانوار من نور الاسلام ، تنويرا لقلوب الاخوة والاخوات

---

(٢٦) سورة الزمر الآية ٦٨ ـ ٧٥

هذا آخر ما يسر الله أملاءه من التعليقات المتواضعة على رسالة فضيلة استاذي الشيخ عبدالكريم المدرس المسماة « بنور الاسلام » راجيا من الله ان يتقبلها بقبول حسن ، كما آمل ان تحظى باستحسان القراء الكرام •

محمد الملا احمد الكزاني

الكرام ، وتذكرة للمتذكرين من أولي الافهام ، وتبصرة للمتبصرين من الشباب المهتدين بهدي الرسول القائد لامته الى دار السلام ، أسأل الله سبحانه وتعالى ان ينفعني واياهم بها في الدنيا وفي الآخرة عند لقاء الملك العلام ٠

وكان ختام التبرك قبيل عصر يوم السبت الرابع من أيام شوال لسنة الف وثلاثمائة وسبعة وتسعين من هجرة سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، المصادف لليوم السابع عشر من الشهر التاسع لسنة الف وتسعمائه وسبعة وسبعين من ميلاد المسيح عليه وعلى بقية الانبياء الكرام الصلاة والسلام ٠ وانا ساكن بغرفة المدرسة المتصلة بالمنارة الشمالية في جامع سيدنا قطب الاولياء حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله تعالى سره ، وأفاض علينا نوره وبره ، من محلة باب الشيخ في بلدة بغداد المحروسة المعروفة ببرج الاولياء ودار السلام ، وفي الحقيقة هي دار الاسلام ، والمحدثين ، والفقهاء ، والعلماء الكرام ، أعلى الله مقامهم آمين ٠ وان الفقير الى الله عبدالكريم محمد الكردي الشهرزوري من عشيرة القاضي القاطنين في مركز ناحية شهرزور التابعةلقضاء حلبجة التابعةلمحافظة السليمانيةعصمها الله وسائر بلاد المسلمين من الآفات ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ؟

الموضوعات

الصفحة

٥ الايمان بالله
٦ الطبيعة دليل على وجود الله
١٣ الرد على القول بالصدفة
١٤ الرد على الدهريين
١٧ الصفات لله تعالى
٢٣ زبدة وخلاصة في الاستدلال على ذات الباري وصفاته
٢٨ رؤيته تعالى
٣١ الايمان بالملائكة
٣٥ الايمان بالجن
٣٧ الايمان بالكتب
٤٢ جمع ابى بكر للقرآن
٤٣ جمع عثمان للقرآن
٤٧ القراءات السبع
٤٩ القـراء
٥١ رواة القراء
٥٩ الايمان بالرسل
الحكمة من ارسال الرسل
٦٦ دليل النظام
٦٨ دليل الرغبة والرهبة
٦٩ دليل الشرف
٧٠ دليل الاعتراف
٧٢ دليل المعرفة
٧٥ محبة الرسول والصلوات عليه وذكرى مولده
٩٢ زيارة الرسول
٩٦ كيفية زيارته
٩٨ التوسل والوسيلة

الصفحة

١٠٣	التوسل باسماء الله وكلماته وأنبيائه
١٠٧	التوسل بطلب لدعاء
١١٤	التوسل بالذوات
١١٦	التوسل بالاعمال الصالحة
١١٧	التوسل بحق العباد المكرمين
	التوسل بآثار الرسول
١٢٦	التوسل بالرقى والتمائم
١٢٩	التوسل بطلب الفعل من العباد المكرمين
١٤١	احترام آل الرسول وأزواجه
١٤٨	محبة اصحاب الرسول
١٥٦	محبة علماء الدين
١٥٦	بحث مهم عن اجتهاد الرسول والصحابة
١٧٥	وجوب الاجتهاد على من كانت له أهليته
١٧٨	وجوب التقليد على من لم يكن له اهليته الاجتهاد
١٨٤	محبة أمة الرسول عموما
١٩٨	كرامات أولياء الله تعالى
١٩٩	دليل الكرامة في الكتاب والسنة
٢١٦	مصاحبة الصالحين
٢١٨	زيارة الاحباب
٢٢٣	زيارة الصالحين بعد الوفاة
٢٢٦	بيانات وايضاحات
٢٣٦	القضاء والقدر
٢٤٦	الاجـل
٢٤٨	الله هو الهادى
٢٥١	الله مختار في افعاله
٢٥٢	رؤية الله
٢٥٣	الايمان بالبرزخ

الصفحة

٢٦١	الايمان باليوم الآخر
٢٦٧	الزلزلة والنفخة الاولى
٢٧٠	النفخة الثانية
٢٧٣	أهوال الحشر
٢٧٦	الموقف
٢٧٨	السؤال
٢٧٩	صحف الاعمال
٢٨٠	الميزان
٢٨١	الجزاء
٢٨٢	الصراط
٢٨٥	الحوض المورود
٢٨٦	الشفاعة
٢٩٢	الجنة والنار
٢٩٨	الكوثـر

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٧	مليون ونصف	ربع مليون
٢١	٢٠	كشقان	كشفان
٢٢	١٠	تيسر	تيسير
٣٣	١٢	المتهوؤن	المتهيئون
٣٥	١١	يهدى الرشد	يهدى الى الرشد
٤٥	٨	ففعلت	لفعلت
٥١	٩	عشن	عن
٦٨	٩	الاقدمات	الاقدامات
٧٢	١٠	يلف	يلفت
٨٤	١٨	في الآخرة الاولى	في الآخرة والاولى
٩٢	١١	كبنت	كنت
٩٧	٣	فيسنبر	فيستدبر
٩٩	٦	قلبنا	قبلنا
١٠٨	٢	مشاة	مشكاة
١٤٧	١٢	يحسن	يحس
١٤٨	٨	ومن عند	ومن بعد
١٥٠	٢	عليهم السكينة	السكينة عليهم
١٥٠	١٠	من تحتها	تحتها
١٥٦	١٢	هو تأييدهم	وتأييدهم
١٥٨	١٠	تحمل	محتمل
٨٦	١٧	٦	٢٦
٩٠	٢٣	١٨٠	١٧٩
١٠٢	٢٠	١٢٣	١٢٠
١٠٢	٢١	١٢١	١١٨
١٦٧	١٦	أساير	أساوير
١٧٣	٢١	تبينه	يبينه
١٧٥	٣	وحكمة	وحكمه

الصفحة	السطر	الخطــــا	الصواب
١٧٩	٢١	سننى	سنتي
١٩١	٢	ومؤيدا	ويدا
٢٠٨	١٠	زويطن	ذو بطن
٢١١	١٥	حلفت	ما حلفت
٢١٢	٧	كلاما	كلام
٢١٤	٨	الكرمات	الكرامات
٢١٦	٥	من من	من
٢٢٧	١٠	أعمالك	أعمالكم
٢٢٩	١١	عمر بن دينار	عمرو بن دينار
٢١٨	٢١	الصحة	الصحبة
٢٣٢	١٠	مشاهدتهم	مشاهدهم
١١٣	٢	سقط هامش رقم ١٤ وهو سورة الزمر الآية ٥٣	
٢٤٢	٨	تعلمه	تعمله
٢٥٥	٢٥	بعده سفط هذا السطر	انظر القسطلاني ٣٢٧/٩
٢٥٧	١٤	من عذاب الفتن	من الفتن
٢٥٧	٢٢	مقد الميت	مقعد الميت
٢٦٦	٦	فسألوا	فسئلوا
٢٧٠	١١	جاء في آيات	جاء في احاديث
٢٧٧	٩	فاذا قيام	فاذا هم قيام
٢٧٨	١٢	من علمه	من عمله
٢٥٧	٢١	سقطت هذه الجمل	أنظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله بـه مقعدا من الجنة ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا ، قال قتادة : وذكر لنا انه تفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه.
٣٠٣	٧	الصفات لله	صفات الله
٣٠٤	١٥	أهليته الاجتهاد	اهلية الاجتهاد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد فان كتاب نور الاسلام ، يضيىء طريق الحق والصواب ، ينير مسالك السعادة في الدنيا والآخرة ، ويزيل القشوز الفاسدة عن لب حقيقة الاسلام والايمان ، بأسلوب بديع رفيع وسط بين الاطناب الممل والايجاز المخل سابكا الادلة النقلية بالادلة العقلية سبك الصائغ الماهر الاحجار الكريمة في الذهب . ومن حسن الحظ ان اتاح الله لي الفرصة لاقوم بتخريج آياته واحاديثه ، وأن أعلق عليه بعض التعليقات .

محمد الملا أحمد الكزني